انما يريد الله
تطهيرا
البيت ويطهركم
السلام عليك يا سفينة النجاة
بسم الله الرحمن الرحيم
اللهم عظم البلاء وبرح الخفاء وانكشف الغطاء
وانقطع الرجاء وضاقت الارض ومنعت السماء وانت المستعان واليك المشتكى وعليك المعول في الشدة والرخاء
صل على محمد وآل محمد اولي الامر الذين فرضت علينا طاعتهم وعرفتنا بذلك منزلتهم ففرج عنا بحقهم فرجا عاجلا قريبا كلمح البصر او هو اقرب من ذلك يا محمد
يا علي يا علي يا محمد اكفياني فانكما كافياي وانصراني فانكما ناصراي
السلام عليك يا بقية الله

فاطمة الزهراء عليها السلام
من وهج النبوة.. إلى عنفوان الإمامة

• السيد محمد علي الحلو
كاتب وباحث إسلامي

ينابيع إيهاً فاطمة...

فبين الضلوع جوى الذكريات لترعى يومك الفاطمي بكل أمومته النبوية، يوم كان أبوك يقوم لك إجلالاً، ليقبلك بين عينيك... بل يديك كذلك...

ولم لا يا أم أبيها؟! فإن محمداً اليتيم يستشعر الغربة من فراغ الأمومة المحرومة منذ سنينه السبع من عمره الشريف...

ولم لا يا أم أبيها، بل يا أم النبوة هو يتلمس في يديك دفء الحنان، كما كان يتلمس حنو خديجة في وريثتها الوحيدة، وهي ترعى محمداً الزوج كما ترعى محمداً النبي...

واليوم يا ابنة خديجة، تمسحين جراحات الأب المكلوم في وعثاء السفر الطويل، ليبلغ رسالة ربه على مدى ثلاث وعشرين عاماً... كما أنت يا ابنة خديجة تزيحين عن أبيك النبي بعض ما يعيقه من عقبات المواجهة مع قومه بل كل عقباتها...

إيهاً فاطمة...

يا بنت المصطفى... يا ابنة الرسالة...

هذا أبوك يا بنت خير الآباء يرمقك نظرة الوداع الأخير، ليودعك مهمتك الجديدة...

أجل... يوسعك لثماً يا شذى الفردوس...

يا ثمرة الجنة... يا عبيق العروج إلى سدرة المنتهى... يا وديعة الله لأهل هذه الأمة... يا جلال الكلمة... يا جمال الروح... وأخيراً يا سر الله...

يضمك إلى صدره الذي اختزن أسرار المسيرة النبوية بكل تفاصيلها... ليحيلك أُماً ثانية... ليبعثك فاطمة الإمامة كما أنت فاطمة النبوة...

يا فاطمة... يا صديقة... يا كلمة الجهاد... يا موقف التحدي...

إن مهمة أمومتك الآن ستبدأ مع علي... الإمام... الخليفة... الموتور بما تختبئه أيامه الحبلى بكل مكيدة...

ها هو محمد... النبي... الرسول... الإنسان... أبوك يا فاطمة...

يعتصر يديك في لحظاته الأخيرة كما يعتصر قلبه ألم فراقك...

يا وحيدة النبوة... يا جذوة الرسالة... يا بريق الذكريات بكل ألمها وأملها.

يا أمل محمد في ماضيه العتيد، ومستقبله المشرق...

هذا أبوك يا بنت خير الآباء يُغمض عينيه على سر أودعه فيك ولك ومنك...

هذا أبوك يرتقي إلى الفردوس الأعلى

يا فردوس الأرض يا فاطمة...

ليبعثك في رسالته أمل الإمامة... سرها... مستودعها... أنت يا فاطمة... هات يا زهراء...

حزمة الصبر المودع لديك... بريق الأمل في عينيك الحمراء... شموخ الرسالة المنطوي في أضلاعك... المهشمة...

ابن أبي طالب سائر في مهمته يا سر الإمامة...

يستميحك عذراً يا فاطمة... فإن معاناتك تثقل ظهره المكسور... لا حيلة لمفجوع بالمصاب... مقهور بالأحداث... أن يفتح لك ذراعيه ليُلقي لك هموم المهمة، وأحزان المسؤولية.

ابن أبي طالب سائر في مهمته يا سر الإمامة... فأنت الوحيد في هذه المسيرة الطويلة... القصيرة من ربيعك الجميل...

رفقاً يا فاطمة... كما أنت...

فالإمام اليوم ممتحن وسط عاصفة التحالفات التي أردته وحيداً في ساحة المواجهة، كما ستُرديه مخضوب الرأس بعد سني الصراع المرير... في محراب الجهاد...

أيها يا فاطمة...

يا أم أبيها...

يا جذوة النصر...

يا شعلة التحدي في نظر علي الممتحن...

هذا علي الصبور... يستشفع بصبرك... يا وحيدة النساء... يا سيدة النساء... يا مثيلة مريم...

فمريم جاهدت بطهرها من أجل عيسى النبي... عيسى المعجزة...

تتحدى بخطى الإيمان ما قيل في الطاهرة البتول... فإنها أم عيسى لا أخت هارون... فإن قوم السوء لم يثبطوا من مهمة الدفاع عن رسالة عيسى النبي... الوليد الوحيد في معترك الصراع...

هكذا أنت يا بتول... يا مريم محمد... بل يا مريم علي... ولم يوهنك أهل الخذلان...

فإن الحجة البالغة لك يا بنت رسالة السماء...

لم تُسلمين علياً المقهور بتحالفات أولئك النفر...

فبغوا قيلة لم تستنهضهم خطبك العتيدة... ولم يزحزحهم توبيخك... فلا عذر لهم إلا أنهم لم يدركوا ما تقولين فبلادة العقول أذهلتهم عن السماع...

فعزائك يا فاطمة أن خطبتك بلغت أسماع التاريخ... وجدان الماضي...

ضمير المستقبل بكل ما يحمله من بريق الأمل... بل بريق النصر لصوتك الزاحف عبر تاريخ منكوس... أو قل تاريخ مقهور... تكتبه أقلام المتزلفين... لم يوقف زحفك يا فاطمة تاريخ أهوج... فإن تاريخ اليوم ينفض عن أطرافه غبار الخديعة وزيف التزوير...

أجل فتاريخ اليوم لم يكن أصماً... بل استرق السمع طوال سنين عجاف ليستمع إلى خطبتك النبوية يا ابنة خيرة الأنبياء... وليسمعها إلى أولئك الذين تشدقوا بتاريخ مقهور... ممتحن غير رشيد؟

لم تصمَ خطبتك آذان الدهر فإن آهات المحرومين تنزف بجراحاتها لتُسمع دهراً أخرسته أحداثه...

لتسع خطبتك بلسماً يُضمد نزيف الجراح... ■

مصادرة فدك الزهراء عليها السلام في المنظور الفقهي والقانوني

• السيد محمود المقدس الغريفي
أستاذ في الحوزة العلمية

ينابيع ما أن لبى رسول الله صلى الله عليه وآله نداء الرفيق الأعلى، وحدث ما حدث من الانقلاب المرير وبعد لم يوارى جسد رسول الله صلى الله عليه وآله الثرى (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر اللّه شيئاً وسيجزي الله الشاكرين) آل عمران:١٤٤. وتتابعت بعدها الأحداث حتى اقتضت سياسة الحكومة القائمة وإدارتها أن تجرد المعارضين من كل ميزة أو منفعة تعود عليهم.

وبالأخص الجانب المعارض الشرعي والمتمثل بأهل البيت عليهم السلام خصوصاً وبني هاشم عموماً، فكان رأس أعمالها هو مصادرة أرض الزهراء عليها السلام فدك، لأمرين ربما الثالث هو الطمع والحسد، أما الأول: هو لتعزيز إقامة ملكهم وسلطانهم وإدارة حكومتهم بما يرد منها من واردات ضخمة، والمال من أهم الأسباب في تدعيم الملك وشراء الذمم من المعارضين المتذبذبين، وإسكات أصواتهم، وإقامة الجند والعسكر لتقوية سياستهم، والأمر الثاني: مصادرتها من أهل البيت عليهم السلام حتى لا تستغل وارداتها لأنها تشكل خطراً عليهم - كما يتصورون - في استمالة المسلمين والفقراء وعموم الناس نحوهم، وربما يستعينون بها لتقويض ملكهم وصرف وجوه الناس عن الحكومة القائمة.

فسعوا إلى تجريد أهل البيت عليهم السلام وبني هاشم من أهم عناصر القوة الاقتصادية إضافة لعدم تمكينهم من العناصر القيادية العسكرية والاجتماعية والإدارية في الدولة الإسلامية حفاظاً على ملكهم وسياستهم.

أرض فدك:

وفدك أرض زراعية خصبة تبعد عن المدينة مسافة يومين أو ثلاث فيها عين فوارة ونخيل كثيرة، تقع قرب خيبر ويسكنها جماعة من اليهود ويستثمرون خيراتها حيث قدرت غلتها بعشرة آلاف دينار[1]، وقيل بأربعة وعشرين ألف دينار في نصابها الأول، والثاني بـ(٧٠) ألف دينار كما عن بن طاووس[2] بحسب اختلاف حاصل السنة.

وفي السنة السابعة للهجرة الشريفة بعد أن نقض يهود خيبر عهودهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله سار إليهم بجيوش المسلمين ففتح الله له حصونها العظيمة على يد وليه أمير المؤمنين علي عليه السلام بعد أن عجز وتخاذل غيره، وبقي حصنان أو ثلاث منها حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن تحصنوا فيها، فراسل أهلها رسول الله صلى الله عليه وآله أن يحقن دماءهم ويسيرهم ويتركوا له حصونهم وأراضيهم - ولا يستغرب القاريء من هذا الحكم فإنه حكم اليهود في التوراة لمن نقض العهد وخالف الميثاق وغدر - فوافق رسول الله صلى الله عليه وآله على ذلك.

وما أن سمع أهل فدك بانتصار المسلمين الساحق وفتح حصون خيبر العظيمة دب الرعب والخوف في قلوبهم، فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وصالحوه على النصف من فدك وقيل كلها، بشرط أن يعملوا فيها ومتى أراد رسول الله صلى الله عليه وآله إجلاءهم عن الأرض فعل وعوضهم عن أتعابهم وبقية أرضهم على قول[3]. فأصبحت فدك ملكاً لرسول الله صلى الله عليه وآله خالصة وفيئاً له دون المسلمين بإجماعهم لأنه صالحهم عليها ولم يوجف عليها بخيل ولا ركاب بنص القرآن الكريم (وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير) الحشر:٦.

وقوله تعالى: (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم) الحشر:٧.

والوجيف: في الآية الأولى سرعة السير وهو ضرب من سير الإبل والخيل والمراد هنا الإسراع في المشي للغنائم والأموال

التي لم يحصلوا عليها بالغلبة والقتال. والفيء من فاء يفيء أصله الرجوع، وهي الغنيمة بلا حرب ولا قتال[٤]، فما أفاء الله على رسوله ﷺ وما أوجفوا عليه من دون قتال وحرب يكون خاصة له ﷺ ولا يشاركه المسلمون فيها بإجماعهم. فتكون ملكاً خالصاً له يتصرف بها ﷺ حيث يشاء، وتكون لذي القربى بعد وفاته ﷺ وهو مضمون الآية الثانية الذين هم أهل البيت عليهم السلام واليتامى والمساكين وابن السبيل منهم كما ورد عن أئمة الهدى[٥] عليهم السلام.

فدك نحلة للزهراء عليها السلام:

النحلة لغة الهبة والعطية، ويقال: نحله أي أعطاه ووهبه من طيب نفس بلا توقع عوض[٦]. وفدك نحلة أنحلها رسول الله ﷺ لابنته فاطمة الزهراء عليها السلام وقد نقل هذا أعلام العامة ومحدثيهم وجملة مؤرخيهم قبل الخاصة، منها ما رواه أبو سعيد الخدري قال: لما نزلت (وآت ذا القربى حقه) الإسراء:٢٦. قال النبي ﷺ: يا فاطمة لك فدك[٧]، وما رواه ابن عباس قال: لما نزلت (وآت ذا القربى حقه) أقطع رسول الله ﷺ فاطمة فدكاً)[٨].

بل ورد إن هذه النحلة كانت بأمر الله عز وجل وتكريماً لجهاد أمها أم المؤمنين خديجة عليها السلام عوض ما بذلته من أموال في سبيل نشر الإسلام وإقامته في بدأ الدعوة الإسلامية لتكون بلغة لها عليها السلام ولأولادها. إذ لما نزل قوله سبحانه وتعالى: (وآت ذا القربى حقه) استوضح رسول الله ﷺ من جبرئيل عليه السلام مراد الآية فقال له: إعط فاطمة فدكاً لتكون بلغة لها ولأولادها وذلك عوض ما بذلته أمها خديجة من أموال وجهود في سبيل الإسلام[٩].

والنحلة والهبة تتقوم من الناحية الفقهية والقانونية بالقبض والتسليم الذي تثبت به الملكية للموهوب له، ويسقط الرجوع بها بالتصرف، أو مطلقاً لذي الرحم[١٠]. ويستفاد من وقوع القبض والتسليم من لفظ الإيتاء في الآية الكريمة: (وآت ذا القربى حقه)، ومن الإعطاء والإقطاع من الأخبار السابقة، التي لزم وضع اليد عليها والتصرف بها، وبهذا انتهت ملكية رسول الله ﷺ لفدك وإلا لو لم يتم القبض والتسليم لكان رد دعواها عليها السلام بلا كلفة. وتصرفت بها الزهراء عليها السلام وقبضت إيراد حاصلها لثلاث سنين حتى وفاة رسول الله ﷺ وهو شاهد ودليل على نحلتها وثبوت ملكيتها.

وسار هذا الوضع هكذا حتى لقي رسول الله ﷺ ربه فانتزعها أبو بكر- رئيس السلطة الإدارية للدولة - من يد الزهراء عليها السلام وأخرج عمالها وادعى إنها للمسلمين عامة وانتزعها نيابة عنهم.

المدعي والمنكر بين الشريعة والقانون:

من المعروف فقهياً وقانونياً أن اليد على شيء والتصرف به إمارة على الملكية وحجة شرعية وقانونية، ومصادرتها ونسبتها لغير مالكها ظاهراً دعوى تحتاج إلى بينة ودليل، وقد تسالمت الشريعة الإسلامية والقانون المدني على قاعدة ثابتة وهي (البينة على من ادعى واليمين على من أنكر) حيث جاء رسول الله ﷺ بالرسالة الإسلامية وأسس قضاءها على البينة واليمين، إذ ورد عنه ﷺ: (إنما أقضي بينكم بالبينات والأيمان)[١١].

فإذا وهب أبو بكر عمراً شيئاً ما في حياته، فقبضه وتصرف به، ثم جاء خالد وقال إن هذا الشيء ليس لعمر وإنما وهبه أبو بكر لجميع أصحابه وليس خصوص عمر، فنطالب خالداً بالبينة على قوله لأنه يدعي ملكها لجميع الأصحاب، في حين اليد والتصرف فيها إمارة أو حجة على ملك عمر الذي يؤخذ قوله باليمين إذا إنتفت بينة خالد، هذا هو النظر الفقهي والقانوني للمسألة.

وبالتنظير مع قضية فدك الزهراء عليها السلام إنها كانت بيدها وتحت تصرفها والأصل في التصرف يدل على الملكية، فصادرها أبو بكر مدعياً إنها ملك للمسلمين وفيء لهم فيكون بذلك مدعياً يحتاج أن يقدم بينة على دعواه.

وقد عَرّف الفقهاء المدعي بأنه الذي لو تَرك تُرك، وإنه الذي يخالف قوله الأصل[12]، وقانوناً عرفه صاحب الوسيط: بأنه من يدعي خلاف ما هو الثابت حكماً وفعلاً[13]، وهذه التعاريف تنطبق على أبي بكر في قضية فدك الزهراء عليها السلام إذ لو ترك فدكاً لتركته الزهراء عليها السلام، وقوله يخالف الأصل والثابت حكماً وفعلاً، لأن الأصل في اليد والتصرف الملكية.

وحيث جعل أبو بكر نفسه الحكم والخصم في آن واحد، فقد ادعى إنه مال المسلمين وتقول على رسول الله صلى الله عليه وآله ونسب له: (إنما هي طعمة أطعمنيها الله في حياتي فإذا مت فهي بين المسلين)[14] وغير ذلك، فأسس على هذا وصادر فدكاً من الزهراء عليها السلام. مؤلاً به نص القرآن الكريم في آية الفيء، وما قالوه في حضرة الرسول صلى الله عليه وآله في رزية الخميس (حسبنا كتاب الله).

ولعمري إنه وقع بين محذورين، إما يتهم بالجهل بأحكام الشريعة وسننها فكان عليه مشاورة فقهاء الصحابة بذلك وأن لا يقف موقف ما أخرجه الدارقطني عن القاسم بن محمد أن جدتين أتتا أبا بكر تطلبان ميراثهما أم أم، وأم أب، فأعطى الميراث إلى أم الأم، فقال له عبد الرحمن بن سهل الأنصاري البدري: أعطيت التي لو أنها ماتت لم ترثها، فقسمه بينهما) وقد أخطأ في حكميه إذ أم الأم تأخذ نصيب بنتها الثلث، وأم الأب تأخذ نصيب إبنها الثلثين، أن بالتناقض واضطراب القول إذ طلب من الزهراء عليها السلام البيّنة الظنية على أنها نحلة من أبيها، وهو المدعي وعليه إقامة البينة شرعاً وقانوناً، وخالف علمه ويقينه - كما يدعي بنقل قول رسول الله صلى الله عليه وآله - والمفروض أن يفيده القطع والجزم؟! وكان الأجدر به والأصوب والأصدق لله ورسوله إثبات يقينه الحقيقي بصدق الزهراء عليها السلام حتى لا يدخل في قوله تعالى: (وجحدوا بها واستيقنتها

قال الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «لفاطمة عليها السلام تسعة أسماء عند الله عزّ وجلّ: فاطمة، والصديقة، والمباركة، والطاهرة، والزكية، والراضية، والمرضية، والمحدثة، والزهراء.

فاطمة أمّ أبيها

أنفسهم ظلماً وعلواً) النحل:١٤. بتصديق الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله فيها، حيث أذهب الله عنها الرجس وطهرها تطهيراً بنص القرآن، وإنها الصديقة المصدقة بقول رسول الله صلى الله عليه وآله الذي لا ينكره مسلم، والمنكر لهذا ولوازمه مكذب لله ورسوله قبل تكذيبها عليها السلام ورد دعواها.

ولكنه صمم على مصادرة فدك لحاجة في نفس يعقوب قضاها، وطالب الزهراء عليها السلام بالبينة رغم أنها صاحبة اليد والتصرف بها. ولكن مجاراة له وإنقاذاً لحقها وهي العالمة غير المعلمة إذ قرأت القرآن وفهمت مداليله بين أبيها صلى الله عليه وآله وبعلها عليه السلام ومنه قوله تعالى: (واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وأمرأتان ممن ترضون من الشهداء) البقرة: ٢٨٢. فجاءت للشهادة بأقضى الأمة وصدّيقها أمير المؤمنين عليه السلام وإنما شهد عليه السلام للاستظهار والتبرع وإلزام أبي بكر بما ألزم الزهراء عليها السلام، ولو علمَ عليه السلام أن في شهادته قول من تهمة أو قلة نصاب لترك الموضوع، وإن كان في تصديق الله ورسوله بتصديق قول الزهراء عليها السلام كفاية في الشهادة.

وجاءت بأم أيمن للشهادة التي لم تشهد حتى أشهدت أبا بكر وعمر على قول رسول الله صلى الله عليه وآله فيها أنها امرأة من الجنة فصدقاها على ذلك[١٦]. فشهد علي عليه السلام وأم أيمن أن فدكاً نحلة أنحلها رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الزهراء عليها السلام، فردهما أبو بكر بعدم اكتمال نصاب البينة إما رجلين أو رجل وامرأتين، كأنه غاب عن بنت مدينة العلم وحليلة بابها، ومفتاحها، ولكن قضيتها لم تكن كسائر المحاكمات إذ ليس لها خصم في دعواها حتى تحتاج إلى ما تحتاجه سائر الخصومات، بل هي قضية شخصية عائلية كانت تحتاج إلى شاهد واحد يصدق قولها، إذ المفروض بأبي بكر أن يكون حاكماً وقاضياً لا أن يكون طرفاً في النزاع وخصماً لها ولكن الخليفة جعل نفسه خصماً وحكماً في آن واحد[١٧]، وهذا لا يجوز حتى في القانون إذ ذكر السنهوري في الوسيط: ويترتب على حق الخصوم في مناقشة الأدلة التي تقدم في الدعوى أنه لا يجوز للقاضي أن يقضي بعلمه، ذلك إن علم القاضي هنا يكون دليلاً في القضية، ولما كان للخصوم حق مناقشة هذا الدليل

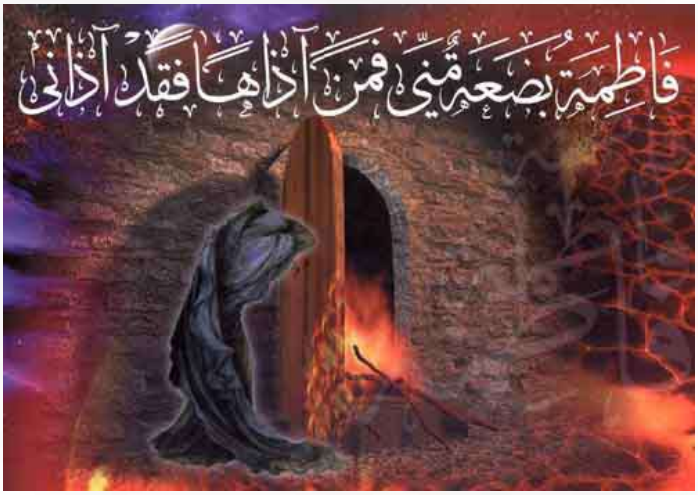

اقتضى الأمر أن ينزل القاضي منزلة الخصوم، فيكون خصماً وحكماً وهذا لا يجوز.

بل ورد في بعض الأخبار أن الزهراء عليها السلام صممت أن تقدم شهوداً أكثر فجاءت بعلي والحسنين وأم أيمن وأسماء بنت عميس لتلقي الحجة وتكشف النوايا وتفضح السرائر، وصمم أبو بكر أيضاً على مصادرة فدكاً وعدم الإقرار بالحق والتهرب من الواقع الذي ألزم نفسه به، فالتجأ إلى المغالطة بتجريح الشهود أما علي فزوجها والحسنان إبناما وهم يجرون لأنفسهم، وأسماء بنت عميس كانت تحت جعفر بن أبي طالب فهي تشهد لبني هاشم، وأما أم أيمن فامرأة أعجمية لا تفصح. وهذا من تهافت القول وخطله، وجهل القوم وتعنتهم، وغرور الحاكم وتعسفه. إذ جعل من أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً بنص القرآن ممن تطالهم التهمة وترقى إليهم الشبهة ومن شهد الرسول محمد صلى الله عليه وآله بأنهما من نساء الجنة.

وعند ذلك قام أمير المؤمنين علي عليه السلام وقال لأبي بكر: يا أبا بكر أتحكم فينا بخلاف حكم الله تعالى في المسلمين، فإذا كان في يد مسلم مال وهو يتصرف به بعنوان أنه مالك، وأنا أدعي ملكية ذلك المال، فمن أي واحد تطلب البينة، فقال أبو بكر: منك، فقال الإمام علي عليه السلام: فلماذا تطلب من فاطمة عليها السلام البينة على ما في يديها. وقد ملكته في حياة أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وكان كذلك حتى بعد وفاة أبيها، ولماذا لم تطلب من المسلمين الذين ادعوا البينة. فسكت أبو بكر ولم يحر جواباً. فقال عمر: اتركنا وحالنا لا نستطيع محاججتك، فإذا أتيت بشهود عدول فهي لفاطمة وإلا فهي فيء للمسلمين. فقال الإمام علي عليه السلام: يا أبا بكر أتقرأ القرآن؟ قال: نعم. فقال له الإمام علي عليه السلام: أخبرني عن قول الله عز وجل (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) الأحزاب:٣٣. بشأن من نزلت، أفينا نزلت أم في غيرنا؟ قال أبو بكر: فيكم نزلت هذه الآية. فقال الإمام علي عليه السلام: فلو شُهد على فاطمة (والعياذ بالله) بعمل الفاحشة فماذا تفعل؟ قال أبو بكر: أقيم عليها الحد الذي أقيمه على سائر المسلمين. فقال الإمام علي عليه السلام: إذن كنت عند الله من الكافرين. فقال أبو بكر: ولماذا؟ فقال له الإمام علي عليه السلام: لأنك أنكرت شهادة الله تعالى بالطهارة لفاطمة وقبلت شهادة الناس عليها، وقد رددت بذلك حكم الله ورسوله في حق فاطمة عليها السلام في فدك، وتعتقد أنها مال للمسلمين، في حين أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: البينة على المدعي واليمين على من أُدعي عليه، فوقعت بين الناس همهمة، نظر بعضهم إلى بعض وقالوا: صدق والله علي ابن أبي طالب[١٨] عليه السلام).

فدك من ميراث الزهراء عليها السلام:

لا خلاف بين المسلمين أن فدكاً هي ملك خالص لرسول الله صلى الله عليه وآله بنص آية الفيء لأنها لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، فيحتمل فيها أمران إما أنه صلى الله عليه وآله نحلها إلى الزهراء عليها السلام ـ كما هو الثابت ـ قبل وفاته صلى الله عليه وآله، أو بقيت في ملكه وتصرفه حتى وفاته صلى الله عليه وآله.

فأما الأمر الأول فرده أبو بكر جهلاً

وتعسفاً مخالفاً في ذلك الشريعة والقانون، وحيث أن لصاحب الحق أن يسلك أي طريق مشروع يوصله إلى حقه حتى إذا تعددت الدعاوى عنده، وهذا شيء يقره الشرع والقانون المدني، فعلى اعتبار إن فدك مما أفاء الله به على رسوله فإذا لم تنتقل في حياته إلى الزهراء عليها السلام بحسب زعم أبي بكر، فلابد أن تنتقل إليها بعد وفاته بالميراث، لأنها الوريثة الشرعية الوحيدة لأبيها رسول الله صلى الله عليه وآله على رأي الشيعة، أو أن العباس يشاركها على رأي السُنة القائلين بالعصبة[19]؛ ولا يختص ذلك بفدك مما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وآله في المدينة وخارجها. وهذا أمر اتفق عليه فقهاء الشريعة والقانون وتسالمت آراؤهم فيه إنه إذا ثبت موت إنسان تنتقل تركته إلى ورثته[20] مع اختلاف في التوزيع بين طبقات الورثة في المذاهب الإسلامية وبين القانون المدني. وفي الجملة إن الزهراء عليها السلام ترث نصيبها من أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله شرعاً وقانوناً.

وعلى هذا رجعت الزهراء عليها السلام على أبي بكر مطالبة بميراثها من أبيها صلى الله عليه وآله ومن جملته فدك، فاستشعر قدوم الخطر مجدداً من بنت الرسالة عليها السلام فانبرى لدفعها بما تَقَوّلَ على رسول الله صلى الله عليه وآله به: إنا معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة[21]. مخالفاً به صريح القرآن الكريم وعمومه في الميراث مثل صريح قوله تعالى في توريث الأنبياء: (وورث سليمان داود) النمل:١٦. وقوله عز وجل على لسان زكريا: (فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب) مريم:٦. وقوله عزّ من قائل حكاية عن دعاء زكريا: (رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين) المؤمنون:١٠.

وأما عموم التوريث فقوله تعالى: (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً) النساء:٧. وقوله عز وجل: (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) النساء:١١. وقوله عز وجل: (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) الأنفال:٧٥.

وهذه النصوص الصريحة والعمومات في توريث الآباء للأبناء أنبياءً أم غيرهم في القرآن الكريم، ولا خلاف بين المسلمين في أنه لا يجوز تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد كحديث أبي بكر (لا نورّث)؟

ولكن ورد في شرح النهج وكنز العمال وغيرهما أن المروية خالية من قيد (ما تركناه صدقة). فربما تكون هذه زيادة من أبي بكر لدفع دعوى الزهراء عليها السلام، إذ يمكن توجيه صدر الرواية على أن الأنبياء ليسوا طلاب دنيا وأموال يكتنزونها وديار يعمرونها حتى يورثون، بل إن نظرهم عليهم السلام لما أعد الله عز وجل لهم في الآخرة وعملهم فيما يقربهم إلى رضوان الله تعالى أكثر، وتعمير الدنيا خلاف هدفهم وغايتهم وسلوكهم في الحياة وفي بناء الإنسان. ولكن لا ملازمة بين هدفهم عليهم السلام وسلوكهم في الحياة وبين توريثهم لو حصل اتفاقاً لأن القرآن نصّ على توريثهم بالخصوص والعموم كما مر.

وبتمسك أبي بكر بهذه المروية المختلقة أراد إسقاط ميراث الزهراء عليها السلام ودفعها عن فدك وبنى على ذلك، فخرجت عليها السلام إلى المسجد وألقت بخطبتها

العظيمة على مسامع أبي بكر والمهاجرين والأنصار بعد أن ضرب بينها وبينهم ستار... ثم وعظتهم وذكرتهم ووبختهم. ثم توجهت بالكلام إلى أبي بكر ومحاججته ـ ومن جملة خطبتها موضع الشاهد ـ أيها الناس اعلموا أني فاطمة وأبي محمد... تجدوه أبي دون نسائكم... بلى قد تجلى لكم كالشمس الضاحية أني ابنته. أيها المسلمون! أأغلب على إرثي؟ يا ابن أبي قحافة، أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئاً فرياً! أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟ إذ يقول: (وورث سليمان داود) وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا إذ قال: (فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب) وقال: (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) وقال: (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) وقال: (إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين). وزعمتم أن لا حظوة لي ولا إرث من أبي ولا رحم بيننا، أفخصكم الله بآية أخرج أبي منها؟ أم هل تقولون: إن أهل ملتين لا يتوارثان؟ أو لست أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟ فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله والزعيم محمد صلى الله عليه وآله والموعد القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون...)[٢٢].

فنستقرأ من هذا النص بعد أن عرَّفت بنفسها وأنها البنت الوحيدة للرسول صلى الله عليه وآله دون نسائكم فهي ترثه وحدها، وأشارت لأبي بكر كيف ترث أباك ولا أرث أبي هل هناك آية تخصكم بالإرث أُخرج أبي صلى الله عليه وآله منها؟ وهل أنت أعلم بعموم القرآن وخصوصه من أبي وابن عمي حتى يكون لك رأي يخالفهما؟ وهذه نصوص القرآن في الإرث عامها وخاصها فلم نبذتموها وراء ظهوركم؟ أو لست أنا وأبي من أهل ملة واحدة إشارة إلى أحد الأمور المانعة من التوارث شرعاً إذ إن غير المسلم لا يرث المسلم وكلاهما مسلمين. فأحجم أبو بكر.

نعم ورد في بعض الأخبار أن أبا بكر رد عليها فدك وكتب في ذلك كتاب ولكن لما جاء عمر وفي رواية رآها بالطريق وعرف بالكتاب أخذه وبصق فيه ومحا ما فيه ومزقه، خارجاً بذلك عن طاعة إمام زمانه، مستهيناً بما حكم! وقال لأبي بكر: مماذا تنفق على المسلمين وقد حاربتك العرب[٢٣].

ومنعت الزهراء عليها السلام من إرث أبيها صلى الله عليه وآله بعد أن استحقته بنص القرآن الكريم، كما أثبت ذلك لها القانون المدني، بدعوى الصدقة، وقد علق الكاتب المصري الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود

قال النبي صلى الله عليه وآله: «فاطمة بضعة منّي وأنا منها، من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذاها بعد موتي فكان كمن آذاها في حياتي، ومن آذاها في حياتي كان كمن آذاها بعد موتي».

فاطمة أمّ أبيها

على هذا بقوله: وقيل بل تسري عليهما قاعدة الصدقة، حق أن نتساءل: ولماذا لم يعمل النبي فيها حديثه هذا فيتصدق بها وهو بعد على قيد الحياة؟ ولقد ثبت إنه صلوات الله عليه، كان يملك قبيل وفاته سبعة دنانير، خاف أن يقبضه الله وهي في حوزته فأمر أهله أن يتصدقوا بها، وألح عليهم... فلما أن أنساهم أمرها تلهفهم عليه، لم تنسه هو حشرجته، فطاردهم بسؤاله عن المال حتى جاءوه به، وعندئذ وضعه في كفه وقال: ما ظن محمد بربه لو لقي الله وعنده هذه؛ ثم أمر فتم التصدق بها على الفقراء، فهل يمكن القول بأن رسول اللهﷺ - الذي لم يغفل عن الدنانير على قلتها - يغفل أمر الأرض وهي أكثر الكثير؟ أم يمكن القول بأن الصدقة مقصورة على المال السائل، أو المال المنقول، مصداقاً لقول الله في محكم التنزيل: (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله)التوبة:٣٤. كلا لم يتصدق محمد بفدك لأنها لا تقع في مجال تطبيق ذلك الحديث المنقول عن أبي بكر، فلم تكن ملكاً له، بل كانت ملكاً لسواه.... ملكاً لإبنته الزهراءعليها السلام، لم ينازعها في ملكها أحد من الناس كما هو ثابت في التاريخ[٢٤].

فدك وسهم ذوي القربى:

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: واعلم إن الناس يظنون أن نزاع فاطمة أبا بكر كان في أمرين: في الميراث والنحلة، وقد وجدت في الحديث إنها نازعت في أمر ثالث ومنعها أبو بكر إياه أيضاً وهو سهم ذوي القربى[٢٥] وهو ما نصّ عليه القرآن الكريم في قوله تعالى: (واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل...) الأنفال:٤١. وقسم رسول اللهﷺ الخمس إلى ستة أقسام سهمان لله ورسوله، وسهم لذوي القربى قسمه رسول اللهﷺ بين أقربائه من بني هاشم وثلاث أسهم لمن شملته الآية الكريمة منهم، منها أنهﷺ جعل (الكتيبة) من غنائم خيبر بعد أن أعطى للمسلمين حقهم، خمس الله وخمس الرسول وسهم ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فيها[٢٦]. ولكن جعل أبو بكر خمس الغنائم في ثلاث سهام ومنع سهم ذوي القربى وجعله في سبيل الله في السلاح والكراع، وجعل بني هاشم كغيرهم من اليتامى والمساكين وأبناء السبيل[٢٧] فنهضت له الزهراءعليها السلام ثالثة مطالبة بحقها من سهم ذوي القربى من الخمس إضافة لميراثها من سهم أبيهاﷺ واستدلت بقوله تعالى: (واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل...).

وما خروجهاعليها السلام طمعاً فيما تبتغي

من حقها وما تستحصله منه، إذ أغلب ما وصل إليها منه في حياة أبيها ﷺ كان بين الفقراء والمساكين وهي الزاهدة العابدة، بل هو درس للتمسك بالحق وعدم التخلي عنه ما دام هناك طريق يوصل إليه. وإمعاناً في فضح الواقع السياسي والاجتامعي للنظام القائم.

فرُد طلبها ومنعها حقها أيضاً. إذ قال لها: بأبي أنت وأمي ووالدٍ ولدك، السمع والطاعة لكتاب الله ولحقّ رسول الله، وحق قرابته، وأنا أقرأ من كتاب الله الذي تقرئين منه، ولم يبلغ علمي منه إن هذا السهم من الخمس يسلم إليكم كاملاً، قالت: أفلك هو ولأقربائك؟ قال: لا بل أنفقت عليكم منه وأصرف الباقي في مصالح المسلمين.

قالت: هذا ليس حكم الله تعالى، قال هذا حكم الله فإن كان رسول الله ﷺ عهد إليك في هذا عهداً أو أوجبه لكم حقاً صدقتك وسلمته كله إليك وإلى أهلك، قالت: إن رسول الله ﷺ لم يعهد إليّ عهداً في ذلك بشيء إلا إني سمعته يقول لما أنزلت هذه الآية أبشروا آل محمد فقد جاءكم الغنى، فقال أبو بكر: لم يبلغ علمي من هذه الآية أن أسلم إليكم هذا السهم كله كاملاً، ولكن لكم الغنى الذي يغنيكم ويفضل عنكم، وهذا عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح فاسألهم عن ذلك وانظري هل يوافقك على ما طلبت أحد منهم.

فانصرفت إلى عمر فقالت له مثل ما قالت لأبي بكر، فقال لها مثل ما قاله لها أبو بكر، فعجبت فاطمة عليها السلام من ذلك وتظنت أنهما كانا قد تذاكرا ذلك واجتمعا عليه[٢٨]. وكما ترى دَفَع الصديقة الطاهرة عليها السلام معللاً بعدم علمه بأن سهم ذوي القربى لهم كاملاً، ومنعه عنهم لرأي رآه وجعله فيء للمسلمين وهو لذي القربى بنص القرآن مخالفاً حكم الله تعالى فيهم، وليس هذا بغريب عليه، إذ روى الشعبي، سئل أبو بكر عن الكلالة، فقال: إني سأقول فيها برأيي فإن يك صواباً فمن الله، وإن يك خطأ فمني ومن الشيطان، أراه ماخلا الولد والوالد، فلما استخلف عمر قال: إني لأستحيي الله أن أرد شيئاً قاله أبو بكر[٢٩].

ومن هذا وغيره شعرت الزهراء عليها السلام أن في البين مؤامرة مُحكمة على مصادرة حقها، حيث تعجبت من تشابه مقولة عمر مع أبي بكر وتظنت أنهما كانا قد تذاكرا ذلك واجتمعا عليه. وعزما على مصادرة حقوقها عليها السلام بالقهر والتعسف وتأويل الكلام، أما من باب رد الجميل لرسول الله ﷺ حيث يحفظ المرء في ولده، أو تمسكاً بقوله تعالى: (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) الشورى:٢٣.

وقبل الختام ننقل هذا الكلام للشيخ الأزهري المصرمحمود أبو رية (رحمه الله) عن موقف أبي بكر من الزهراء عليها السلام في الميراث بقوله:

(إننا لو سلمنا بأن خبر الآحاد الظني يخصص الكتاب القطعي، وإنه قد ثبت أن النبي ﷺ قال: إنا لا نورث. وإنه لا تخصيص في عموم هذا الخبر، فإن أبا بكر كان يسعه أن يعطي فاطمة(رضي الله عنها) بعض تركة أبيها، كأن يخصها بفدك، وهذا من حقه الذي لا يعارضه فيه

فاطمة أمّ أبيها

أحد، إذ يجوز للإمام أن يخص من يشاء بما يشاء، وقد خص هو نفسه الزبير بن العوام ومحمد بن مسلمة وغيرهما ببعض متروكات النبيﷺ، على أن فدك هذه التي منعها أبو بكر من فاطمة لم تلبث أن أقطعها الخليفة عثمان لمروان[٣٠].

وهذا بعض ما ترى مما جرى مختصرا، فأحجمت عنهما بنت المصطفى، وهجرتهما ساخطة غاضبة عليهما، حتى لقاها ربها شاكية وأبيها، وبعلها موصية أن لا يصليا على جنازتي وعلى قبري لا يقفا وإليه لن يهتديا، هذا الذي نُقل متواتراً.

ونعم ما قال شريف مكة:

جرعاها من بعد والدها الغـ
ـيظ مراراً فبئسما جرعاها
ليت شعري ما كان ضرهما
الحفظ لعهد النبي لو حفظاها
كان إكرام خاتم الرسل الهادي
البشير النذير لو أكرماها
إن فعل الجميل لم يأتياه
وحسان الأخلاق ما اعتمداها
ولو ابتيع ذاك بالثمن الغالي
لما ضاع في إتباع هواها
أترى المسلمين كانوا يلومو
نهما في العطاء لو أعطياها
كأن تحت الخضراء بنت نبي
صادق ناطق أمين سواها
بنتُ مَن؟ أمّ مَن؟ حليلةُ مَن؟
ويلٌ لمن سنّ ظُلمها وآذاها ■

---

(١) انظر معجم البلدان للحموي، الروض المعطار للحميري. مادة: فدك.
(٢) كشف المحجة ص٩٤.
(٣) انظر تاريخ الطبري السنة السابعة وفتوح البلدان، الكامل لإبن الأثير.
(٤) انظر مجمع البحرين، النهاية في غريب الحديث والمفردات مادة: وجف، وجف.
(٥) انظر ينابيع المودة للقندوزي الحنفي والدر المنثور للسيوطي.
(٦) مجمع البحرين مادة: نحل.
(٧) كنز العمال ٢/ ٧٦٧، الدر المنثور ٥/ ٢٣٤.
(٨) الدر المنثور ٤/ ١٧٧.
(٩) فدك للقزويني ص١٣.
(١٠) انظر الوسيط للسنهوري، ورسائل الفقهاء العملية.
(١١) وسائل الشيعة، كتاب القضاء.
(١٢) انظر الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، كتاب القضاء ٣/ ٧٦.
(١٣) انظر الوسيط لعبد الرزاق السنهوري.
(١٤) شرح النهج ١٦/ ٢١٨، فتوح البلدان ص٣٨، كنز العمال ٣/ ١٣٠.
(١٥) الرياض النضرة ٢/ ٢٠٢، مستدرك الصحيحين ٣/ ١٦٠، حلية الأولياء ٢/ ٤١.
(١٦) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٦/ ٢١٩.
(١٧) فدك للقزويني، مقدمة المحقق ص١٥.
(١٨) انظر الاحتجاج للطبرسي ١/ ٢٣٤.
(١٩) فدك للقزويني، مقدمة المحقق ص١٨.
(٢٠) انظر الوسيط لعبد الرزاق السنهوري.
(٢١) انظر وفاء الوفا للسمهودي وسيرة الحلبي وسنن أبي داود وغيرها.
(٢٢) انظر بلاغات النساء، شرح النهج وغيرها.
(٢٣) شرح النهج ١٦/ ٢٧٤، السيرة الحلبية ٣/ ٣٩١.
(٢٤) تقديم لكتاب (فدك للقزويني) ص٧.
(٢٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦/ ٣٣٠.
(٢٦) انظر تاريخ الطبري ٣/ ١٩.
(٢٧) انظر شرح نهج البلاغة ١٦/ ٢٣١، الكشاف للزمخشري آية الخمس.
(٢٨) شرح النهج ١٦/ ٢٣٠.
(٢٩) انظر سنن البيهقي ٦/ ٢٢٣، سنن الدارمي ٣/ ٣٦٥.
(٣٠) شيخ المضيرة ص١٦٩.

النفحة القدسية

في ذكرى مولد سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام

• السيد عبد الأمير جمال الدين

ماذا أقولُ بمولِدِ الزّهراءِ ... والشِعرُ كم يعصِي عَلى الشعراءِ
ءَأقولُ فيها (نفحَة قدسيّة) ... إنسية وُلدت بروح سماءِ
أَمِنَ الملائِكِ وَهي أنقى مِنْهم ... شَرفاً سَمتْ فيه عَلى القرناءِ
هِي بضعة الهادي الرسولِ وَنفسهُ ... فِيها استقرتْ فَهي نبعُ ضياءِ
يُؤذيه مَن يؤذي الزكية والذي ... يؤذيه يؤذي الله في الزهراءِ!
هِي كوثر يروي القلوبَ نميرهُ ... عذب غَدا يجري بأطهر ماءِ
وهي البَتولُ وفاطمُ وهيَ التي ... تسمُو بِمَجدها على العذراءِ
الله شرَّفها وعظَّم شأنها ... بَينَ النساءِ بأكرم الأسماءِ
أمّ النبيّ وأمّ ساداتِ الوَرى ... تزهو بثوبِ الطهرِ والخيلاءِ
ما كان لولاها وُجود أئمَّة ... تنمى لخيرِ الخلق في الأمناء
أوتادُ هذي الأرض بَل عمّارُها ... بالدين والإيمان دون مِراءِ
كلّ لَه فيها مَقامٌ شامخٌ ... متضوع بالعطرِ وَالآلاءِ
هُم بهجةُ الدنيا وَجنّة أُنسِها ... بل جنّة المأوى بدار بقاءِ
لهم الخلود على المدى وعدوَّهم ... سارتْ به الأيام صوبَ فناءِ
إنّا بِهم مُتمسّكونَ وَحسبُنا ... أنا نراهم أعظمَ الشفعاءِ
فَإذا سَكبت عَواطفي بقَصيدتي ... وبها مزجتُ عقيدتي بدمائِي
ما كُنتُ إلاّ مُغرماً بِهواهم ... أختالُ مزهواً بُبردِ وفاءِ
وَالعاشقونَ الهائمونَ عشائر ... وعشيرتي تنمى إلى الزهراءِ
هُم آل البيت الوحي مَن أسماؤهم ... للصبِّ والمكلوم خير دواءِ
أعطتهُم الزهراءُ سِرَّ نَقائها ... إلا من الآباء للأبناءِ
يا شادن غرِّد فمَولدها بَدا ... فجراً يموج بالطفِ الأنداءِ
وإذا وَقفت على (البقيع) فَخصّها ... منّي السلام مُضمّخاً بولائِي
فأنا المَشوق وَفي الفؤاد لواعج ... أمنت تضجُّ بهِ مَع البُرحاءِ
أوَ ليستِ الزهراء غايَة سؤلنا ... فمَتى تقرُّ عُيوننا بلقاءِ

قبر الزهراء عليها السلام.. حديث وآراء

• محمد جواد فخر الدين

ينابيع من البديهيات التي لا يمكن التغاضي عنها هو ارتباط تاريخنا الإسلامي ومنذ البدايات الأولى لتدوينه (العصر الأموي) بجملة أمور ومفاهيم أسهمت إلى حد بعيد في دثر الكثير من الحقائق من جهة، وتزوير وتلفيق حقائق من جهة أخرى، وذلك حسبما تقتضيه المصلحة التي من أجلها تبقى الأنظمة السياسية الحاكمة آنذاك على مركزيتها وأحقيتها في الحكم لأنها كانت ترى في نشر تلك الحقائق سيؤدي إلى إرباك الأوضاع وزعزعة الرأي العام وخاصة أمام العامة (الجمهور) دون الخاصة (طبقات العلماء والمثقفين)[1].

ومن أجل ذلك سلكت أكثر من طريق وطريق، بالترغيب مرة عن طريق بذل الأموال والعطايا على المدونين سواء كانوا من نقلة الحديث أم من رواته، وبالترهيب مرة أخرى بالحبس والقتل والتشريد، ومن يتتبع التاريخ الأموي والعباسي سيجد أمثلة حيّة لا تحتاج إلى برهان.

ومن الأمور التي لم تزل مثار نقاش وجدل بين علماء المسلمين على مختلف مذاهبهم ومشاربهم الفكرية، والتي يمكن أن نطلق عليها بـ(ظلامة الزهراء) عليها السلام.

ومن يقرأ هذه الفترة الحرجة من تاريخ المسلمين سيرتطم بجدار صلد من الروايات الزائفة الواضحة أمام الأعين، والتفاف الأحداث التاريخية حول نفسها دون الخروج بنتيجة.

حيث نجد عدة تيارات ممثلة بمدوني الحديث بالجانب الأول والمؤرخين بالجانب الثاني، أضف إلى ذلك كتب الرجال ومن يسير في ركابهم ممن دونوا تلك المرحلة، حيث نجد البعض منهم يحاول أن

يطمس الأحداث ولا يتعرض لها لا بقريب ولا بعيد، والبعض الآخر يزيّف ويحذف حسبما تشتهيه رغبته أو مصلحته، بينما يسير البعض الآخر في خط أكثر اعتدالاً من غيره محاولاً تزويق الأحداث وتلطيف الأجواء وتبرئة ساحة المقابل بإيجاد الأعذار الواهية والتي لا تتناسب مع سوء الأفعال[٢].

ويبدو أن الزهراء عليها السلام كانت ترى هذه الأحداث بنظر ثاقب وهي لاشك كانت على علم مسبق أن مجمل الأحداث التي عاشتها بعد وفاة الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله من محن وآلام وغصب حقها، أن هناك من سيعمل على إخفاء هذه الحقائق وتجريدها عن إطارها الصحيح، بل وتلفيقها وجعل الطرف المقابل بريء براءة الذئب من دم يوسف.

نعم وهذا ما نجده اليوم واضحا في كثير من كتابات المؤرخين سواء كانوا المتقدمين أم المحدثين الذين يحاولون بشتى الطرق أبعاد مجمل التهم عن الذين اشتركوا في غصب حق الزهراء من جانب، وواقعة الدار وما جرى فيه من انتهاك حرمة البيت النبوي الذي طالما وقف عليه الرسول محمد صلى الله عليه وآله يستأذن الدخول ويقول هكذا أمرني ربي. وهذا ما أشارت له المصادر حيث نقل عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام قال: لما بنى أمير المؤمنين بفاطمة عليها السلام اختلف رسول الله صلى الله عليه وآله إلى بابها أربعين صباحاً كل غداة يدق الباب ثم يقول: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة الصلاة رحمكم الله: (إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)، ثم قال: يدق دقا أشد من ذلك ويقول أنا سلم لمن سالمتم وحرب لمن حاربتم[٣].

وهذا الخليفة نفسه وفي نص صريح يعتذر عما بدر منه في يوم الدار وقد روته مجموعة غير قليلة من المصادر وقد كان ذلك قبيل وفاته حيث نقل عنه ما نصه: عن حميد بن عبد الرحمن عن أبيه قال دخلت على أبي بكر رضي الله عنه أعوده في مرضه الذي توفي فيه فسلمت عليه... ثم قال أما إني لا آسي على شيء إلا على ثلاث فعلتهن وددت أني لم أفعلهن وثلاث لم أفعلهن وددت أني فعلتهن وثلاث وددت أني سألت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عنهن فأما الثلاث اللاتي وددت أني لم أفعلهن فوددت أني لم أكن كشفت بيت فاطمة أو تركته وأن أعلق على الحرب وددت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قدفت الأمر في عنق أحد الرجلين أبو عبيدة أو عمر فكان أمير المؤمنين وكنت وزيراً...[٤].

ولسنا هنا نحاول أن نستقصي تلك الأحداث التي مرت على الزهراء عليها السلام بقدر ما هو إيضاح للبصائر التي قد غشاها الظلام ولا تحاول أن تنظر إلى الحقائق بعيداً عن العواطف والميل إلى فئة دون أخرى، ولا نريد أن نكون كقوم إبراهيم إذ: (قالُوا أَ أَنْتَ فَعَلْتَ هذا بِآلِهَتِنا يا إِبْراهِيمُ قالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ فَرَجَعُوا إِلى أَنْفُسِهِمْ فَقالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ثُمَّ نُكِسُوا عَلى رُؤُسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ ما هؤُلاءِ يَنْطِقُونَ قالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلا يَضُرُّكُمْ

فاطمة أمّ أبيها

أُفٍّ لَكُمْ ولما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّه أَفَلا تَعْقِلُونَ قالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فاعلين)[٥] أو كما قال سبحانه وتعالى: (وَإِذا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّه أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهادُ)[٦].

إذن كانت فلسفة الزهراء في هذا الأمر على قدر كبير من الأهمية لذا كان أفضل شيء لحفظ حقها وبيان مظلوميتها أنّها (عليها السلام) أوصت بأن تدفن ليلا حتى لا يصلّي عليها الرجلان، وصرّحت بذلك، وعهدت فيه عهدا بعد أن كانا استأذنا عليها في مرضها ليعوداها، فأبت أن تأذن لهما، فلمّا طال عليهما المدافعة رغبا إلى أمير المؤمنين عليه السلام في أن يستأذن لهما، وجعلاها حاجة إليه، فكلّمها أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك وألحّ عليها فأذنت لهما في الدخول، ثم أعرضت عنهما عند دخولهما ولم تكلّمهما، فلمّا خرجا قالت لأمير المؤمنين عليه السلام قد صنعت ما أردت قال نعم. قالت: فهل أنت صانع ما آمرك قال نعم. قالت فإنّي أنشدك الله أن لا يصلّيا على جنازتي، ولا يقوما على قبري[٧].

وعلى الرغم من أن بعض المؤرخين قد انفردوا دون غيرهم وذكروا أن الشيخين قد صلا على الزهراء عليها السلام وذلك ما نقله الشعبي قال: صلى عليها أبو بكر رضي الله عنه وعنها[٨]، وفي رواية أخرى قال: صلى أبو بكر الصديق على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبر عليها أربعاً[٩].

في حين أن كثير من مصادر أهل السنة المعتبرة تذكر عدم حضور الخليفة جنازة الزهراء[١٠] عليها السلام.

ونقل كذلك قاضي القضاة في المغني بأنّه قد روي أنّ أبا بكر هو الذي صلّى على فاطمة عليها السلام وكبّر أربعا، وهذا أحد ما استدلّ به كثير من الفقهاء في التكبير على الميّت، ولا يصحّ أنّها دفنت ليلا، وإن صحّ ذلك فقد دفن رسول الله صلى الله عليه وآله ليلا، وعمر دفن ليلا، وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يدفنون بالنهار ويدفنون بالليل، فما في هذا ممّا يطعن به، بل الأقرب في النساء أن دفنهنّ ليلا أستر وأولى بالسنّة. وردّ عليه السيّد الأجل في الشافي بأنّ ما ادّعيت من أنّ أبا بكر هو الذي صلّى على فاطمة(ع) وكبّر أربعاً، وأنّ كثيراً من الفقهاء يستدلّون به في التكبير على الميّت فهو شيء ما سمع إلاّ منك، وإن كنت تلقيّته عن غيرك فممّن يجري مجراك في العصبية، وإلاّ فالروايات المشهورة وكتب الآثار والسير خالية من ذلك، ولم يختلف أهل النقل في أنّ أمير المؤمنين عليه السلام صلّى على فاطمة عليها السلام إلاّ رواية شاذّة نادرة وردت بأنّ العباس صلّى عليها[١١].

وروى ابن أبي الحديد عن أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن هشام بن محمد عن أبيه قال: قالت فاطمة عليها السلام لأبي بكر إنّ أمّ أيمن تشهد لي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاني فدك. فقال يا بنت رسول الله والله ما خلق الله خلقا أحبّ إليّ من رسول الله صلى الله عليه وآله أبيك ولوددت أنّ السّماء وقعت على الأرض يوم مات أبوك، والله لئن تفتقر عائشة أحبّ إليّ من أن تفتقري، أتراني أعطي الأسود والأحمر حقّه وأظلمك حقّك وأنت بنت رسول الله صلى الله عليه وآله إنّ هذا المال لم

يكن للنبيﷺ وليته كما كان يليه قالت والله لا كلّمتك أبدا. قال والله لا هجرتك أبدا. قال والله لأدعونّ الله عليك. قال والله لأدعونّ الله لك. فلمّا حضرتها الوفاة أوصت أن لا يصلّي عليها، فدفنت ليلا، وصلّى عليها العباس بن عبد المطلب، وكان بين وفاتها ووفاة أبيهاﷺ اثنتان وسبعون ليلة[١٢].

و ممّا يؤيّد إخفاء دفنها جهالة قبرها والاختلاف فيه بين الناس إلى يومنا هذا، ولو كان بمحضر من الناس لما اشتبه على الخلق ولا اختلف فيه.

ونقرأ ذلك واضحا عند ذكر قبر فاطمةعليها السلام حيث نقل ابن سعد في طبقاته عن محمد بن عمر قال: سألت عبد الرحمن بن أبي الموالي قال: قلت إن الناس يقولون إن قبر فاطمة في المسجد الذي يصلون به على جنائزهم بالبقيع، فقال: والله ما ذاك إلا مسجد رقية - يعني امرأة عمر - وما دفنت فاطمة إلا في زاوية دار عقيب مما يلي دار الجحشيين مستقبل خرجة بني نبيه من بني عبد الدار بالبقيع وبين قبرها وبين الطريق سبعة أذرع[١٣].

وفي رواية أخرى عن عبد الله بن حسن قال: وجدت المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام واقفا ينتظرني بالبقيع نصف النهار في حر شديد فقلت ما يوقفك يا أبا هاشم هاهنا قال انتظرتك بلغني أن فاطمة دفنت في هذا البيت في دار عقيل مما يلي دار الجحشيين فأحب أن تبتاعه لي بما بلغ أدفن فيها فقال عبد الله والله لأفعلن فجهد بالعقيليين فأبو قال عبد الله ابن جعفر وما رأيت أحد يشك أن قبرها في ذلك الموضع[١٤].

وقال الواقدي: قلت لعبد الرحمن ابن أبي الموالي إن الناس يقولون إن قبر فاطمة بالبقيع فقال ما دفنت إلا في زاوية في دار عقيل، بين قبرها وبين الطريق سبعة أذرع[١٥].

لقد كان لاختلاف المؤرخين حول موضع القبر الشريف لأن وصية الزهراءعليها السلام كانت تؤكد على ذلك والإمام عليعليه السلام نفذ تلك الوصية بحذافيرها، وهذا الاختلاف في موضع القبر نجده متداول كذلك في كتب الشيعة أنفسهم[١٦]، بل حتى أن بعض خطباء المنبر الحسيني لازالوا عند مرورهم في دفن الزهراءعليها السلام يذكروا أن هناك تشيعا قد جرى وكأن الإمام دفن الزهراءعليها السلام خارج الدار، نعم إنه دفنها ليلاً لكن من المستحيل أنه دفنها خارج البيت وذلك للأسباب الآتية:

أولاً: من المُسلّم به أن باب الدار كانت مطلة على مسجد النبيﷺ فمن غير المعقول أن يخرج بها، ولم يكن ليخلو من المصلين والمتعبدين هذا من جهة، وهذا لاشك يثير انتباه الموجودين.

ثانياً: ولو نفترض أن الإمام أخرجها ليلا فلا شك أن حركتهم مع قلة المشيعين كان يثير بعض الأصوات، بينما كان الإمام حريصا على عدم تبيان الأمر وبشتى الطرق.

ولا شك أن الإمام وجد أفضل الأمور هو دفنها في الدار لئلا ينتبه الناس إلى ذلك ويبقى موضع القبر موضع اختلاف بين المسلمين لكي لا تنسى ظلامة الزهراء أو محاولة إخفاء الحقائق لكي لا تضيع على جمهور المسلمين.

فاطمة أمّ أبيها

وهذا ما أشار إليه أئمة أهل البيت عليهم السلام فعن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: سألت الرضا عليه السلام عن قبر فاطمة عليها السلام فقال: دفنت في بيتها فلما زادت بنو أمية في المسجد صارت في المسجد[17].

وروى السمهودي في وفاء الوفا عن الإمام جعفر الصادق عن أبيه عليهما السلام: أن علياً دفن فاطمة عليها السلام ليلا في منزلها الذي دخل في المسجد، فقبرها عند باب المسجد، المواجه دار أسماء بنت حسين بن عبد الله ـ في وقته ـ وهو الباب الذي كان في شامي باب النساء في المشرق[18].

وذكر الشيخ الصدوق قدس سره هذه الاختلافات بقوله: اختلفت الروايات في موضع قبر فاطمة سيدة نساء العالمين عليها السلام، فمنهم من روى أنها دفنت في البقيع، ومنهم من روى أنها دفنت بين القبر والمنبر وأن النبي صلى الله عليه وآله إنما قال: ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة لأن قبرها بين القبر والمنبر، ومنهم من روى أنها دفنت في بيتها فلما زادت بنو أمية في المسجد صارت في المسجد وهذا هو الصحيح عندي[19].

وهذا ما أشار أليه الشيخ الطوسي قدس سره ما نصه: وقد اختلف أصحابنا في موضع قبرها، فقال بعضهم: إنها دفنت بالبقيع، وقال بعضهم: أنها دفنت بالروضة، وقال بعضهم: أنها دفنت في بيتها، فلما زاد بنو أمية لعنهم الله في المسجد صارت من جملة المسجد، وهاتان الروايتان كالمتقاربتين والأفضل عندي أن يزور الإنسان من الموضعين جميعا فانه لا يضره ذلك ويحوز به أجرا عظيما، وأما من قال أنها دفنت بالبقيع فبعيد من الصواب[20].

وعليه من خلال مجموع الروايات الواردة في هذا الشأن والتي لا يمكن الطعن فيها أن قبر الزهراء عليها السلام اليوم في المسجد النبوي، وهو ليس كما يتصور البعض في البقيع وهو بعيد عن الصواب ■

---

(١) محمد جواد فخر الدين، مقدمة كتاب الدرة البيضاء في شرح خطبة الزهراء للسيد هادي الصائغ، ص٤.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المجلسي، بحارالأنوار ج: ٣٥/ ٢١٦. وينظر في هذا المضمون: القرطبي، التفسير ،٢٦٣/١١.
(٤) المقدسي، الأحاديث المختارة ٨٩/١، الهيثمي، مجمع الزوائد ٢٥٢/١،الطبراني، المعجم الكبير، ٦٢/١، الطبري، تاريخ، ٢٥٣/٢.
(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٦٣-٦٨.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٠٦.
(٧) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ٢٨١/١٦.
(٨) ابن سعد، الطبقات الكبرى ٢٩/٨.
(٩) المصدر السابق.
(١٠)الحاكم، المستدرك، ١٧٨/٣، البيهقي، السنن ٣١/٤، ابن أبي شيبة، مصنف ٣١/٣، الصنعاني، المصنف ٢٥١/٣، ابن حجر، فتح الباري ٤٩٤/٧، ابن حجر، الإصابة ٥٩/٨. وهناك مصادر أخرى لم نذكرها لعدم الإطالة.
(١١) المجلسي، بحار الأنوار، ٣٨٨/٢٩.
(١٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ٢١٥/١٦.
(١٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى ٢٩/٨.
(١٤) المصدر السابق.
(١٥) ابن حجر، الإصابة، ٥٩/٨.
(١٦) ابن شهراشوب، المناقب، ١٣٢/٣
(١٧) ابن شهراشوب، المناقب، ١٤٠/٣، الكليني، الكافي، ٤٦١/١، الصدوق، من لا يحضره الفقيه ٢٢٩/١.
(١٨)نقلا عن:بيومي، السيدةفاطمةالزهراءص١٧٦.
(١٩) من لايحضره الفقيه،٥٧٢/٢.
(٢٠) تهذيب الأحكام، ٩/٦.

الزهراء عليها السلام
في ببليوغرافيا أهل السنّة والجماعة

• علي جهاد الحساني
مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العامة

ينابيع لكم كنت أتمنى ومن خلال عملي في قسم المخطوطات في مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العامة في النجف أن أجمع الآثار المخطوطة والمطبوعة التي كتبت في أهل البيت عليهم السلام التي اختطتها أنامل المؤلفين والكتّاب من أهل السنة والجماعة ضمن معجم لتكون دليلاً للباحثين، إلا إن مشاغلي في هذا القسم والظروف التي كانت تحيط ببلدي الجريح أبان النظام البائد، أقعست خطواتي بعض الشيء نحو إكمال هذا المشروع... وشاء الله أن أخوض هذا المضمار المبارك بخطى يسيرة عندما أشار عليَّ الأستاذ العزيز حيدر الجد أن أكتب الآثار العامة لسيدتنا ومولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام. فتوكلت على الله وقمت بجمع ما تيسر لي من أسماء المخطوطات والمطبوعات في هذا المجال والتي زينت أوراقها فاطمة الزهراء عليها السلام.

ورغم السعي الحثيث لتقليل الخطأ ما أمكن ومن خلال ما يحمله هذا الجمع من فترة قصيرة، فما من بحث أو كتاب يخلو من خطأ إلا كتاب الله عز وجل، لذا أرجو من القراء الأعزاء وأساتذتنا الإجلال من المحققين والباحثين أن يحفو عما زاغ عنه البصر وأن يسددوا عملنا هذا من خلال تزويدنا بآرائهم وملاحظاتهم القيمة

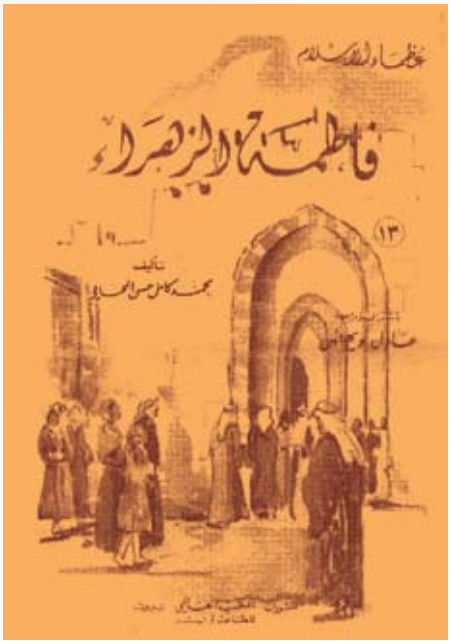

فاطمة أمّ أبيها

ومن الله العون والحمد لله رب العالمين.

وفيما يلي عرض لتلك الآثار المخطوطة والمطبوعة:

١. إتحاف السائل بما لفاطمة من الفضائل:

محمد بن محمد بن عبد الله الأكراوي القلقشندي الشافعي ت ١٠٣٥هـ. مخطوط: في المكتبة الأحمدية بتونس، رقمه ٥٦٨٨ ضمن مجموعة ص١١٩. ينظر: إيضاح المكنون ج١/ ١٩، هدية العارفين ج٢/ ٢٧٤، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ج١١/٥.

٢. أخبار فاطمة:

عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان بن بطة ت ٣٧٨هـ. ينظر: هدية العارفين ج١/ ٦٤٧.

٣. أخبار الفاطميات:

لأبي الحسن علي بن عبد بن جعفر المدني المعروف بـ(ابن المديني) ت٣٤٠هـ. ينظر: إيضاح المكنون ج١/ ٤٤، والأعلام ج٤/ ٣٠٣، ميزان الاعتدال ج٢/ ٢٢٩.

٤. الأربعين في فضائل الزهراء:

لأبي صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن ت ٥٩١هـ. ينظر: معالم العلماء/ ٦١، نقد الرجال ج١/ ١٣٢.

٥. إزالة الرين في مناقب فاطمة والحسنين:

المؤلف: مجهول، طبعة إسلامبول ط حجري.

٦. أم الحسنين بنت أكرم رسول السيدة فاطمة الزهراء البتول:

أحمد عبد المنعم عبد السلام الحلواني، معاصر. طبعة القاهرة، مطبعة الأمانة ١٩٦٩، في ١٠٣ص.

٧. البتول فاطمة الزهراء:

عبد الفتاح عبد المقصود، معاصر. ط الكويت، مكتبة المنهل ١٤٠٣هـ.

٨. تحرير النقول في مناقب أمنا حواء والبتول:

نور الدين علي بن محمد المكي، ابن الصباغ المالكي ت٨٥٥هـ. مخطوط في دار الكتب الوطنية في باريس، رقم ١٩٢٧.

٩. تزويج فاطمة:

لأبي عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا ت ٢٨١هـ. ينظر: الفهرست لابن النديم /٢٣٧، معجم المؤلفين ج٦/ ١٣١، معجم ما كتب عن آل الرسول ج٥/ ٢٧، هدية العارفين ج١/ ٤٤١.

١٠. الثغور الباسمة في فضائل فاطمة:

جلال الدين السيوطي ت٩١١. ينظر: كشف الظنون ج١/ ٥٢١ مخطوط في ٥٣ صفحة وقد طبع في بيروت سنة ١٤٠٥هـ مؤسسة الوفاء بـ(١٣٠ص)، وأيضاً في بيروت/ الدراسات والبحوث العلمية سنة ١٤٠٨هـ تحقيق/ محمد سعيد الطريحي وقد يسمى في بعض الكتب بـ(مناقب فاطمة أو فضائل فاطمة).

١١. جزء من حديث: لا نورث، ما تركناه صدقة:

محمد معين بن محمد أمين السندي الحنفي ت ١١٦١هـ. ينظر: معجم ما كتب عن الرسول ج٥/ ٣١.

١٢. جزء فيه: تزويج فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله بعلي بن أبي طالب عليه السلام:

لأبي بكر محمد بن هارون الرويان ت٣٠٧هـ. مخطوط في المكتبة

القاهرية بدمشق رقم ١٢٩ عدد الأوراق ٤. ينظر: معجم ما كتب عن آل الرسول ج٥/ ٣١.

١٣. حياة فاطمة:
محمود شلبي. طبعة بيروت، دار الجيل ١٤٠٣هـ.

١٤. الدرة اليتيمة في بعض فضائل السيدة العظيمة:
عبد الله بن إبراهيم حسن ميرغني الحنفي ت ١١٩٣. طبع في بيروت، مؤسسة الوفاء ١٤٠٥هـ/ تحقيق: محمد سعيد الطريحي. وهو في الأصل مخطوط في الظاهرية بدمشق برقم ٤١٣٤ في ٦ ورقات. ينظر: معجم ما كتب عن آل الرسول ج٥/ ٣٣.

١٥. الزهراء:
محب الدين الخطيب. طبع في القاهرة، السلفية ١٣٤٣هـ في ٤٠ص. ينظر: معجم ما كتب ج٥/ ٣٥.

١٦. الزهراء فاطمة البتول:
أحمد عبد الجواد الدومي. طبع في بيروت، المكتبة العصرية. ينظر: معجم ما أُلف ج٥/ ٤٢.

١٧. الصبيحة الغراء في حلي حضرة الزهراء:
علي بن موسى بن محمد العماري الغرناطي المالكي ت٦٨٥هـ. ينظر: هدية العارفين ج١/ ٧١٥.

١٨. فاطمة الزهراء بنت الرسول:
المستشرق لويس ماسينيون ت١٩٦٥م. ينظر: معجم ما كتب ج٥/ ٧٦.

١٩. فاطمة الزهراء:
توفيق أبو علم. ط القاهرة، دار المعارف ١٩٧٢م في ٣٠٢ص.

٢٠. فاطمة الزهراء:
فايد العمروسي. ط القاهرة، دار الشروق ١٩٨١م.

٢١. فاطمة الزهراء:
محمد كامل حسن المحامي. ط بيروت، المكتب العالمي ١٩٨٥م في ١٢٥ص.

٢٢. فاطمة الزهراء وقصائد أخرى:
يوسف محمد عمر. ط بيروت، ١٣٩٧هـ في ١٠٧ص.

٢٣. فاطمة الزهراء والفاطميون:
عباس محمود العقاد. ط القاهرة، دار الهلال في ١٥٨ص. وقد طبع بعد ذلك

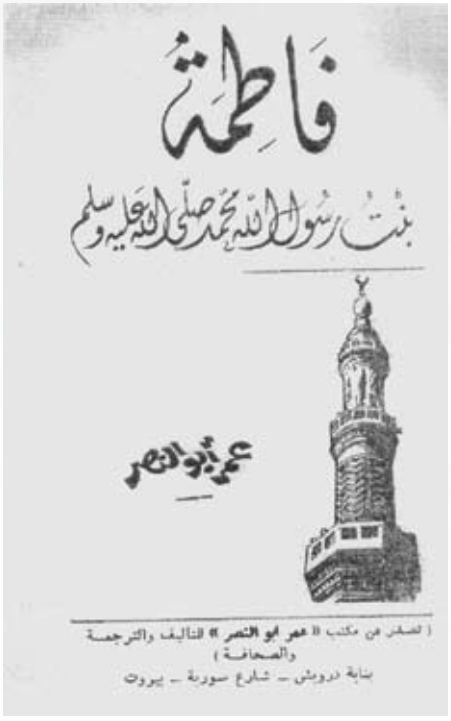

بطبعات عدة.

٢٤. فاطمة سيدة النساء:
محمد محمود زيتون المصري. ينظر: معجم ما كتب ج٥/ ٨٠.

٢٥. فاطمة وبنات محمد:
تعليقات نقدية للمستشرق البلجيكي (هنري لامس) ت ١٨٦٢م. وقد طبع في روما عام ١٩١٢م. ينظر: معجم ما كتب ج٥/ ٨١.

٢٦. فاطمة الزهراء:
معروف بن أحمد الأرناوطي ت ١٣٦٧هـ. ينظر: ما كتب ج٥/ ٨١.

٢٧. فاطمة الزهراء:
عمر أبو النصر. وقد طبع في بيروت.

٢٨. الفتح والبشرى في مناقب السيدة فاطمة الزهراء:
محمد بن حسن المدني الشريف الحنفي الجفري ت ١١٨٦هـ. مخطوط في القاهرية بدمشق. ينظر: هدية العارفين ج٢/ ٣٣٩، الأعلام ج٦/ ١٠٤.

٢٩. فضائل فاطمة:
للحافظ أبي القاسم البغوي عبد الله بن محمد بن عبد العزيز ت ٣١٧هـ. ينظر: معجم ما كتب عن الرسول ج٥/ ٩٤.

٣٠. فضائل فاطمة رضي الله عنها:
لأبي حفص عمر بن أحمد بن عثمان البغدادي (ابن شاهين) ت ٣٨٥هـ. مخطوط في الظاهرية في ١١ ورقة. طبع في بيروت، مؤسسة الوفاء ١٩٨٥م، بتحقيق: محمد سعيد الطريحي. ينظر: معجم ما كتب عن الرسول ج٥/ ٩٤، بروكلمان ج٢/ ٦٦٤.

٣١. فضائل فاطمة الزهراء:
لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري

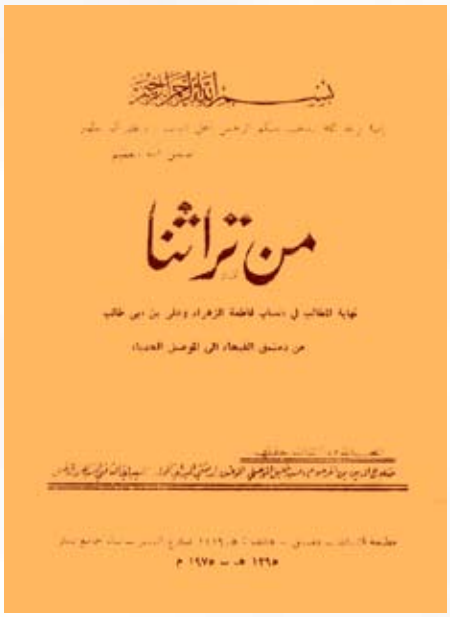

الحافظ محمد بن عبد الله الضبي ت ٤٠٥هـ. ينظر: كشف الظنون ج١/ ١٢٧٧، هدية العارفين ج٢/ ٥٩.

٣٢. كلام فاطمة عليها السلام في فدك:

لأبي الفرج علي بن الحسين الاصفهاني ت ٣٥٦هـ. ينظر: معجم ما كتب عن الرسول ج٥/ ٩٧.

٣٣. مجلس في مناقب فاطمة:

جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت ٩١١هـ. نسخة منها في المكتبة السليمانية في إسلامبول رقم ١٣/ ١٠٣٠. والظاهر إن النسخة هي نفسها المارة الذكر. ينظر: معجم ما كتب عن الرسول ج٥/ ٩٩.

٣٤. مسند فاطمة:

جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت ٩١١هـ. طبع في المطبعة العزيزية في حيدر آباد، وأيضاً طبع في بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية سنة ١٤٠٦هـ في ١٢٤ص.

٣٥. مسند فاطمة الزهراء:

لأبي جعفر عمر بن أحمد (ابن شاهين) ت٣٨٥هـ. ينظر: معجم ما كتب عن الرسول ج٥/ ١١٢.

٣٦. مناقب فاطمة:

لأبي صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن النيسابوري ت ٤٧٠هـ. ينظر: معجم ما كتب ج٥/ ١١٥.

٣٧. مناقب فاطمة:

عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي ت ١٠٣١هـ. ينظر: معجم ما كتب ج٥/ ١١٥.

٣٨. نهاية المطلب في أنساب فاطمة وعلي:

صلاح الدين بن خليل الموصلي.

هذا آخر ما استطعنا أن نقف عليه من آثار مخطوطة ومطبوعة خاصة بمولاتنا الزهراء عليها السلام عند أهل السنة والجماعة، ولا يخفى على أهل التحقيق والمعرفة أن عملنا هذا إنما كان جمعاً للكتب فقط وللزهراء في المقالات وفصول الكتب الكثير الكثير... والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين ■

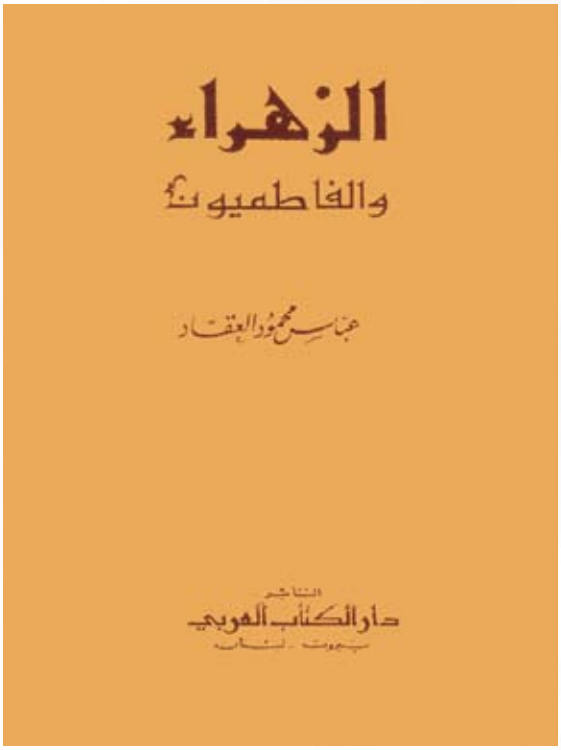

نهج الكوثرية

• الشيخ محمد حسين الأنصاري

يَـــا أوّلَ نُـــورٍ قَـد صَـــوّرْ ... وَبـــهِ كُـــلُّ نَبـــيٍّ بَـشّـــرْ
إنّـــا أعْطيـــنـاكَ الزَّهْـــرا ... إنّـــا أعْطَيـــنـاكَ الكَوْثَـرْ
أبنـــاءُ الزهـــرَاءِ نُجـــومٌ ... إذْ قِيـــلَ لِشـانِئِـكَ الأبتَـرْ
فَهُـــمْ أوّل مَـن قـــدْ صلّـى ... أوّل مَـــن هَلّـــل أوْ كـبَّـرْ

* * * * *

الجنّـــة أكبَـــرُ مِـن وَصـــفٍ ... وَفواكهُـــهـا حُسْـنـاً أكـبَـرْ
وَالزَّهـــرا فـــاكِـهـةٌ مِنـــها ... وَلِـذا فِيهـــا سِـحْـرٌ يُـؤثَـرْ
والشـــعْرُ عَـلا بمدائِـــحها ... لا يُذكـرُ شَـــيءٌ إنْ تُـذكَـرْ

* * * * *

أنـــوارُ مَدائِـــحها تَطـــغى ... حَتّـى فِـي الصُبحِ إذا أسفَـرْ
وَعبـــيـرُ مَدائِحـــها يَـذكـو ... حَتّـى فِـي المِسْـكِ أوْ العنبَـرْ
وَرقـيـقُ مَدائِحِـــها حُـــرّ ... لِسِـواهـا بـالمُلـكِ فَـلا قَـرْ

* * * * *

وَجمـــالُ مدائحِهـــا يَبـدُو ... كَجمـــالِ الـرَوْضِ إذا أزهَـرْ
كالـوَرْدِ الأحـمَـرِ إذْ يَبـدو ... يَجلِسُ فِـي مِحْـرابٍ أخْضَـرْ
وإذا مـــا شِـئْـتَ لهـا وَصفاً ... فَالنـورُ لهـا أقـــرَبُ مَصْـدَرْ
وَلِـذا فِـي المَحشَـرِ لا تَبـدو ... حَتّـى بالغَـضِّ لَنـــا يُؤمَـرْ

* * * * *

فَسَنَا بَرق الزَّهرا سِحْرٌ ... يَخْطِفُ أَلْبابَ ذَوي المَحْشَرْ
وَيكادُ سَنَا بَرق الزَهرا ... يُذهِبُ بالأبصارِ إذا مَرْ
وَرَبيعُ مَدائِحِها فَيضٌ ... مِنْ جَنَباتِ العَرْشِ تَحدّرْ
وبِهِ أرضُ الشِعرِ سَتَنمُو ... وَسماواتُ الشِعْرِ سَتكبَرْ
وَتكادُ سَماواتُ الشُعرَا ... ءِ بِمدْحِ الزَّهرا تَتفطَّرْ
الزَّهرا مِشكاةٌ فِيها ... مِصباح يَا حَسنَ المَنْظَرْ

* * * * *

وَالمصباحُ إذا مَا يَبدُو ... فِي نُورِ زُجاجَتِهِ مُغْمَرْ
دُرِّيٌ كَوكبُها يَعلُو ... وَبِهِ نُورُ اللهِ تكوَّرْ
يُوقدُ مِن زَيتونةِ خيرٍ ... وَلَهُ اللهُ لهَذا استَأْثَرْ

* * * * *

وَيكادُ الزيتُ يُضيءُ وَلَو ... لَمْ تَمْسَسْهُ النارُ فَيؤمَرْ
نُورٌ فِي نُورٍ يَتَجلّى ... سُبحانَ اللهِ إذا صَوَّرْ
قَدْ قال لها الهادِي قَوْلاً ... حَسبِي هَذا وَبِهِ أفْخَرْ

* * * * *

البَارِي يَرْضى لِرِضاها ... وَبذا حَتّى الشانِئ قَدْ قَرْ
وَيكنّيها أمُّ أبيها ... وَتُخَصُّ بِآياتٍ أكْثَرْ
وَيُقبِّلُ حُبّاً إكْراماً ... يَدَها وَالأمرُ هُنا أَبهَرْ
فَالهادِي لا يَنطِقُ هُجْراً ... لا يَفْعَلُ إلّا مَا يُؤمَرْ

* * * * *

مستل من كتاب (للزهراء شذى الكلمات)

ينابيع

مُحتويَاتُ العَدَد

فاطمة أم أبيها

ملف خاص عن الصدّيقة الزهراء عليها السلام ٣

كلمة العدد ٣٢

قرآنيات

أنواع التفسير عند الأئمة عليهم السلام

د. ستار جبر الأعرجي ٣٤

قراءة بيانية في سورة المسد

عبد علي حسين الجاسمي ٤٢

قضايا معاصرة

جامعاتنا بين البحث العلمي والدراسات العليا

د. حيدر كريم الميالي ٤٨

الدور الإعلامي وأهميته في المواجهة

د. عامر عبد زيد ٥٢

آمن الرسول

دور العقل في بناء العقيدة/ الحلقة الثانية

السيد علاء الموسوي ٥٨

حقيقة القضاء والقدر في نهج البلاغة

هاشم حسين ناصر المحنك ٦٢

تحقيقات

مرقد السيد أحمد بن هاشم

سلمان هادي الطعمة ٦٨

مقام الإمام الصادق عليه السلام في الحلة

أحمد علي مجيد ٧٣

في رحاب الفقه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى

سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله) ٧٨

واحة الأدب

عينية مهيار الديلمي

د. حسن الخاقاني ٨٢

حكاية مؤمن.. قصة قصيرة

حيدر المالكي ٨٩

ص ٧٣

ص ١٣٢

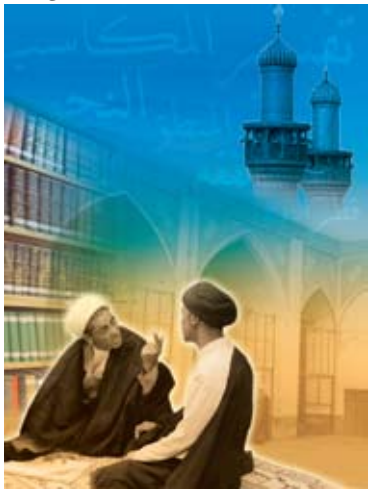

ص ١٢٢

ص١١٦

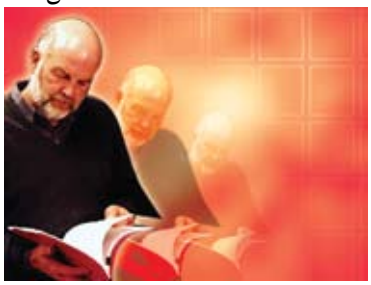
ص٩٨

ص١٠١

في النفس والمجتمع

منظومة الأخلاق عند أهل البيت عليهم السلام
د. نعمة محمد إبراهيم ٩٠

علم السلوك وكيف يتغيّر الشخص
د. فاضل الميالي ٩٨

منهج التربية في حياة الداعية المسلم
الشيخ عبد الرزاق فرج الله ١٠١

مقالة وتعقيب

تعقيب على مقال: الشيخ بهاء الدين العاملي
المهندس سعد حاتم مرزة ١٠٤

عشرون صحابياً ممن استشهد مع الحسين عليه السلام
السيد محمد علي الحلو ١٠٧

للفضيلة نجومها

شهيد المنبر الحسيني الشيخ عبد الزهرة الكعبي
أحمد الكعبي الطويرجاوي ١١٠

الإمام عبد الحسين شرف الدين في مرآة العلماء
حيدر الجد ١١٦

طروحات عامّة

العملية التعليمية في حوزة النجف العلمية
د. علي خضير حجي ١٢٢

فن الإلقاء والخطابة
الأستاذ محمد علي هاشم ١٣٢

كنوز يكشفها العلم الحديث
علاء الدين صبحي السلامي ١٣٦

استخدام مستخلصات المسواك
الأستاذ عدي الذبحاوي ١٤١

الدكتور عبد المجيد العلي
من المتحولون ٥٦

منبر القرّاء ١٤٢
مسابقة العدد ١٤٥

التحول.. وردود الأفعال

بسم الله الرحمن الرحيم

حينما بدأ التاريخ الحديث يأخذ منعطفاً جديداً وكأن الحسابات التقديرية قد تغيرت وفقاً لتغيرات إقليمية تشهدها الساحة العربية اليوم، بدأت حدة الطائفية تأخذ منحاً جديداً لم يكن مألوفاً فيما سبق مذ كان الاستبداد والتسلط مستحكماً على أعناق الأمة حيث كان الطابع الخارجي يفرض شكلاً من أشكال الطائفية الممقوتة في أروقة السجون والمعتقلات وبعيداً عن الساحة الإعلامية العامة مما يفضي عليها نوعاً من الضبابية واللامفهومية المؤدي بالنتيجة إلى الشك في مصداقيتها بل قد يؤدي في كثير من الأحيان إلى الدفاع عن الأنظمة الدكتاتورية المتعجرفة.

أما في الفترة المذكورة وبعد أن ظهر في الأفق لوائح الغلبة والانقلاب ظهرت أمور كانت خافية على الساحة العامة وانكشفت النفوس على حقيقتها وأبدت الامتعاظ الشديد من ذلك وانعكس ذلك التأزم النفسي على السلوك الخارجي مما أدى إلى امتهان القتل والتدمير بكل أشكالهما وبتفنن قلّ نظيره في البشرية فلا يمر يوم إلا ونسمع فيه نازلة حلّت ببلدة أو قرية أو بشخصية من الشخصيات القيادية أو الاجتماعية أو حتى التعليمية التي يفترض أن تكون بعيدة كل البعد عن تجاذب التيارات الخارجية وما يتبع ذلك من ردود أفعال تجر إلى الخلافات الشديدة المتعقبة للقتل والانتقام لما لها من الميزة المفروضة على الجميع، فبدلاً من أن تكون قوة حيادية ذات تأثير كبير في المجتمع المدني نراها مستهدفة في الميادين السياسية وكأنها نقطة ضعف تستغل لضرب التيارات بعضها ببعض.

وهكذا يوصف الحال اليوم بهذا الشكل من التشنج الكبير الذي شذّ أن نرى مثله سابقاً بهذا الأسلوب المتعجرف وفي مختلف الأوساط من دون تفريق بين جميع أفراد المجتمع.

من هذه العشوائية العجيبة بدأت التساؤلات تطرح من هنا وهناك لماذا هذا العنف؟ لماذا لم تحل الأمور على طاولة البحث والحوار لنجد نقطة الضعف فتعالج، أو نقطة غائبة فتنشأ، أو ما شاكل ذلك من الحلول؟ لماذا ألغي الانتماء الوطني على جميع الأصعدة حيث طال التدمير حتى البنى الأساسية للأمة من دون استثناء؟!

بعد الرؤية الصادقة لواقع الأحداث التي تمر به الأمة يمكن أن تستنتج الأسباب التي تكمن وراء ذلك كله ونحاول عرضها بشكل نقاط:

أولاً: الخوف الشديد من ردود الفعل

المعاكسة التي هي طبيعة تكوينية في جميع الأفعال والانفعالات فإن لكل فعل رد فعل يساويه في القوة ويعاكسه في الاتجاه وذلك ناشئ مما منيت به الأمة في الفترة الماضية من الشدة وقساوة التعامل والتغييب بكل أشكاله وفي جميع المجالات الثقافية والفكرية بل حتى الإنسانية ـ فإن إثبات إنسانية الإنسان في الفترة الماضية يحتاج إلى عناء كبير جراء التغييب والإلغاء فكان يستعمل ضده قانون اللاموجود ـ وإذا كان الأمر كذلك فإن انعطاف التاريخ بالشكل المتقدم قد ينذر باستعمال نفس الأسلوب تجاه الطرف الآخر، من هنا حدث هذا الخوف الشديد الذي تجسد في السلوك الخارجي مما أدى إلى ما ذكرنا من العنف والعشوائية، على أنه يشير إلى واقع قد يخفى على الكثير حيث يستبطن الكشف عن ضياع حقوق الكثيرين كما يكشف حقائق خافية أو متخفية على الآخرين، ولم يعلموا مدى تماسك الأمة وإخضاعها لجميع الأمور بأيدي قادتها الفكريين الذين يحسنون التعامل لكسب الموقف من دون أن يقدموا التضحيات الأمر الذي أدى إلى رصّ الصفوف والثبات والتحلي بالصبر والأناة.

ثانياً: الخوف من أنه لو ثنيت الوسادة وامتازت الأمور لتم رصد الحقوق وإحصاؤها ومن ثم المطالبة بها من الغاصبين والمعتدين عليها مذ كانت الأمة تحت الوطأة فتأتي هذه العشوائية وخلط الأوراق من أجل إرباك الوضع وتضييع المعالم على من يريدو العمل، وصف السجلات، لئلا تنكشف الأمور ويوضح الصبح ويطالب كل ذي حق بحقه.

وهذا دليل آخر على ضياع حقوق الأمة منذ فجر السلطة، وغياب العدل والمساواة واستيلاء الملوك وأبناء الملوك على مقدرات الشعوب والعيث فيها فساداً. مع أن الحق لابد من رجوعه مهما كانت الظروف ومهما كانت النتائج ﴿**وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون**﴾.

ثالثاً: الخوف من ذهاب السلطة بكل أشكالها فيصبح السائس مسوساً والحاكم محكوماً وترجع الدنيا بمن ألبستهم ذل الجاه، واستعبدوا البشر. وهذه النقطة من أهم النقاط الأساسية التي تحفز المعنيين لفعل ما لم يخطر ببال أحد، فقد قال بعضهم لابنه: «لو نازعتني أنت ـ يعني: الملك ـ لأخذت الذي فيه عيناك» ويكفي في وصفه ما نراه اليوم على أرض الواقع. ولا يختص ذلك باتخاذ سبل معينة بل تتخذ جميع السبل لمحاولة إرجاع الأصول السابقة وما كانت عليه الأمة قبل انقلاب الأمر. حتى وصل الأمر إلى الدور الإعلامي الذي يفترض فيه أن يكون محايداً إيجابياً، وإذا به متجهاً اتجاهاً آخر لمحاولة كسب الوقت وزعزعة الثقة لإرجاع أبسط الحقوق المزعومة ■

المشرف العام

انواع التفسير عند الائمة(٤)

• د. ستار جبر الأعرجي

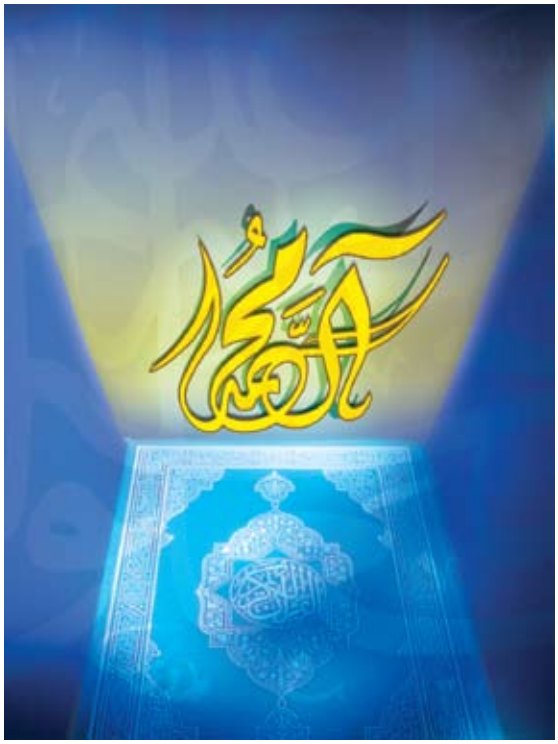

ينابيع لو شئنا الكشف عن مناهج التفسير التي نجد لها تأصيلا في تفسير الأئمة عليهم السلام لوجدنا أنهم فسروا القرآن بحسب مقتضيات كل نص وفقا لمناهج مختلفة.

وإذا كان مما لا يسع هذا البحث كشف واستقراء كل تلك المناهج المتصورة فانه يمكن أن نلمح أوضح تلك المناهج وروداً فيما روي عنهم عليهم السلام متوخين منها ما كان معتمداً على فهمهم الخاص ربطاً أو تحليلاً وما تبين فيه تطبيق ضوابطهم المتفردة وبالتالي ستخرج بعض أنواع التفسير عن ساحة البحث هنا بحسب هذه التحديدات ويمكن تلخيص البحث في الأنواع الأخرى كما يلي:

١. منهج تفسير القرآن بالقرآن:

تأكد لنا سابقاً أهمية هذا المنهج في التفسير (الفهم) للنص القرآني فضلاً عن انه من ركائز المنهج الصحيح واليقيني في فهم النص وكان الالتزام بالقرآن كمرجعية أولى في فهمه بما ينطق عن ذاته وكونه (تبياناً لكل شيء) النحل:٨٩، ولم يفرط فيه من شيء (ما فرطنا في الكتاب من شيء) الانعام:٣٨.

وثبت لنا استحالة أن يكون الكتاب كذلك ويفرط بأهم ركيزة فيه وهي قدرته على أن يبين نفسه فيكون مفهوماً عند المخاطبين به.

ونلاحظ ان الأئمة عليهم السلام كانوا أول من فتق البحث في هذا الضابط المهم في تصديهم لاستنطاق النص بما أسس ملامح منهج تفسير القرآن بالقرآن كمصداق لوصف الرسول صلى الله عليه وآله للقرآن انه (ينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض)[1].

فكان هذا المنهج هوا لطريق السوي الذي اتبعوه عليهم السلام وهم معلمو القرآن والهداة إلى ما جاء به.

وقد لاحظ الباحث ان تطبيق هذا المنهج يرد عن الأئمة عليهم السلام بعدة أشكال منها:

أ. تفسير الآية بالآية:

وقد بلغت الروايات في ذلك العشرات سأكتفي ببعضها بحيث يكون الاختيار في أشكال هذا المنهج والمناهج الأخرى واقعاً على تفسيراتهم عليهم السلام للآيات المتضمنة لأصول العقيدة دون الخوض في الآيات المتعلقة بالجوانب الأخرى، الأخلاق والاجتماع والأحكام... الخ لنلمح من خلال ذلك اثر تفسير الأئمة عليهم السلام في توجيه سير منظومة الاعتقادات عند الإمامية وأثرها في منهج متكلميهم.

من ذلك مثلاً ما ورد عن الإمام علي عليه السلام في تفسير قوله تعالى: (صراط الذين أنعمت عليهم) الفاتحة:٦، ففي مجال بيان من المنعم عليهم وطبيعة النعمة يقول عليه السلام: (أي: قولوا اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم بالتوفيق لدينك وطاعتك لا بالمال والصحة، فقد يكونون كفارا أو فساقا قال عليه السلام: وهم (أي المنعم عليهم) الذين قال الله (فيهم): (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) النساء: ٦٩.

ومن ذلك أيضا ما روي عنه عليه السلام في تفسير قوله تعالى: (ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون) يوسف: ٤٩، إذ يصحح فهماً خاطئاً وقع فيه الكثيرون من خلال استحضاره للنص القرآني الذي يفسر الآية واعتماداً على القراءة الصحيحة النص الذي كان الخطأ فيها سبباً لهذا الفهم الخاطيء، حيث أن رجلاً قرأ الآية على الإمام عليه السلام على البناء للفاعل بفتح الياء في (يَعصرون) فقال الإمام عليه السلام ويحك أي شيء يعصرون، يعصرون الخمر؟ قال الرجل يا أمير المؤمنين كيف أقرؤها؟ فقال عليه السلام: أنما نزلت (وفيه يُعصرون) أي يمطرون بعد سني المجاعة والدليل على ذلك (بأن المقصود الأمطار) قوله تعال (وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجّاجا)[2] النبأ:١٤.

وهناك روايات أخرى عنه عليه السلام في هذا الاتجاه في التفسير للآية بالآية.

ومن ذلك أيضاً المروي عن الإمام الحسن بن علي عليهما السلام إذ دخل رجل مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فإذا رجل يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله. قال: فسألته عن الشاهد والمشهود فقال نعم، الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة فجزته إلى آخر يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله فسألته عن ذلك فقال: أما الشاهد فيوم الجمعة وأما المشهود فيوم النحر.

فجزتهما إلى غلام كأن وجهه الدينار[3] وهو يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت اخبرني عن شاهد ومشهود، فقال: نعم أما الشاهد فهو محمد صلى الله عليه وآله وأما المشهود فيوم القيامة أما سمعت الله سبحانه يقول (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً)

الأحزاب: ٤٥، وقال (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) هود: ١٠٣.

فسألت عن الأول فقيل عبد الله ابن عباس، وسألت عن الثاني فقيل ابن عمر، وسألت عن الثالث فقيل الحسن بن علي[٤] عليهم السلام.

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام روايات عديدة في ذلك منها ما عن زرارة بن أعين قال: قلت له عليه السلام: (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا...) الأعراف: ١٧٢.

فقال عليه السلام: أخرج الله من ظهر آدم ذريته إلى يوم القيامة فخرجوا وهم كالذر فعرّفهم نفسه وأراهُم نفسه[٥] ولولا ذلك ما عرف احد ربه وذلك قوله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله)[٦] لقمان: ٢٥.

وفي لمحة من تفسير آيات الصفات الخبرية نجد الإمام عليه السلام ينزه الباري عن الجسمية والتشبيه فقد سئل عن قوله تعالى (يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديَّ) ص: ٧٥، فقال عليه السلام: اليد في كلام العرب القوة والنعمة قال الله تعالى: (واذكر عبدنا داود ذا الأيد) ص: ١٧، وقال: (والسماء بنيناه بأيد وإنا لموسعون) الذاريات: ٤٧، وقال: (وأيدهم بروح منه) أي: بقوة)[٧].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال في قوله تعالى: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) النحل: ٤٣، قال عليه السلام: الذكر محمد صلى الله عليه وآله ونحن أهله المسؤولون)[٨] ذلك في إشارة إلى قوله تعالى: (قد انزل الله إليكم ذكراً ❖ رسولاً يتلوا عليكم آيات الله...) الطلاق: ١٠-١١.

ومما روي عن الإمام الرضا عليه السلام في حديث له في عصمة الأنبياء، عن أبي الصلت الهروي أنه عليه السلام قال: ...وأما قوله: (وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه) الأنبياء: ٨٧، إنما ظن بمعنى استيقن أن لن نضيق عليه رزقه ألا تسمع إلى قول الله عز وجل: (وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه) الفجر: ١٦، أي: ضيق عليه رزقه)[٩].

ب. التفسير بالسياق:

من أشكال تفسير القرآن بالقرآن نفسه اعتماد السياق في تفسير الآيات فالقرآن الكريم باعتباره كلاماً فلا بد لأجل فهمه وليكون المفسر في جو النص والوقوف على معانيه أن يحيط المفسر بالسياق القرآني الذي لا غنى له عن اتباعه، كونه حجة من ذاته حيث يمثل أهم ركائز النظم القرآني الذي (يعني بالمناسبة بين الآيات وألفاظ الآية الواحدة)[١٠].

يصوّر الزركشي أهمية السياق بقوله: (إذا لم يرد النقل عن السلف فطريق فهمه هو النظر إلى مفردات الألفاظ من اللغة العربية ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق)[١١].

يؤكد السيوطي على وجوب مراعاة السياق بتأكيد مراعاة المفسر للمعنى الحقيقي والمجازي ومراعاة التأليف

إن اعتماد السياق في تفسير الآيات يعتبر من أشكال تفسير القرآن بالقرآن، لأنه كلام فلابد لأجل فهمه أن يحيط المفسّر بالسياق القرآني.

والغرض الذي سيق له الكلام من خلال ملاحظة الارتباط بين المفردات)[١٢].

وهكذا فان السياق يكشف عن المعاني المرادة في الألفاظ ويهدف إلى فهمها (من دوال أخرى لفظيه كالكلمات التي تشكل مع اللفظ الذي نريد فهمه كلاماً واحداً مترابطاً، أو حالية كالظروف والملابسات التي تحيط بالكلام وتكون ذات دلالة في الموضوع)[١٣].

وتنطلق أهلية السياق هنا وخصوصيته في هذا الكشف من خلال (اعتبار القرآن جميعه وحدة واحدة متماسكة، وأن فهم بعضه متوقف على فهم جميعه، واعتبار السورة كلها أساسا في فهم آياته، واعتبار الموضوع فيها أساساً في فهم جميع النصوص التي ورد فيها)[١٤].

وبالتالي فإغفال السياق يؤدي إلى الوقوع في الكثير من الأخطاء التي تفصم عرى هذه الوحدة الموضوعية للنص وتحيده عن مقاصده ومراميه.

من أهم أمثلة ذلك ما حصل عند المجبرة مثلاً في المنهج التجزيئي باقتطاع النص وفصم السياق واللجوء إلى منهج (التطبيق) ـ وليس التفسير ـ الذي يقوم على سحب النص تعسفاً وفرض رأي المذهب أو الاتجاه التفسيري كتفسير وحيد له إذ نراهم يستدلون بالآية الكريمة قوله تعالى: (والله خلقكم وما تعملون) الصافات:٩٦، على (أن ذلك يدل على أن الله خالق لأفعالنا)[١٥] في حين أن الملاحظ في السياق الذي جاءت فيه الآيات إنها (حكاية لقول إبراهيم عليه السلام مع قومه واستنكاره لعبادتهم الأصنام والتي هي أجسام والله تعالى هو المحدث لها)[١٦] وهذا ما تصوره الآية السابقة على هذه الآية والمرتبطة بها لتصوران احتجاج إبراهيم عليه السلام على قومه في قوله تعالى على لسانه (أتعبدون ما تنحتون ❖ والله خلقكم وما تعملون) الصافات: ٩٥-٩٦.

هذه الضوابط الهامة والأثر الكبير للسياق نجده قد وظف بتميز في تفسير الأئمة عليهم السلام للنص القرآني بما شكل ملامح منهج متميز يكشف عن النص ويبعد كل شبهة تناقض، أو اختلافاً فيه، ويؤكد الوحدة الموضوعية وإليك نماذج من تفسر الأئمة عليهم السلام للنص بالسياق:

فمما روي عن الإمام الحسين بن علي عليهما السلام أنه سئل عن (الصمد) فكتب[١٧]: بسم الله الرحمن الرحيم فقد سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار[١٨]، وأن الله سبحانه فسر الصمد فقال: (الله أحد الله الصمد)، ثم فسّره فقال: (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) الإخلاص:٢-٤.

ومن ذلك ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام أن حمران بن أعين سأله[١٩] عن قوله تعالى: (إنا أنزلناه في ليلة مباركة) الدخان:٣، فقال عليه السلام: نعم ليلة القدر في كل سنة من شهر رمضان في العشر الأواخر فلم ينزل القرآن إلا في ليلة القدر قال الله عز وجل: (فيها

إن السياق يكشف المعاني المرادة في الألفاظ، ويهدف إلى فهمها من دوال أخرى لفظية كالكلمات التي تشكل مع اللفظ الذي نريد فهمه.

يفرق كل أمر حكيم) الدخان:٤.

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه سئل عن قوله تعالى: (هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين) الفتح:٤، فقال عليه السلام: الإيمان، قال عزّ من قائل: (ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم) الفتح: ٥[٢٠].

وعن الإمام الرضا عليه السلام أن أبا مرّة المحدث سأله عن الرؤية - في حديث طويل - فنفاها الإمام عليه السلام واستدل على ذلك بأنه لا يجوز أن يأتي الرسول صلى الله عليه وآله بالقرآن وآياته التي تنفي الرؤية ثم يحدث بحديث يجوزها - وهو الحديث الذي احتج به أبو مرة - وهنا قال أبو مرة فانه تعالى يقول: (ولقد رآه نزلة أخرى) النجم:١٣، فقال الإمام عليه السلام: إن بعد هذه الآية ما يدل على ما رأى حيث قال: (ما كذب الفؤاد ما رأى) النجم:١١، يقول ما كذب فؤاد محمد ما رأت عيناه ثم أخبر بما رأى فقال: (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) النجم:١٨، فآيات الله عز وجل غير الله وقد قال: (لا يحيطون به علما) طه:١١٠، فإذا رأته الأبصار فقد أحاط به العلم ووقعت المعرفة[٢١].

٢. منهج التفسير بالجري (الانطباق، المصداق).

ربما يكون هذا المنهج مما انفرد به أئمة أهل البيت عليهم السلام فوضعوا أسسه الخاصة بهم في فهم النص، ولهذا التفسير خصوصية علمية ذات بعد مرتبط بالقدرة على استنطاق باطن النص وكشف معانيه كشفاً يزيل عنها كل حجب وحدود ظاهر الألفاظ وقيودها لينطلق إلى باطن الآية وقدرتها على الشمولية وكسر قيود الزمان والمكان والقدرة على الانطباق على معان متجددة تمثل مصاديق يشملها النص.

والملاحظ هنا أن كثيراً من الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام في تفسير النص القرآني هي من قبيل بيان المصداق وتتحقق جريان معاني الآيات ودلالاتها عليه، وإن اختلف هذا المصداق من حيث درجت الظهور والخفاء.

هذا المنهج التفسيري يتحرر من الإرتباط بعامل الزمن وأثره في فهم النص الذي يتمثل في سبب النزول كقضية يستفاد منها للوقوف من خلالها على المعنى الذي يتضمنه النص القرآن باعتبار معرفة سبب النزول (طرقاً قوياً في فهم معاني الكتاب العزيز والاستعانة بسبب النزول لدفع توهم الحصر)[٢٢]، في الحوادث والحاجات التي تمثل سبباً للنزول في كثير من آيات القرآن الكريم أهميتها هنا لا تنسحب إلى أكثر من معرفة الآية وما فيها من معنى ودلالات وإلا فان (ما ورد من شأن النزول وهو الأمر أو الحادثة التي تعقب نزول آية أو آيات في شخص أو واقعة لا يوجب قصر الحكم على الواقعة لينقضي الحكم بانقضائها ويموت بموتها لان البيان عام والتعليل مطلق، فان المدح النازل في حق أفراد من المؤمنين، أو الذم النازل في حق آخرين معللاً بوجود صفات فيهم لا يمكن قصرهما على

إن منهج التفسير بالجري يتحرر من الارتباط بعامل الزمن الذي يتمثل في سبب نزول الآية في الحوادث والذي يعرف من خلالها المعنى الذي يتضمنه النص.

شخص مورد النزول مع وجود عين تلك الصفات في قوم غيرهم وهكذا)[٢٣].

والقرآن الكريم نفسه يؤكد هذه الحقيقة قال تعالى: (يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام) المائدة:١٦.

فالنص القرآني العام الذي نزل بسبب خاص معين (يشمل بنفسه أفراد السبب وغير أفراد السبب لان عمومات القرآن لا يعقل أن توجه إلى شخص معين)[٢٤].

هذا التحديد نجده ممثلاً بوضوح في مرويات أئمة أهل البيت عليهم السلام بمعنى (الجري) والذي ينسجم تماماً مع القاعدة العامة (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب).

فالأئمة عليهم السلام درجوا على اتباع هذه القاعدة وكانت محور هذا المنهج التفسيري عندهم فنجدهم يطبقون معنى الآية من القرآن على ما يقبل أن تنطبق عليه من الموارد وإن كان خارجاً عن مورد النزول، والاعتبار يساعد على هذا (فالقرآن نزل هدى للعالمين.. ومابينه من الحقائق النظرية حقائق لا تختص بحال دون حال ولا زمان دون زمان وما ذكره من فضيلة أو رذيلة وما شرعه من حكم عملي لا يتقيد بفرد دون فرد ولا عصر دون عصر لعموم التشريع)[٢٥].

هذا الضابط المهم كان للأئمة عليهم السلام في تصديهم لتفسير النص أثرٌ بارزٌ في تفعليه لكشف دلالات النص التي لا تظهر لكل ذي فهم وتستلزم فهما خاصا قادرا على استحضار امكانات النص التي ينطق بها إيحاءً بما يمثل استبطاناً يستدعي آفاقا واسعة يتحرك في إطارها، وهذا الضابط هو ما عبر عنه الإمام الباقر عليه السلام فيما روى عن أبي بصير قال: سألته عن الرواية (ما في القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن وما فيها من حرف إلا وله حد ولكل حد مطلع)، ما يعني بقوله (ظهر وبطن)؟ قال عليه السلام: ظهره تنزيله، وبطنه تأويله، منه مما مضى ومنه ما لم يكن بعد يجري كما يجري الشمس والقمر كلما جاء منه شيء وقع)[٢٦].

هذه السعة المتصورة في شمول النص تبعده إلى آفاق بعيدة من التحرر من قيد سبب النزول ومورده ذلك التقييد الذي يعده الأئمة عليهم السلام إماتة للآية.

قال الإمام الباقر عليه السلام: (ولو ان الآية إذا نزلت في قوم ثم مات أولئك القوم ماتت الآية لما بقي من القرآن من شيء ولكن القرآن يجري أوله على آخره ما دامت السماوات والأرض ولكل قوم آية يتلونها هم منها من خير أو شر)[٢٧].

ومن ملامح توافر (التنزيل) على هذا (الجري): انطباق الكلام بمعناه على المصداق كانطباق قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) التوبة:١١٩، على كل طائفة من المؤمنين الموجودين في الاعصار المتأخرة عن زمان نزول الآية وهذا نوع من الانطباق، وكانطباق آيات الجهاد على جهاد النفس، وانطباق آيات المنافقين على الفاسقين من المؤمنين... الخ)[٢٨].

والخلاصة في أهلية

إن الأئمة عليهم السلام قد درجوا على اتباع قاعدة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فنجدهم يطبقون معنى الآية من القرآن على ما تنطبق عليه مطلقاً

هذا المنهج بل ضابطيته في التفسير واستحضاره الآفاق الواسعة في فهم النص وتقرير شموليته تقوم على أساس (إن للقرآن اتساعاً من حيث انطباقه على المصاديق وبيان حالها فالآية منه لا تختص بمورد نزولها بل تجري في كل مورد يتحد مع مورد النزول ملاكاً كالأمثال التي لا تختص بموردها الأول بل تتعداها إلى ما يناسبها وهذا المعنى هو المسمى بجري القرآن)[٢٩]، والذي وردت العشرات من الروايات عن الأئمة عليهم السلام في تفسير القرآن وفق ضوابطه وأسسه، كبيان لبعض المصاديق التي تنطبق عليها الآيات.

من ذلك مثلا ما ورد عن الإمام علي عليه السلام أنه قام إليه رجل فقال: (يا أمير المؤمنين ما الآية التي نزلت فيك؟ فقال عليه السلام أما سمعت الله يقول: (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه) هود:١٧، فرسول الله صلى الله عليه وآله على بينه وأنا الشاهد له ومنه)[٣٠].

وأكد الإمام الرضا عليه السلام هذا التفسير للآية نفسها فقال: (أمير المؤمنين عليه السلام الشاهد على رسول الله صلى الله عليه وآله ورسول الله صلى الله عليه وآله على بينة من ربه)[٣١].

كذلك قول الإمام الباقر عليه السلام في تفسير آية النور انه قال في قوله تعالى: (كمشكاة فيها مصباح) النور:٣٥: المشكاة نور العلم في صدر النبي صلى الله عليه وآله (المصباح في زجاجة)، الزجاجة صدر علي عليه السلام صار علم النبي صلى الله عليه وآله إلى صدر علي عليه السلام (الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة)، قال: نور (لا شرقية ولا غربية)، قال: لا يهودية ولا نصرانية (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) يكاد العالم من آل محمد صلى الله عليه وآله أن يتكلم بالعلم قبل أن يسأل (نور على نور) يعني إماماً مؤيداً بنور العلم والحكمة في اثر إمام من آل محمد صلى الله عليه وآله وذلك من لدن آدم حتى تقوم الساعة)[٣٢].

وعن الإمام الصادق في معنى قوله تعالى: (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به) البقرة:١٢١، قال عليه السلام: هم الأئمة[٣٣] عليهم السلام.

وعنه عليه السلام أيضاً في تفسير (الصراط المستقيم) الفاتحة:٥، أنه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[٣٤] عليه السلام.

ولا يسع البحث أن يتوسع في إيراد كثير من الروايات في هذا الباب ولمن شاء ذلك الرجوع إلى المجموعات الحديثية والتفسيرية كالكافي (الأصول)، ومن لا يحضره الفقيه، والتوحيد للصدوق، والاحتجاج للطبرسي، وتفسيري القمي والعياشي، وموسوعة البحار وغيرها.

هذان المنهجان إذن من مناهج التفسير عند الأئمة عليهم السلام هما الأكثر بروزاً في الروايات مع وضوح خصوصية فهم الأئمة عليهم السلام وإلا فهناك الكثير من الروايات عنهم عليهم السلام في تفسير الآيات القرآنية باعتماد السنة المشرفة أو التفسير المنطلق من أسس اللغة وفنونها البيانية والبلاغية... الخ وهو ما يمكن الرجوع فيه إلى نفس المصادر السابقة الذكر ■

---

(١) مسند احمد ١٠: ٢٣٠، ١١: ٣٠

(٢) القمي: التفسير ١: ٣٤٦.

(٣) لعله أراد به الوجه المدور المشرق.

(٤) الطبرسي: مجمع البيان ١٠: ٤٦٦.

(٥) لابد هنا من تأويل هذا النص وإلا فهو يختلف مع آيات أخرى نافية للرؤية عن الإمام الباقر عليه السلام

وباقي الأئمة عليهم السلام. فان هذه الرؤية هي الرؤية القلبية حيث انهم مازالوا في هيئة الذر لم يتلبسوا بعد بالأجساد و يتسلحوا بالحواس والجوارح.

(٦) تفسير العياشي ٢: ٤٠.
(٧) التوحيد ١٥٣.
(٨) أصول الكافي ١: ٢١٠.
(٩) الصدوق عيون أخبار الرضا ع ١: ٢٠١ دار العلم/ قم / ١٣٧٧ هـ، الكاشاني تفسير الصافي ٢: ١٠٣.
(١٠) الزركشي، البرهان ٢: ١٣.
(١١) البرهان في إعجاز القرآن ٢: ١٧٢.
(١٢) الإتقان في علوم القرآن ٤: ٣٧٢.
(١٣) البلاغي (محمد جواد): آلاء الرحمن في تفسيرا لقرآن ١: ٣٧٢.
(١٤) محمد البهي: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ٩٦ دار الفكر بيروت ط١.
(١٥) الطوسي: التبيان ٨: ٤٧.
(١٦)الطوسي: التبيان ٨: ٤٧.
(١٧) الصدوق: التوحيد ص٩١.
(١٨) مسند أحمد ٣: ٢٤١، ٤: ١٤١.
(١٩) الكاشاني: تفسير الصافي ١: ٤١.
(٢٠) أصول الكافي ٢: ١٥.
(٢١) التوحيد: ١١١.
(٢٢) السيوطي: الإتقان ١: ١٠٧.
(٢٣) الطباطبائي: الميزان ١: ٤٢.
(٢٤) صبح الصالح : مباحث في علوم القرآن ١٥٩.
(٢٥) الطباطبائي: الميزان ١: ٤٢.
(٢٦) تفسير العياشي ١: ١١.
(٢٧) تفسير العياشي ١: ١٠.
(٢٨) الطباطبائي: الميزان: ١: ٧٢.
(٢٩) الطباطبائي: الميزان: ٣: ٦٧.
(٣٠) تفسير العياشي ٢: ١٤٣.
(٣١) الكافي: الأصول ١: ١٩٠.
(٣٢) الصدوق: التوحيد ١٥٨.
(٣٣) تفسير العياشي ١: ٥٧.
(٣٤) تفسير العياشي ١: ٣٤.

حصاد الألسن

عن معاذ بن جبل قال: قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله: أخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويباعدني عن النار، فقال: لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليسير على من يسّره الله، تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت، ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: الصوم جنّة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماءُ النار، وصلاة الرجل في جوف الليل شعار الصالحين، ثم تلا: (تتجافى جنوبهم عن المضاجع... الآية) ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد، ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: كفّ عليك هذا ـ وأشار إلى لسانه ـ. قلت: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكبّ الناسُ في النارِ على وجوههم أو قال: على مناخرهم إلا حصاد ألسنتهم.

قراءة بيانية في سورة المسد

• عبد علي حسن الجاسمي
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ *
سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ *
فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ *

ينابيع كان القرآن الكريم منذ نزوله على لسان جبرئيل إلى النبيﷺ ليبلغه لهذه الأمة، مدرسة مفتوحة، وجامعة كبرى يتدارسون مشاكلهم المختلفة، ومسائلهم المتنوعة، في أفيائها الفسيحة، وجنباتها الواسعة، وعلى الرغم من نزوله بلسان عربي مبين، وإنه نزل على جماعة كانت أعلم الناس بفهم أسراره البلاغية، ومراميه البيانية، فإنهم كانوا يقفون أمامه موقف التلميذ من أستاذه الكبير الذي لايسعه إلا أن يُذعنَ له بالفضل، ويعرف له بالتفوق، ويسلم له بالعجز عن مداه، والضعف أمامه، ثم يلقي بحوله وطوله بين يديه معلناً له أنه محدود التفكير والعلم والمعرفة بالنسبة لما أفاضه الله عليه من الفيض الغزير. والسبب في ذلك كله يعود الى أن القرآن الكريم ـ على الرغم من أن الله تبارك وتعالى قد يسّره للذكر ـ يحتاج الناظر فيه الى علم خاص وراء العلم بالوضع اللغوي للألفاظ والممارسة العامة. ومما يحتاجه من يبغي التفسير، الإحاطة بدقائق اللغة، وأسرار النحو، وغريب الألفاظ، وعلم البيان، فضلاً عن أساليب فحول الفصاحة العربية.

ولعل أبرز أساليب الإعجاز ورود هذه الصور المختزلة في حادثة من الحوادث التي طرأت على الإنسانية عموماً، وعلى النبي الأعظم محمدﷺ. من خلال السور القصار التي امتازت عن السور المباركة الأخرى، ومنها سورة (المسد) التي زخرت بهذه الصورة المرعبة في التهديد الإلهي والوعيد الذي تتخلع له القلوب. وللوقوف على لمحات من المستويات البيانية في السورة المباركة رأيت ـ على علمي القاصر ـ أن أقسم هذه اللمحات الى التقسيم الآتي:

١. الغرض من السورة:

هو إنذار لأبي لهب ودعاءٌ عليه، وكان شديد العداوة والحقد على النبيﷺ ومصّراً على تكذيبه، مبالغاً في إيذائه، وإنذار لأمرأته أيضاً بالنار في الدار الآخرة لموقفها الذي واجهه رسول اللهﷺ. وكان أبو أبو لهب من أشد المعاندين وقد كان لهذا الموقف أشد الأثر في نفس رسول اللهﷺ.

٢. النزول:

يكاد المفسرون يجمعون على أن سبب نزول هذه السورة، أن أبا لهب قال للنبيﷺ: ماذا أُعطى يا محمد إن آمنت بك؟ قال: كما يُعطى المسلون. فقال: مالي عليهم فضل؟!

قال: وأيَّ شيء تبغي؟ قال: تباً لهذا من دين تباً، أن أكون أنا وهؤلاء سواء، فأنزل الله تبارك وتعالى: (تَبّت يدا أبي لهب). وذلك بعد أن جمع النبيﷺ عشيرته الأقربين إمتثالاً لأمر الله تبارك وتعالى في قوله المبارك: (وأنذر عشيرتك الأقربين)[1].

٣. المستوى الدلالي:

(تبت يدا أبي لهب): وعيدٌ شديد وإنذارٌ لأبي لهب، ودعاءٌ عليه بالخزي والخسران، وبهلاك نفسه ببطلان سعيه في إطفاء نور الله تبارك وتعالى والرسالة المحمدية، والله متمّ نوره ولو كره المشركون.

ورُبّ سائل يسأل: لمَ لم يقل: (قل تبّت يدا أبي لهب) كما قال: (قل يا أيها الكافرون)[٢]. فالجواب: إن الله تبارك وتعالى لم يشأ أن يُشافه نبيه الكريم ﷺ عمّه أبا لهب بما يشتد غضبه رعاية لكرامة القرابة، وتحقيقاً لقوله تبارك وتعالى: (فبما رحمة من الله لنتَ لهم)[٣]. أما في سورة (الكافرون) فقد طعن الكفّار في الله سبحانه وتعالى بالشرك والكفر والتكذيب. أما في هذه السورة ففيها بيانُ طعنٍ طعنه أبو لهب في حق النبي ﷺ، وجواب عنه... والله أعلم.

وفي الآية الكريمة تفنيد للقرابة والقومية اللتين لا تستجيبان إلى الدعوة الحقّة للنور والهدى، والحق والفلاح، ولا تحملان الإيمان بالله تبارك وتعالى ورسوله الكريم محمد ﷺ، فلا حرمة ولا كرامة لأبي لهب قريب النبي ﷺ ما لم يستجب لدعوة الحق. وقد ورد ذكر هذا الشقي بكنيته على سبيل التحقير فصارت له علماً، إذ كان إسمه عبد العزى فكره أن يذكر إسمه كرهاً لمعناه، وذكر بكنيته لتشهيره بدعوة السوء عليه، ولموافقة حاله لكنيته، فإن مصيره إلى نار ذات لهب.

وقد نسب الخسران المستمر حتى الهلاك إلى اليدين لأنهما القوى العاملة فيه والممكنة له من الشر والعدوان، واليد هي مظهر آثار الإنسان إذ بها يأخذ ويعطي... فإذا ذهبت اليد اليمنى قامت اليد اليسرى مقامها، فإذا ذهبت اليدان أصبح الإنسان معطل الحركة عاجزاً عن أن يحصّل شيئاً، ولهذا جاء بعد ذلك قوله تبارك وتعالى: (وتّب) أي: هلك هو بعد أن قطعت يداه. فبين الفعلين: (تبّت) و(وتّب) فرق، إذ أن الأول دعاء والثاني خبر.

(ما أغنى عنه ماله وما كسب): تقرير للدعاء السابق على وقوعه موقعه، وفي الآية دلالة على كثرة أمواله وسعة أحواله. وفي إيثار الفعل الماضي (أغنى) و(كسب) تأكيد وتحقيق على إعادة إخبار الله تبارك وتعالى وقد زاده تأكيداً بقوله: (سيصلى ناراً ذات لهب).

فالآية الكريمة تعقيب على الخبر المتقدّم بأن أبا لهب استمر خسرانه حتى هلك، إذ نزل عليه ما نزل من هوان وخزي وخسران من دون أن ينفعه ماله الذي جمعه واعتز به، ولا هؤلاء الأبناء الذين إشتد ظهره بهم، ولا قواه المتصلة والمنفصلة كان يعتمد عليها. لقد تخلّى عنه ماله وولده وجاهه وإشتهاره وزعامته جميعاً وتركوه لمصيره الذي

قد نسب القرآن الكريم في السورة المباركة الخسران المستمر حتى الهلاك إلى اليدين لأنهما القوى العاملة فيه والممكنة له من الشر والعدوان.

هو صائرٌ إليه، إنه قيد الهلاك وهو بين أيديهم فهل يستطيع أحدٌ أن يمدّ يده إلى نجاته؟

(سيصلى ناراً ذات لهب): وعيد شديد وتفزيع من الله تبارك وتعالى كما سيذوقه أبو لهب في الدار الآخرة بعد أن عرف مصيره في الحياة الدنيا من الخزي والخسران والذلة والهوان وأن كل ما كان يكيد به للنبي محمد ﷺ قد رُدّت سهامُه، فرآها بعينه في الدنيا، وكيف حلّت الهزيمة بقريش يوم بدر وكيف قتل صناديدها وأسّر زعماءها.

وإن (السين) في (سيصلى) لتأكيد الوعيد وتشديده، أي: سيدخل ناراً لا محالة ويلزمها بعد هذا العذاب العاجل في الدنيا ومن ثم في نار جهنم يخلّد فيها.

وفي وصف (ناراً) بأنها (ذات لهب) إشارة إلى شؤم هذا الإسم الذي سمّي به أو الكنية التي تكنّى بها (أبو لهب) فقد تلبس هذا الثوب الناري الذي جعل منه وقوداً يشتعل ويلتهب بسوء اختياره، فكأنه شارة من شارات جهنم ذات اللهب يلقاها في الآخرة ويصلى جحيمها. فهو لهب وفي تنكير (لهب) تقريع وتهويل وتفزيع وتفخيم له أي: ناراً عظيمة ذات قوه واشتعال وتلّهب، تلتهب على أبي لهب، لا يقدر قدرها.

- (وامرأته حمالة الحطب): عطف على الضمير المضمر في (سيصلى) والتقدير: وستصلى إمرأته.

أما (حمالةَ للحطب) فقد جاء نصبه (حمالةً) على أساس ما يجري من الشتم مجرى التعظيم وهذا ما ذهب إليه سيبويه. قال: (...لم يَجْعل الحمالة خبراً للمرأة، ولكنه كأنه قال: اذكُرُ حمالةَ الحطب، شتماً لها، وإن كان فعلاً لا يُستعمل إظهارُه)[٤]. وقيل: كناية عن نميمتها، تقول العرب لمن ينّم ويشي: يوقد بين الناس الحطب الرطب[٥]. وكانت إمرأة أبي لهب أخت أبي سفيان تؤجج بين الناس نار العداوة، وتسعى بها بين الناس لتثير النفوس على النبي ﷺ وتهيج عداوة المشركين له، وكانت هي أشد نساء قريش عداوة له ﷺ.

(في جيدها حبلٌ من مسد): حال من إمرأته، أي: حال كونها في عنقها حبلٌ من الحبال المفتولة فتلاً شديداً، وفي هذا الحال تفزيع وفظاعة، ووضعها بهذه الصفة تحقير لها وتبشيع لعملها وتقبيح لصورتها، وتهكم بجعل الحبل كالعقد كما في تنكير (حبل) و (مسد) من تقريع أي: حبل مسد.

إن أبا لهب وإمرأته هما الشخصان الوحيدان اللذان إختصهما القرآن بالذكر وسوء الدعاء بصراحة، وسجل عليهما اللعنة الخالدة على مّر الدهر.

وكلمة (جيد) هنا مقصودة لذاتها، إنه يُراد بها ما لا يراد بلفظ رقبة أو عَنُقُ. إنها تنزل إمرأة من عقائل قريش، ومن بيوتاتها المعدودة فيها لتلقي بها في عرض الطريق، وهي تحمل على

قد جاء نصب (حمالة الحطب) على أساس ما يجري من الشتم مجرى التعظيم، وهذا ما ذهب إليه سيبويه.. كأنه قال: اذكر حمّالة الحطب شتماً لها.

ظهرها حزم الحطب، وتشدّها إلى جيدها بحبل من ليف!

ولهذا فزعت هذه المرأة، وولولت حين سمعت هذا الوصف الذي وصفها القرآن الكريم به، فخرجت في جنون مسعور تستعدي قريشاً على النبيﷺ، وقد كانت هذه الصور التي رسمها القرآن الكريم لها، وعرضها هذا العرض المذل المهين لها، حديث قريش ـ نساءً ورجالاً ـ ومادة تتندر بها وتتعابث معها زمناً طويلاً. وهو أمرٌ بعث هذه المرأة على التفكير في قتلهﷺ ولكن الله تبارك وتعالى ردّ كيدها إلى نحرها.

من ملامح الإعجاز في السورة:

من المعلوم عن أهل صناعة البيان، إن هذه السورة كسائر السور القرآنية معجزة من جهات عدّة لا يسع مقام الاختصار ذكرها، ولكن تجدر الإشاره إلى زاويتين من زوايا إعجازها:

الأولى: إخبار بأمور كلها غيبيّة هي معجزة لا يستطيع أحدٌ من الجن والإنس إتيانها، وإنما هي وحي سماوي نزل على النبي محمدﷺ. فلو أسلم أبو لهب لما كان قوله تبارك وتعالى: (سيصلى ناراً ذات لهب) معنى ولا واقع، ولأصبحت هذه الآية في وادٍ والواقع الذي يكذّبها ويتحداها في وادٍ آخر.

فما توعد القرآن الكريم مسلماً بالعذاب أبداً مادام على دين الله تبارك وتعالى وأن يكن وعيدٌ من القرآن للمسلم المنحرف فهو وعيدٌ عام لا تُذكر فيه أسماء ولا يحدد فيه أشخاص مثل قوله تبارك وتعالى: (فويلٌ للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن ويمنعون الماعون)[٦].

وهذا وجه مشرق من وجوه إعجاز هذه السورة القصيرة، لا يقبل مراءاً ولا يدخل عليه تلبيس. وهو أمرٌ ما كان ليحدث أبداً، إلا لدعوة منزّلة من السماء ولكتاب هو تنزيل من ربّ العالمين.

الثانية: نظم السورة وأسلوبها، لقد كانت (الكلمة) في هذا النظم المُعجز بما لا تستطيع معه وسيلة من وسائل التعبير متفرقة ومجتمعة أن تقوم به. وذلك إن هذا النظم والإسلوب الخاص جمعت فيه السورة بين (أبي لهب) وبين الحطب الذي تحمله إمرأته؛ لا يمكن أن يقرأه قاريء أو يستمع إليه مستمع من دون أن يستحضر هذه الصورة التي حدثت. أو شيئاً أكثر منها في عرض هذا الشقي الجبارومعه إمرأته في هذا العرض المُهين الفاضح، لهبٌ وحطب!!.

أبو لهب وإمرأته حمالة الحطب! ماذا يكون منهما؟ نارٌ موقدة في صورة إنسان يسعى بين الناس. ومعه زادُه الذي يمده بالوقود. لقد كانت هذه السورة تتحرك تحرك البرق بين أحياء العرب وتحدو بها

الركبان. وقد انزوى أبو لهب على أثرها في زاوية بيته هرباً من تلك العيون التي كانت تأخذه حيث كان.

إن النظم الذي جاءت عليه هذه السورة، قد جاء في صورة تُغري بأن تكون أغنية يتغنى بها الولدان، ويحدو بها الركبان وتتناشد بها الرعاة، إنها تصلح أن تكون ـ في نظمها وأسلوبها ـ غناءً أو نشيداً أو حداءً، ولا يحسب قارؤها إلا أنها كانت بعد أيام قليلة من نزولها، نشيداً مردّداً في طُرقات مكة على ألسنة الصبيان، وفي البوادي على أفواه الرعاة والحداة وأنها قد أخذت صوراً وأشكالاً من الأوزان والأنغام التي تولدت من نظمها العجيب ومن أسلوبها المعجز.

٥. خلاصة:

ومن منطلق الإعجاز اختلف أرباب صناعة البيان وعلم المعاني؛ في فهم ملامحه، واتسع مجال الرأي، واختلفت ميادين الإدراك، وتنوعت أساليب الفكر، وتعددت معاني الفقه، وظل القرآن الكريم معيناً لا ينضب، ومحيطاً لا ساحل له، وفيضاً لا يغيض ماؤه وسحاً لا ينتهي جوده، وسيظل هكذا مادامت الأرض والسماوات، والله غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ■

(١) الشعراء: ٢١٤، ويُنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر الطبري، ٣٠: ٣٣٦ـ٣٤٢.
(٢) الكافرون: ١.
(٣) آل عمران: ١٥٩.
(٤) كتاب سيبويه، ٢: ٧٠، ١٥٠.
(٥) ينظر: مجمع الأمثال للميداني ١: ١٨٧.
(٦) الماعون: ٤ـ٧.

زهد الزهراء عليها السلام

جاء في تفسير الثعلبي عن جعفر ابن محمد عليهما السلام وتفسير القشيري عن جابر الأنصاري قالا: رأى النبي صلى الله عليه وآله فاطمة وعليها كساء من أجلّة الإبل وهي تطحن بيديها وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا بنتاه تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة فقالت: يا رسول الله الحمد لله على نعمائه والشكر لله على آلائه فانزل الله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى).

وقال ابن شاهين في مناقب فاطمة وأحمد في مسند الأنصار عن أبي هريرة وثوبان أنهما قالا: كان النبي صلى الله عليه وآله يبدأ في سفره بفاطمة ويختم بها، فجعلت وقتاً ستراً من كساء خيبرية لقدوم أبيها وزوجها فلما رآه النبي صلى الله عليه وآله تجاوز عنها وقد عُرف الغضب في وجهه حتى جلس على المنبر فنزعت قلادتها وقرطيها ومسكتيها ونزعت الستر فبعثت به إلى أبيها وقالت: اجعل هذا في سبيل الله فلما أتاه قال عليه السلام قد فعلت! فداها أبوها ثلاث مرات ما لآل محمد وللدنيا فإنهم خلقوا للآخرة وخلقت الدنيا لهم. وفي رواية أحمد: فإن هؤلاء أهل بيتي ولا أحب أن يأكلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا.

جامعاتنا..
بين البحث العلمي والدراسات العليا
وأثرهما في التنمية والتطور

• د. حيدر كريم الجمالي
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

ينابيع تعد الجامعة ـ في عصرنا الحاضر ـ الأمل المنشود الذي تتوخاه السياسات في سبيل تحسين الظروف الحياتية لمجتمعاتنا ـ العربية ـ من خلال ما تقدمه هذه الجامعات من أطاريح تساهم وبشكل فعال في رفع كفاءة المجتمع والنهوض به إلى أعلى مما هو عليه.

والواقع أن الجامعة ـ في عصرنا الحاضر ـ لم تعد قادرة على غلق أبوابها على نفسها وصم آذانها تجاه ما يحدث من تغيرات جارية حولها ـ وعلى الأنشطة كافة ـ على وجه العموم.

إن هذه الجامعات التي أنشأها مجتمعنا وأنفق عليها وبذل في سبيلها الكثير من الجهد والعرق والمال. كي تعطي بالأخير الحلول الممكنة في سبيل رفاهية مجتمعاتها وتقدمها فلا يمكن لذلك أن تعزل نفسها عن المشاكل ولا عن الطموحات المرتقبة وإلا لانتفى سبب وجودها الأساس.

يقول الدكتور محمد عبد الحليم مرسي في كتابه (التعليم العالي ومسؤولياته) وهو ذكرى لجامعاتنا وهي (تغادر أسوار الحرم الجامعي وأن تحث خطاها إلى الأسواق والمزارع والمصانع والمستشفيات والإدارات الحكومية فليس من حق جامعاتنا أن تأوي إلى جبل يعصمها من طوفان التنمية فتعتزل المجتمع بخيره وشره، وتنصرف إلى كتبها وطلبتها وأساتذتها وهمومها الكبيرة والصغيرة تدرس حياة شاعر عاش في اسكتلندا قبل ألف عام...) وكما يحصل حاليا في جامعتنا ولاسيما الفتية منها.

فتواجد الجامعة الطبيعي هو قلب الإعصار ومكانها في صميم الطوفان لتأخذ بدورها عجلة التنمية وهذا المكان لا يعطى بل يُنتزع بالطموح والإصرار والأمل وفتل السواعد بغبار الأمل.

الجامعة والبحث العلمي:

يعد البحث العلمي الركيزة الأساس في الدراسة الجامعية وتقع عليه مسؤوليات التطوير والتغيير الحضاري والاجتماعي في المنطقة وذلك من مبدأ أن مهمة الجامعة لا يجب أن تكون منصبة على تخريج طلبة أكفاء في اختصاصاتهم وإنما الإعداد للبحوث لتغطية كفاءاتهم في مجالاتهم العلمية منها والإنسانية.

بما توفره تلك الجامعات من إمكانيات تطرحها مناهج تعليمها بين حين وآخر.

ولعل التنسيق بين الجامعات العراقية والعربية العالمية هو المفتاح الأساس لديمومة استمرار تلك الجامعات في نجاحها وتطورها من خلال توفير الجو الحر الذي تستطيع فيه الجامعات أن تنتج وأن تطور بحوثها.

وقد نادى الدكتور كمال القيسي في كتابه (الجامعة بين الفكر والتنمية إلى حملة أمور تسهم إسهاماً فعالاً في النهوض بواقع البحث العلمي في جامعاتنا وهذه الأمور هي:

١- وضع الخطط المتكاملة والمدروسة للبحوث والدراسات العلمية التي تجريها الجامعات استجابة لحاجة البلاد.

٢- توفير العلماء المجربين الذين مارسوا البحث العلمي واعتادوا على طرقه.

٣- توفير المختبرات والأجهزة العلمية الحديثة اللازمة.

٤- تهيئة مراجع البحث والمكتبات والمجلات العلمية والتنسيق إقليمياً في ذلك.

٥- توفير البيئة والمناخ العلمي الصالحين لمساعدة الباحثين على الإنتاج والإبداع.

٦- عقد المؤتمرات العلمية والحلقات الدراسية والندوات التي من شأنها رفع كفاءة البحث العلمي.

٧- تشجيع المشاركة في المؤتمرات العلمية على المستوى الإقليمي والعربي والعالمي والتشجيع هنا يكون مادياً ومعنوياً.

إن البحث العلمي يحتاج إلى (سياسة المرونة والأفق الأوسع) عند القيام بمشروعاته على ضوء الاحتياجات المتجددة

لدول المنطقة في مجال التنمية والتطوير وهذا يعني أن التحرر في جامعاتنا يجب أن يكون من قيود الروتين والبيروقراطية التي تكبل عمل مؤسساتنا البحثية بهذه القيود وتفرض الفشل على فاعلية هذه الجامعات ولاسيما يوجد أشخاص غير كفوئين سيطروا على دفة البحث العلمي في جامعاتنا من مختلف الجهات في زمن النظام المباد.

فمؤسسات البحث العلمي تحتاج إلى جهاز إداري بشري متقدم ومدرب كي يدير أعمالها بكفاءة لا تعرقل عمل العلماء العاملين والباحثين الذين يجب تخصيص وقت أكثر لفراغهم لإجراء بحوثهم ودراساتهم.

ـ فمثلاً كتاب تسهيل مهمة يستغرق أكثر من ثلاثة أسابيع لإصداره وهو كتاب بسيط لا يعني شيئاً سوى انه يسهل مهمة الباحث في دوائر الدولة ـ فعمل الباحثين لا يتحمل التعقيدات البيروقراطية أو الإجراءات المكتبية المطولة والعقيمة والمعقدة.

فأي باحث لا يستطيع الوصول إلى الابتكار والأمن إلا من خلال تظافر الجهود في جو علمي حر وإداري خلاق بعيداً عن عقبات المال والسيطرة المركزية والسياسية.

إن ما يمكن أن تؤويه الجامعات في مجال البحث العلمي لا حدود له خدمة لنفسها وللمجتمع من حولها، بل وللوطن الذي أنشأها ولا نغالي إذا قلنا وللإنسانية جمعاء لاسيما أن منطقتنا المحلية والإقليمية بحاجة ماسة إلى جهود أبنائها الباحثين لسد حاجاتها وحاجات شعوبها التواقة إلى التقدم والنهوض في مجال البحث العلمي.

وإذا ما سألنا أنفسنا عمّا قدمته جامعتنا لاسيما الفتية منها في السنوات المنصرمة من قدرات وبحوث أو ثروات أو دراسات من شأنها أن تطور مناهج البحث العلمي؟ نجدها أقرب إلى التعجب من الإجابة لأن الحيرة سترافق إجاباتنا لأن أغلبها التزم الطابع المدرسي العقيم في مناهجه فالخروج عن المناهج في بعضها قد تعرض الأستاذ إلى أمور نحن لسنا في صددها.

الجامعة والدراسات العليا:

أصبح من المسلم بأيدينا أن البحث العلمي مهمة أساسية من مهام جامعاتنا ووظيفة ينبغي عليها أن تؤديها إذاً لابد أن يكون للدراسات العليا نصيب في هذا المضمار.

فالدراسات العليا في ذاتها أكبر ميدان لتدريب الباحثين الجدد ابتداءً من اختيارهم موضوعاتهم ومشاريعهم البحثية لنيل درجاتهم العليا، وخاصة الدكتوراه وانتهاءً بمستخلصات تلك الرسائل عندما تظهر إلى الوجود أو تستوي لتصبح كتباً أو أعمالاً علمية لها حظها من التبادل بين دوائر الدولة.

الجامعات الأمريكية ـ مثلاً ـ تعد من أكثر جامعات العالم ارتباطاً ببيئتها وتفاعلها معها تهتم بجانب الدراسات العليا اهتماماً بالغاً بالباحثين أنفسهم وتأمين كل شيء لهم وتدعيمهم مادياً ودفعهم للأمام علمياً، وقد أخذ بعضها يصرف الجزء الأكبر من وقته وجهده إلى مجالات الدراسات العليا أكثر من غيرها. لأن هذه المجالات هي الأطراف الحساسة التي تنمو

بها الجامعات وتدعم المراكز العلمية.

ولعل جامعات الخليج العربي قد أخذت تحذو بعض الشيء حذو الجامعات الأمريكية.

ونجد جامعاتنا تبتعد بعض الشيء عن أن تكون جامعات نوعية متخصصة تعنى بالكيف لا بالكم فالجامعات العراقية ولاسيما الفتية منها ـ أصبحت تعنى بالكم لا بالكيف، وأصبح القبول في بعضها يتجاوز ما تطرحه الوزارة من أعداد ولعل كثرة الرسائل الجامعية المتشابهة خير دليل على ذلك حيث أن بعض الموضوعات درست لأكثر من مرة.

ومما يجدر ذكره أن وزارة التعليم العالي الفرنسية أبطلت البحث في العديد من الموضوعات التي قالوا عنها إنها لا طائل منها. وأخذت دراساتهم المعاصرة خطوات رائعة نحو المستقبل.

فالجامعة هي المكان الأمثل لقيام الدراسات والبحوث العلمية ولعلنا متفقون على الارتباط الوثيق بين الدراسات العليا والبحث العلمي، ويجب ربط خطط الدراسات العليا وبحوث طلابها بخطط التنمية والتقدم وهذا بدوره يتطلب إعادة النظر بمناهج الدراسات العليا الحالية، لأن الدراسات العليا في الوقت الحالي لا تتفاعل مع حركة المجتمع الذي يتفاعل من حولها وتعيش فيه.

إن وضع دراسات مستقبلية مفصلة للسنوات القادمة للدراسات العليا ضرورة يؤكد عليها العديد من المختصين في هذا المجال. ولابد من التركيز على سياسات القبول في جامعاتنا على النوع دون الكم لأن هذا المبدأ في بالنهاية يصب في صالح الدراسات العليا.

ولابد من الإشارة إلى أمرين هما في غاية الأهمية أما الأول فهو أن يخطط لهذه الدراسات داخل الأقسام العلمية وأن توجه الوجهة الصحيحة التي تخدم نمو المجتمع وتطوره، وهذا يعني أن نجعل الأقسام العلمية كخلايا في جسم واحد يؤدي كل منها وظيفة معينة.

والأمر الثاني: تنفيذي في طباعة تلك البحوث ولاسيما الدكتوراه لا أن تترك في المكتبات لتزيين رفوفها لأنها عصارة فكر وعلم وجهد لا يستهان به.

إن الجامعات حينما تقدم لطلابها ما تقدم فإنها سوف تحصل على جهد طيب يتمثل بالثمار التي ستنجز من حقول أبنائها ■

حكمة

قال رجل لبعض الناسكين: صف لنا التقوى. فقال: إذا دخلت أرضاً فيها شوك كيف كنت تعمل؟ فقال: أتوقّى وأتحرّى. قال: فافعل في الدنيا كذلك، فهي التقوى.

قال الشاعر:

كن مثل ماشٍ فوق أر ... ض الشوكِ تحذر ما تَرى

لا تحقرنّ صغيرة ... إنّ الجبالَ منَ الحصَا

الدور الإعلامي وأهميته في المواجهة

مع آليات الإعلام الغربي وتحديات العولمة

• د. عامر عبد زيد

ينابيع إن عملية الإتصال تمثل حلقة الوصل بين الرأي العام وصانعي القرارات، وهذه العملية من شأنها أن تخلق التفاعل الطبيعي بين اهتمامات الرأي العام وقضاياه وقرارات السلطة السياسية واستمرار هذا التفاعل يضمن الحفاظ على الإستقرار السياسي والاجتماعي من ناحية، واستمرار عملية التغيير المجتمعي بطرق سليمة من ناحية أخرى.

إن الاتصال ظاهرة اجتماعية ثقافية غاية في التعقيد، وجزء لا يتجزأ من الجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية والعلمية والتربوية لجميع الأمم، لهذا يمكن أن نلمس الصلة بين السياسة والاتصال الإعلامي إذا كان النظام السياسي يقوم على مجرد القوة، فإن رغبات من يملكون القوة لابد من أن تنتقل إلى من يستجيبون لها، وإذا كان النظام يقوم على المشاركة فإن ذلك في صنع القرارات.

وبوجه عام، فإنه كلما زادت ديمقراطية النظام السياسي زادت حاجته واعتماده على نظام الإتصال، وهذا يظهر أهمية الإعلام إلا أننا نواجه في هذا المضمار أمرين:

الأمر الأول: تخلف فلسفة الإعلام في العالم العربي.

ثانياً: الخطر الذي يواجهنا اليوم كثقافة متمثلة بالتهديد الإعلامي في ظل منهجة العولمة.

أما الأمر الاول: فيظهر في فلسفة الإعلام في بلادنا فإنها لا تخرج عن نطاق التجهيل وحجب المعلومات، ويرجع ذلك إلى طبيعة الحاكم للإعلام فهو إما نظام الملكية والتبعية للأجهزة الرسمية أو الخضوع لسيطرتها ورقابتها، فهذا يعتمد سياسة الحجب للمعلومات أو الكشف عن المناسب منها وهي بالتأكيد نزعة لا ديمقراطية.

إنه إعلام سلطوي فإن السمة الرئيسية المشتركة لمعظم الأنظمة العربية تتمثل في كونها نظماً يسيطر عليها القابض على المركز الرئيسي لصنع القرار السياسي في قمة هرم السلطة، فدور الإعلام تنفيذ سياسته في مجال الإعلان وقد توصلوا إلى أن وعي الإنسان ـ أي إنسان ـ له ثلاثة مستويات أو درجات:

الدرجة الأولى: يكون فيها وعي الإنسان كاملاً فهو يعرف ماذا يريد بالضبط، وماذا لا يريده.

الدرجة الثانية: هي العقل الباطن، والإنسان فيه ربما يتحسس بوجه عام ما يريد، ولكنه متأثر في ذلك خفية، كمخاوفه وأحلامه غير المحققة وما إلى ذلك.

الدرجة الثالثة: هي المشاعر التي لا يعرفها الإنسان وإذا عرفها لا يناقشها.

وقال خبراء الإعلام: إن رسالتهم هي التركيز على الدرجتين الثانية والثالثة في نفس الإنسان ومن هنا ولد مبدأ تطبيق قواعد التحليل النفسي في سوق التجارة والسياسة. مما ساهم في إثارة الرغبات والعمل على إشباعها عبر الاستهلاك والتأثير السياسي والفكري أيضاً.

٢ـ سلطة الإعلام وحوار الحضارات:

لقد أصبحت قوة وكفايتها التعبيرية، منذ حرب فيتنام مصدر قلق للسياسة في الولايات المتحدة الأمريكية. وقد ظهرت اتهامات قلقة تشير إلى الاستقلالية التي أضحت لوسائل الإعلام عن السلطة السياسية والمالية.

وبرزت مقولة النظام الداخلي الجديد كما يقول هنتنجتون، كشاهد على مفهوم إعادة تشكيل أجهزة المراقبة الدولية.

بما يعني إجراء الحماية الداخلية الواجب تطبيقها في زمن الأزمات إنها سلطة تعتمد في زمن الأزمات على احتكار مصادر الأخبار، وارتفاع مؤشر المصداقية والمشاهدة من طرف الجمهور الأكثر حساسية وتضرراً من الحرب (فعلياً أو معنوياً).

ولا يمكن أن يتحقق الحوار الحضاري في ظل غياب الحق وأخلاقيات المهنة، والحرية المهنية في النظام الغربي.

ومن هنا ظهر للإعلام دورر كبير في التأثير في الوعي عبر اعتماده كأداة في توجيه الوعي بالشكل الذي يخدم الجهة التي تمتلك وسائل الإعلام تلك، فإن الدول المتقدمة هدفت من خلال نشر أيديولوجيتها إلى حماية مصالحها الرأسمالية وثم ذلك بطرق غاية في الذكاء ومنها خفض التكلفة في إنتاج المواد والبرامج الإعلامية.

أي إن السلطة السياسية الغربية والأمريكية على وجه الخصوص في ظل الإمكانيات التي أتاحتها الثورة العلمية للمعلومات ثم إعتمادها على وسائل فكرية تحاول السلطة أن تعتمد في بناء وعي له تأثير محدد على المتلقي وهذا يسعى إلى إيجاد فقاعات في السياسات السياسية والاقتصادية والعسكرية المتبعة.

لهذا نرى القائمين بالاتصال على دراية كاملة باستراتيجية الدول الإعلامية والخطط الإعلامية المنبثقة عنها، وبالجمهور المستهدف وكيف يمكن الوصول إليه؟ فالتركيبه العامة للجمهور من حيث السن والجنس والانتماءات العرقية والسياسية والدينية وهذا يظهر واضحاً في أهم ملامح الإعلام المعاصر.

١- خبراء الإتصال يحكمون قبضتهم على الإعلام: لقد برز، مع عشرينية الثمانينات، وبشكل واضح، ما أسماه سارتر مهنيو المعرفة العملية والقاضمون بالاتصال هم من هذا الصنف، لقد أصبح العالم متصدر الإيحاء بشكل أكثر من أي وقت مضى، وأصبح كل شيء فيه نسبياً. والأمثلة على ذلك كثيرة تختزلها في المجال السياسيي ألفاظ مثل التعيش والتوافق.

وهذه النسبية تتيح قدراً كبيراً من حرية التصرف، وتمكّن من إضفاء الشرعية عبر إنتقاء المبررات، حيث بات كل شيء قابلاً للتبرير. وهنا تصبح السياسة من صنع خبراء الإتصال أكثر مما هي تعبير عن إرادة جماعية أساسها العدل والرحمة والمساواة.

لهذا يرى أحد خبراء الاتصال: أن علماء النفس يخدمون ثقافة التماثل والتي يترتب عليها في الممارسة تفسير الاختلاف، علماً أنه خيانة، وهو عكس الروح التي تسود في ثقافة الفريق والتي تؤدي إلى تشجيع روح التعاون والشراكة والتكامل والتواصل مع الآخرين.

هذه القيم التي سبقت الإشارة إليها تشكل تكويناً ثقافياً يمثل أساساً للتطرف والعنف في المجتمع، وهي ما تدفع إلى ضرورة تغير السياسة الإعلامية والتعليمية، وتعزيز الثقافة الديمقراطية القائمة على التعايش والتكامل والحوار وإقامة الذات وتعزز الهوية التي هي حجر الزاوية في تكوين الأمم لأنها نتيجة تراكم تاريخي طويل، فلا يمكن تحقيق الوحدة الثقافية بمجرد قرار، حتى تتوفر الإرادة السياسية. وليس رد فعل ضد الآخر ونزوع حالم لتأكيد (الأنا) بصورة أقوى وأوجب.

الأمر الثاني: التهديد الإعلامي:

ايديولوجيا الاتصال والتوظيف الدعائي إذ تعتبر الأيديولوجيا قوة فكرية تعمل على تطوير النماذج الاجتماعية

القائمة وفقاً لسياسة متكاملة تتخذ أساليب ووسائل هادفة. وتساندها عادة تبريرات اجتماعية أو نظريات فلسفية أو أحكام عقائدية أو أفكار تقليدية.

وفي الغرب هناك وظائف للإعلام اختلف فيها الخبراء ومنهم من قال: إنها أربع: تقديم الأخبار، والرقابة، وشرح المعلومات وعرض قواعد العمل، ومنهم قال إنها ثلاث: وظيفة المراقب، وظيفة منع السياسات، وظيفة التعليم.

وهي جميعاً تمثل الوسائل المنتجة للوعي الاجتماعي الذي يحدد إدراك المواطنين للعالم والمجتمع الذي يعيشون فيه. والغاية لاتجاهاته، والترويج لمصالح معينة، ليس من بينها الصالح الجماهيري العام.

٢ـ هي: أنه إعلام تابع يعتمد في أدائه لوظائف على استبداد من الخارج، لهذا اتسم هذا الإعلام بالسمات التالية:

ـ إن سياسات الإتصال والإعلام لم تدمج على الملائم في سياسات التنمية القطرية.

ـ إن سياسات الإتصال العربية لا تستخدم أي خطط استراتيجية طويلة المدى.

ـ تفتقر سياسة الإتصال العربية إلى الأساس العلمي من المعلومات والوثائق والأبحاث النظرية والميدانية.

ـ الإعلام العربي هو إعلام رأسي يهبط من أعلى إلى أسفل، وذلك يرجع إلى المركزية والتوجيه الدعائي الذي يخدم رأس النظام.

القيم السلبية: يعاني هذا من قيم سلبية التي كرست الآتي:

ـ قيمة الأحادية: وتعني رفض حقيقة التعدد وعدم القبول بالآخر سواء على مستوى الرأي والفكر أو النظم أو الجماعات والاعتقاد بسيادة موجود واحد.

ـ الحدية: وتعني تصور أن ثمة نموذجين متناقضين لا يجتمعان معاً أبداً، أي التفكير (إما.. وإما) وأكثر وضوحاً: (من ليس معنا فهو ضدنا) وهذه الخاصية بالذات من شأنها أن تقوض الممارسة الديمقراطية لأنها تؤدي إلى غياب الحلول الوسطى، وتجاهل المنطقة الوسطى في التفكير، وانعدام إمكانية الاستفادة من البدائل وغياب التسامح الفكري والتحول المفاجيء إلى النقيض.

ـ ثقافة الذاكرة: تستند إلى قيم التقليد والاتباع والتكرار والرقابة. والاعتماد على الحلول الجاهزة في مواجهة القدرة على توظيف المهارات واتخاذ مواقف المبادرة ■

الجار ثم الدار

روى الإمام الصادق عليه السلام بسنده إلى الإمام الحسن بن علي عليهما السلام أنه قال: (رأيت أمي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعة فلم تزل راكعة وساجدة حتى انفجر عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسمّيهم وتكثر الدعاء لهم ولا تدعوا لنفسها بشيء فقلت لها: يا أماه لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت يا بني الجار ثم الدار).

الدكتور عبد المجيد العلي

ينابيع اسمي عبد المجيد العلي من محافظة دير الزور، تخرجت من كلية الطب البشري في جامعة دمشق.

نشأت في بيئة متعصبة اجتماعياً ودينياً لا نعرف عن الدين سوى الموروث الفكري الذي ورثناه عن آبائنا وأجدادنا.

كنت متعصباً ضد الشيعة ومنهج التشيع، لتأثري في بعض الكتب السلفية مثل (العواصم من القواصم) والخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب، وكتابات اللعين الباكستاني إحسان إلهي ظهير وكتب أخرى منها كتاب (كسر الصنم) الذي كان يأتي بأدلة ومجموعة من الأسماء على أنهم شيعة، وأصبحوا سلفية، وعندما اطلعت على مشروع (المتحولون... حقائق ووثائق) وقرأته بكل صراحة أعادني (١٨٠) درجة إلى جادة الصواب فالإنسان عدو ما جهل (فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله).

في البداية واجهت ردة فعل الناس مواجهة جداً شديدة لنفورهم، مني وأكثر المرضى عندما علموا بتشيعي خسرتهم من العيادة لأن مصيبة المصائب والطامة الكبرى أن أكثرهم لا يميز بين شيعي وشيوعي، وأكثرهم يقول لي (إن الشيعة يقولون في آخر الصلاة تاه الأمين جبرائيل) (ثلاث مرات) وتقولون بالتقية وعندكم زواج المتعة، وتسجدون على الفخارة، ومن هذه الشبهات، فبدأت أشرح للناس وأبين لهم مكانة علي من رسول الله صلى الله عليه وآله وأحقيته بالخلافة، ولازلت أعيش في صراع حاد من هذا القبيل.

إن التشيع الذي بدأ يسري في دير الزور والمنطقة الشرقية سريان النار في الهشيم يحتاج إلى توجيه أكثر وطرح عقلاني أكثر قوة من بعض الأخوة الذين تشيعوا في قرى حطلة وتوابعها وبالخصوص تشيع بعض العوام في دور الزور واتبعوا منهج السب والشتم وهذا ما يسيء للمنهج الرباني منهج أهل البيت عليهم السلام وكما يقول الإمام الصادق عليه السلام: (كونوا زيناً لنا ولا تكونوا شيناً علينا) وقال في موضع آخر: (لو علم الناس محاسن كلامنا لاتبعونا) فعلينا أن نعرف وبحكمة كيف نوصل الناس في المنطقة محاسن أقوال أهل البيت عليهم السلام ومحاسن الكلام في هذا المنهج.

هذا وقد تشيع الكثير منذ عشر سنوات ما يقارب عشرة آلاف شخصاً في دير الزور وتوابعها - ومن أبرز المتشيعين السيد حسين الرجا مؤلف كتاب دفاع من وحي الشريعة ضمن دائرة السنة والشيعة، وهو من قرية حطلة وبنى أكثر من سبع مساجد وأكثر من عشر حسينيات ومغتسل وهناك مشروع مشفى، هذا في قرية حطلة فقط، وباستثناء قرية زغير والصعوى، وجديد عقيدات وأبو خشب والصور، وغرانيج، ومحكان وقرى أخرى.

ومن الشخصيات أيضاً السيد ياسين المعيوف البدراني مؤلف كتاب (يا ليت قومي يعلمون) وهناك أكثر من ثلاثين شاباً يعتمرون العمائم السوداء وسكان المنطقة أغلبهم سادة أشراف ينتمون إلى قبيلة البقارة نسبة للإمام محمد الباقر عليه السلام فالتشيع الحمد لله متأصل في دير الزور وفي جذور المنطقة.

لا أريد أن أطيل عليكم ولكن بودي التحدث عن أهم المحاور العقائدية التي أخذت بي نحو هذا التحول العقائدي العظيم

في المذهب والمعتقد وهي:

المحور الأول: إعلان آية الإكمال.

في حجة الوداع، وفي غدير خم، جمع رسول الله المسلمين وأعلن أمامهم أنه سيمرض بعد عودته إلى المدينة، وسيموت من مرضه، وأنه أحب أن يلقي إليهم القول معذرة إليهم فسأل الرسول الناس: من وليكم؟ فقالوا بصوت واحد: الله ورسوله.

ثم قال لهم: إني وليكم، فقال المسلمون: صدقت، ثم سألهم: ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين بأنفسهم؟ قال المسلمون: نعم، ثم سألهم: ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟ فقالوا: نعم، عندئذٍ قال: (من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه).

وبعد أن أتم الرسول إعلانه الخطير، هذا نزلت آية الإكمال (اليوم أكملت لكم دينكم) (سورة المائدة: ٣).

والمحور الثاني: النصوص الشرعية الدالة على خلافة علي وإمامته.

ومن نصوص الخلافة: يوم أعلن رسول الله نبأ النبوة والرسالة أمام رهطه الأقربين قال عن علي في الاجتماع نفسه: (إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فأسمعوا له وأطيعوا). وهذا الحديث صحيح وقد صححه أبو جعفر الإسكافي وابن جرير الطبري كما ذكر السيوطي، ورجاله جميعهم ثقات. وفي الجلسة نفسها ضرب النبي بيده على يد علي كناية عن المتابعة.

ومن نصوص الولاية:

١ـ آية الولاية (المائدة: ٥٤ ـ ٥٥) نزلت في علي عليه السلام وقد أشار في ذلك الطبري في تفسيره، والزمخشري في كشافه، وابن الجوزي في زاد المسير في علم التفسير، والقرطبي.

قال الرسول يوماً لأصحابه: (علي مني وأنا منه وهي ولي كل مؤمن بعدي).

وقال الرسول لرجل وقع في علي أمامه، وأمام الصحابة: (لا تقع في علي فإنه مني وأنا منه، وهو وليكم بعدي).

والحدث الأكبر والمصيبة العظيمة التي أذهلتني هي مقولة: (حسبنا كتاب الله) هذه المقولة جعلتني أنسلخ من المذهب السني إلى المذهب الشيعي بقوة وإصرار وعزيمة وإرادة لا تقهر هذا الشعار الذي أريد منه الخداع والزيف والتضليل وتعد هذه المقولة من أخطر المقولات التي اخترعها خلفاء البطون وأولياؤهم لإخراج النبي بذاته وفعله وقوله من دائرة التأثير في الحدث السياسي ولإبطال جميع النصوص الشرعية التي أعلنها والمتعلقة بالقيادة أو الإمامة من بعده. وتبين هذا الحقد عندما قال الرسول لأوليائه: (قربوا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً) حتى قال عمر لأوليائه: إن الرسول يهجر ولا حاجة لنا بكتابه (حسبنا كتاب الله).

وعلى الفور ردد أركان البطون من خلف عمر: القول ما قاله عمر إن رسول الله يهجر حسبنا كتاب الله!! وهذا جاء كله في صحيح البخاري (باب مرض النبي صلى الله عليه وآله) وعندما قبض أركان البطون على السلطة منعوا رسمياً رواية أحاديث الرسول وكتابتها وأحرقوا المكتوب منها علناً وكان هدفهم واضحاً ومنصباً على طمس جميع النصوص التي تشير إلى خلافة إمامنا وسيدنا وباب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

وأخيراً أتمنى أن يستفيد من هذه القصة الشباب المسلم لكي يبحثوا في الصحاح والتاريخ لمعرفة الحقيقة وشكراً لكم وفقكم الله وسددكم لما فيه خير الأمة ■

من المتحولون.. بتصرف

الحلقة الثانية

دور العقل.. في بناء العقيدة

• السيد علاء الموسوي
أستاذ في الحوزة العلمية

حكم العقل

ينابيع

بعد أن آمن الإنسان بأن الله تعالى هو عين الكمال وأنه غني عن العالمين.. فإن عقله يرشده إلى ضرورة أن يكون سبحانه وتعالى عادلاً لا ظالماً ولا جائراً على العباد.. بل هو الرحمن الرحيم.. وافتراض الجبر في الأفعال يتضمن اتهام الذات الإلهية بالظلم والتعدي على العباد.. لأنه إذا كان هو الذي أجبرهم على أفعالهم فلماذا يعاقبهم عليها وهو الفاعل الحقيقي؟! فالله تعالى عادل لا يظلم على أساس الدليل التالي:

إن من يرتكب الظلم لابد أن يكون له سبب ومبرر لذلك وهو أحد أمور:

١- أن يكون محتاجاً إلى ذلك ومضطراً إليه.. لأن الله تعالى غني عن كل شيء وكل شيء محتاج إليه .. فهو الغني المطلق.

٢- أن يكون مجبراً على ذلك الظلم. وهذا مستحيل أيضاً فمن الذي يمكن أن يجبر ربنا على أفعاله؟!

٣- أن يكون لاهياً في ذلك.. يظلم للهو والعبث.. حاشا ربنا عن ذلك وتعالى علواً كبيراً.. هذه هي الدوافع التي يمكن أن تكون وراء الظلم، وهي جميعاً مستحيلة على الله تعالى.. وما دام القول بالجبر يجر إلى نسبة الظلم إليه تعالى.. فلا مناص من نفيه عنه تعالى نهائياً، والاعتراف أن الإنسان مخير في أفعاله تخييراً لا يخرج الله عن سلطانه بل يبقى لله تعالى أن يمضي اختيار العبد، أو يوقفه حسب المصالح والحكم، على ما سنوضحه في حلقات قادمة إن شاء الله تعالى.

عقيدة الجبر

ذهب بعض المتكلمين إلى نسبة أفعال المخلوقين إلى الله تعالى.. فقالوا: إنه تعالى خالق كل شيء بلا استثناء حتى أفعالنا، فهو الفاعل الحقيقي وليس البشر إلا محلاً لتلك الأفعال.

واستدلوا على ذلك بآيات من الكتاب الكريم كقوله تعالى: (إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء) الأعراف ١٥٥، (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) القصص ٥٦، (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً) الكهف ١٧.

وأمثال ذلك من الآيات الكريمة التي تدل بظاهرها على أن الفاعل المباشر للهداية والإضلال هو الله تعالى. مما دل على أن أفعال الإنسان الناتجة من الهداية والضلالة هي فعل لله تعالى لا غير. ومما يؤدي إليه هذا القول أن يكون العذاب الذي تواعدنا عليه الله تعالى ظلماً لأنه هو الذي يخلق أفعالنا ومنها المعاصي ثم يعقبنا عليها.. تعالى عما يقولون علواً كبيراً. والعقل يرفض ذلك التفسير للآيات الكريمة ويحكم باستحالة نسبة الظلم إلى الله تعالى.. ومن ثم باستحالة نسبة الأفعال القبيحة الصادرة من الإنسان إليه.

عقيدة التفويض

وكردة فعل القول السابق وما يلزم منه من نسبة الظلم إلى الله تعالى.. ذهب جمع آخر من المتكلمين إلى نقيض تلك المقولة.. فقالوا أن الله تعالى حينما خلق الخلق فوض إليهم أفعالهم تماماً ولم يتدخل فيها.. فأفعال الإنسان متوقفة على اختياره وإرادته فقط وليس لله تعالى فيها أي مشيئة. ويلزم من هذا القول لازم باطل جداً وهو: أن نخرج الله تعالى من سلطانه ونجعل أفعال الإنسان خارجة عن سلطان الله تعالى وهذا ما لا يلتزم به مسلم.

من نتائج القول بالجبر أن يكون العذاب الذي تواعدنا عليه الله تعالى ظلماً لأنه هو الذي يخلق أفعالنا ومنها المعاصي ثم يعاقبنا عليها

الأمر بين الأمرين

دار الصراع بين أصحاب الجبر والتفويض لعدم بلوغ عقولهم إلى حل إشكالية بعض الظواهر القرآنية وساق كل فريق

منهم العديد من الآيات الكريمة ليثبت بها مذهبه ورأيه.. حتى حسم ذلك الخلاف على يد الإمام الصادق عليه السلام إذ أعلن بكلمة مختصرة بطلان القولين وصحة القول الثالث هو: الأمر بين الأمرين.. فقال عليه السلام: (لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين). وحاصل ذلك هو أن نقول:

إن معنى الاختيار هو أن لا يكون الإنسان مسلوب الإرادة بغض النظر عن تحقق ما أراده في عالم الواقع أو عدم تحققه.. فإذا أراد قتل أحد ووقع القتل فقد وقع باختياره وفعله وإرادته.. وما وقع فقد وقع بإذن الله تعالى لا خارجاً عن إذنه.. وإذن الله هنا يعني أنه يخلي بين العبد وما أراد فعله دون أن يتدخل لمنعه.. وقد لا يصدر الإذن من الله تعالى بذلك بأن يحول بين العبد وما أراد بإيجاد موانع أمامه وعقبات تحول دون تحقق القتل..

بعبارة أخرى: أن الله تعالى إنما يتدخل في المراد لا في الإرادة.. فيكون له القرار النهائي في عالم الواقع والسلطان الكامل على ذلك العالم. وقد ورد الحديث القدسي موضحاً هذه الفكرة: (عبدي تريد وأريد ولا يكون إلا ما أريد) أي لا يكون إلا ما يريده الله تعالى في عالم الواقع.

من هنا يتضح المراد من (الأمر بين الأمرين). وخلاصته: أن يكون العبد مختاراً في جميع أفعاله ولا تخرج تلك الأفعال عن سلطان الله تعالى وقدرته.

وقد كان لعقيدة الجبر آثار سيئة على سلوك المسلمين.. فاعتقدوا أن ما يجري عليهم من ظلم وحيف هو من فعل الله تعالى فلا ينبغي الاعتراض عليه ولا السعي إلى تغييره.. ومن ثم بقي الظالمون يعيثون فساداً في المجتمع الإسلامي دون رادع ولا معترض.. بل كان بعض الفقهاء يفتي لهم بشرعية حكمهم، ويلزم الناس بلزوم طاعتهم وعدم التمرد على أوامرهم. وقد استفاد معاوية من هذه العقيدة لتبييت حكمه إن لم يكن هو بشخصه من المؤسسين لهذه العقيدة الباطلة.

وذلك لا يعني أن كل ما أراده الإنسان سيتحقق بالضرورة بل يبقى الواقع بيد الله تبارك وتعالى، وتبقى سلطة الله تعالى على جميع الأشياء والوقائع. ومن هنا يمكننا أن نفهم موقع العقوبات من العدل الإلهي.. وذلك أن العقوبة تترتب على الفعل الذي يختاره الإنسان بكامل وعيه وإرادته.. فتكون مترتبة على ذلك الاختيار.

نتائج القول بالأمر بين الأمرين

من نتائج هذا القول:

١- شعور الإنسان بمسؤوليته الكاملة عن أفعاله.

٢- سعي الإنسان إلى تغيير واقعه الفاسد وعدم الاستسلام إلى عوامل الفساد.

٣- شعور الإنسان بقيمته العالية في هذه الحياة بعد إيمانه بأنه غير مسيّر فيها، بل جعل قيماً على إعمارها ومسلطاً على ثرواتها ومحوراً لجميع

إن العدل الإلهي من المسائل التي يدركها العقل الإنساني بغض النظر عن النصوص الشرعية، كقوله تعالى: (وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)

المخلوقات فيها.

العدل الإلهي ضرورة عقلية

من هنا يتضح لنا أن العدل الإلهي من المسائل التي يدركها العقل الإنساني بغض النظر عن النصوص الشرعية.. كقوله تعالى: (وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) آل عمران ١١٧.. وقوله تعالى: (وما الله يريد ظلماً للعباد) غافر ٣١.. إلا أن ذلك ما هو إلا تأكيد لما يدركه وتنبيه عليه.

ولذلك لابد من تأويل الآيات التي قد يتوهم البعض أنها تدل على الجبر.. كقوله تعالى: (من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) الأنعام ٣٩. وقوله تعالى: (أتريدون أن تهدوا من أضل الله) النساء ٨٨. وأمثالها كثير.

والمراد بالتأويل هنا أن نفهم الآية بشكل متكامل مع بقية الآيات التي لها صلة بهذا الموضوع.. لا بشكل منفصل على حدة.. لأن الفهم المنفصل للآية يغفل المعنى المتكامل المبثوث في مجموع الآيات الكريمة وسيؤدي بالنتيجة إلى سوء الفهم. بينما يبتني الفهم المتكامل للآيات الكريمة بالجمع بينها ومقارنتها إلى الصورة الشمولية للمعنى القرآني وهو المعنى المتوافق مع حكم العقل بلا شك ولا ريب.

ولابد من التنبيه هنا على أن مرادنا بالتأويل ليس هو الاستحسان الذي لا يستند إلى قاعدة عقلية قطعية ولا شاهد من النصوص الشرعية.. فإن ذلك يدخل في تفسير القرآن بالرأي الذي ذمته الروايات الشريفة كقوله صلى الله عليه وآله: من فسر القرآن برأيه فليتبوّء مقعده من النار ■

حسن العاقبة

يحكى أن الشاعر الحلي جمال الدين علي بن عبد العزيز الخلعي (الخليعي) كان قد ولد من أبوَين ناصبيين وأن أمه نذرت إن رزقها الله ولداً تبعثه لقطع الطريق السابلة من زوار الحسين عليه السلام، فلما ولد جمال الدين وبلغ أشدّه ابتعثته إلى جهة نذرها، فلما بلغ نواحي (المسيب) بالقرب من كربلاء، طفق ينتظر قدوم الزائرين فاستولى عليه النوم، واجتازت عليه القوافل فأصابه القتام الثائر فرأى فيما يراه النائم أن القيامة قد قامت وقد أمر به إلى النار ولكنها لم تمسه لما عليه من ذلك الغبار الطاهر، فانتبه مرتدعاً عن نيته السيئة، واعتنق ولاء العترة وهبط الحائر الشريف ردحاً فكان أول شعره بعد توبته:

إذا شِئتَ النَجاةَ فَزُرْ حُسَيناً
لِكَي تَلْقى الإلهَ قَريرَ عَيْنِ
فَإنَّ النّارَ لَيْسَ تَمسُّ جِسْماً
عَلَيهِ غُبارُ زُوّار الحُسَينِ

الغدير ١٣/٦ بتصرف

حقيقة القضاء والقدر في نهج البلاغة

• هاشم حسين ناصر المحنك
رئيس تحرير مجلة النجف الأشرف

عن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين. قال: قلت: وما أمر بين أمرين؟ قال: مثل ذلك مثل رجل رأيته على معصية فنهيته فلم ينته، فتركته ففعل تلك المعصية، فليس حيث لم يقبل منك فتركته أنت الذي أمرته بالمعصية.

ينابيع أولاً: نظرة عامة تعريفية لمفهومي القضاء والقدر: باستطلاع خاطف وكمدخل للموضوع الدقيق والحسّاس يمكن إجماله بالآتي:

١- ورد في معجم لسان العرب (لابن منظور): ما يخص القضاء والقدر، والجبرية والقدرية: (والجَبْرُ: تثبيت وقوع القضاء والقدر)، (والجَبْرِيَّةُ الذين يقولون أجْبَرَ اللّه العبادَ على الذنوب أي أكرههم، ومعاذ اللّه أن يُكره أحداً على معصيته؛ ولكنه علَمَ ما العباد). والجَبْرُ: بما قَدَّرَ اللّه من الأشياء.

٢- وورد في التعريفات (للجرجاني): القضاء لغة: الحكم، وفي الاصطلاح: عبارة عن الحكم الكلي الإلهي في أعيان الموجودات على ما هي عليه من الأحوال الجارية في الأزل إلى الأبد، وفي اصطلاح الفقهاء: القضاء تسليم مثل الواجب بالسبب.

أما في القَدَر: تعلق الإرادة الذاتية بالأشياء في أوقاتها الخاصة، فتعليق كل حال من أحوال الأعيان بزمان معين وسبب معين عبارة عن القدر. والقدر: خروج الممكنات من العدم إلى الوجود واحد بعد واحد، مطابقاً للقضاء. والقضاء في الأزل، والقدر فيما لا يزال. والفرق بين القضاء والقدر، هو أن القضاء: وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة، والقدر: وجودها متفرقة في الأعيان بعد حصول شرائطها، والقدرية: هم الذين يزعمون أن كل عبد خالق لفعله، ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير اللّه تعالى. والجبرية: هو من الجبر، وهو إسناد فعل العبد إلى اللّه.

والجبرية اثنان: متوسطة تثبيت للعبد كسبا في الفعل كالأشعرية، وخالصة لا تثبت كالجهمية.

٣- أما ما ورد في منظور فلسفي وبالأخذ بما ورد في (التعريفات للجرجاني)، ظهر في (المعجم الفلسفي، لمجمع اللغة العربية. بمصر) حيث أن القضاء (predestination) هو (مذهب يرى أن الأعمال الإنسانية والأحداث الكونية تخضع لتدبير إلهي أزلي وتسير وفق نظام ثابت. قال الجرجاني: (القضاء الحكم الكلي الإلهي في أعيان الموجودات على ما هي عليه من الأحوال الجارية في الأزل إلى الأبد). والقدر (Destiny، Fate) كون الأشياء محددة مدبرة في الأزل بحيث تصبح ولا مناص من وقوعها، وهو بهذا يختلط بالقضاء، ويراد بهما (إحاطة علم اللّه بما يقع من الإنسان بإرادته وبان عمل كذا وقع في وقت كذا.) (محمد عبدة رسالة التوحيد). ويفرق بعضهم بين القدر والقضاء فيعد (خروج الممكنات من العدم إلى الوجود واحد بعد واحد مطابقاً للقضاء والثاني وجود جميع الممكنات في اللوح المحفوظ مجتمعة)، فالقضاء في الأزل والقدر لا يزال.

والجبرية (Fatalism): مذهب في يرون أن كل شيء يتم علي نحو لا مرد له، فلا تستطيع قدرة الإنسان ولا إرادته أن تغير شيئاً في مجرى الحوادث، وهذه هي الجبرية الغالية.

والقدرية (Free will): تقابل الجبرية، وهو مذهب من يرى أن للمرء حرية فيما يريد أو بفعل وقدرة واستطاعة عليه.

٤- أما (موسوعة علم النفس والتحليل

النفسي، د. عبد المنعم الحفني) فيقول عن الجبرية (Fatalism) الإيمان بالقضاء والقدر، والاعتقاد أن الإرادة لا تؤثر على السلوك.

وبعد هذه النظرة والطروحات التعريفية المختصرة والمتنوعة، يمكن أن نضع الفكر العلوي (فكر أهل البيت عليهم السلام) هو الذي يوضح عمق هذين المفهومين والكشف عن حقيقتهما.

ثانياً: القضاء والقدر وحقيقتيهما ودقتهما:

بعد أن استطردنا من خلال ما تقدم من نظرة تعريفية عامة، نضع نصب أعيننا، النصوص المباركة مما ورد في نهج البلاغة حول القضاء والقدر، وما إذا كان الإنسان مخير أم مسير، لكون استقراء ما يتداوله الناس لهذين المفهومين غالباً ما يكون إما منقوص، أو فيه جانب من الخطأ، في الفهم والطروحات.. وهذا قد يؤدي إلى الانحراف في مسيرة الإنسان العلمية، مؤثراً بذلك على أبعاد عديدة منها اجتماعية وسياسية وحتى اقتصادية..

لذا ستكون الدراسة المقتضية، وبما يسع، قد تسهم في الفهم الدقيق والصحيح، مما قد تخلق من الجو المناسب لتقويم الأفعال والأعمال والسلوك..

فمسيرة حياة الإنسان وأنشطته المختلفة، تمر بمختلف الصعوبات والمشاكل والمعاناة، وما ينتج عنها من أفراح وأتراح، ويمتحن بها ويمحص إيمانه، وعلى قدر ذلك يستحق الأمر الدنيوي بتواصل الحياة، والأخروي بما حدده الخالق عز وجل من نعيم الآخرة، فهل هذا يكون من القضاء أم من القدر؟ .. فعلى مَدِّ التاريخ نرى تلابس الأمور في ذلك، فيشطح بأفكاره وأفعاله، ويخلط بينهما، لأن لهما الأبعاد الفلسفية والأخلاقية والتربوية والمنطقية، وانعكاساتها على نفسية الإنسان وحركته وتفاعله مع الحدث وأبعاده، كالبعد الاجتماعي والاقتصادي، ولخطورته طبق أمير المؤمنين عليه السلام أسلوب (لكل مقام مقال)، ولذا لما (سئل عن القدر قال: طريق مظلم فلا تسلكوه، ثم سئل ثانياً فقال عليه السلام: بحرٌ عميق فلا تلجوه، ثم سئل ثالثاً، فقال: سرُّ الله فلا تتكلفوه). والنهي النابع هنا، كما ذكره (ابن أبي الحديد)[١٩]، لهؤلاء، عن الخوض في هذا النحو من البحث، ولم ينه غيرهم من ذوي العقول الكاملة، والرياضية القوية والملكة التامة، ومن له قدرة على حل الشبه، والتقصي عن المشكلات. وفي رواية (في منتخب الكنز عن ابن عساكر في تاريخه أنه قام إلى أمير المؤمنين رجل ممن كان شهد معه الجمل فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن القدر؟ قال: بحرٌ عميق فلا تلجه. فقال يا أمير المؤمنين أخبرنا عن القدر؟ فقال

سر الله فلا تتكلفه. قال يا أمير المؤمنين أخبرنا عن القدر؟ قال: أما إذا أبيت فإنه بين أمرين، لا جبر ولا تفويض).

لذا لما تحتم أن يرفع الشبهات والغشاوة عن أعين وعقول في مقام آخر، أخذ منهج التعليم الدقيق وصور الإيضاحات التي لا يشوبها شك ولا غشاوة، وذلك حينما (قام شيخ إلى علي عليه السلام فقال: أخبرنا عن مسيرنا إلى الشام، أكان بقضاء الله وقدره؟ فقال: والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ما وطئنا موطئاً، ولا هبطنا وادياً إلا بقضاء الله وقدره. فقال الشيخ؛ فعند الله أحتسب عنائي؛ ما أرى لي من الأجر شيئاً؛ فقال: مه أيها الشيخ، لقد عظم الله أجركم ولا إليها مضطرين. فقال الشيخ: وكيف القضاء والقدر ساقنا؟ فقال: ويحك؛ لعلك ظننت قضاء لازماً، وقدراً حاتماً؛ لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب، وسقط الوعد والوعيد، إن الله سبحانه أمر عباده تخييراً، ونهاهم تحذيراً، وكلف يسيراً، ولم يكلف عسيراً، وأعطى على القليل كثيراً، ولم يعص مغلوباً، ولم يطع مكرهاً، ولم يرسل الأنبياء لعباً، ولم ينزل الكتب للعباد عبثاً، ولا خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً، (ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار) سورة ص آية ٢٧. فقال الشيخ: فما القضاء والقدر اللذان ما سرنا إلا بهما؟ فقال: هو الأمر من الله والحكم، ثم تلا قوله سبحانه (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) الإسراء ٢٣، فنهض الشيخ مسروراً وهو يقول:

أنتَ الإمامُ الذي نَرجُو بطاعته
يومَ النشورِ من الرَّحمن رِضْوانا
أوْضحتَ من ديننا ما كان مُلتبِساً
جزاك رَبّك عنّا فيه إحسانا

ومما يتضح بمحدودية عقولنا من النص المتقدم المبارك ما يلي:

١- أن القضاء، الذي يعني علم الله السابق بحصول الأشياء على أحوالها في أوضاعها، إنه ليس لازماً، فلإنسان الرأي والاختيار بتوجيه ما يكون عليه المستوى العقلي والرشد وبالتعلم والتعليم أو المستوى المعرفي.. أما القدر فهو ما أوجده الخالق عز وجل عند وجود أسبابها، لذا لا يجبر على فعل الشيء، وإنما هو رشد باستيعاب، وفق ما يتوضح من الخير والشر والحلال والحرام،...، ودقه الاختيار، وعلى الله التدبير.

٢- جعل الخالق عز وجل للقضاء والقدر، الثواب والعقاب، الدنيوي والأخروي.

٣- جعل سبحانه وتعالى، الأمر الإلهي وفقاً للتخيير، والنهي الإلهي وفقاً للتحذير.

٤- يكلف الخالق عز وجل مخلوقه وفقاً لما منحه من الإمكانيات أو القابليات، ولم يكلف المخلوق إلا بموجبه (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) سورة البقرة/٢٨٦ لذا وقع التكليف على الإنسان العاقل، ويختلف حسابه عن المجنون، والإنسان العلم كذلك يختلف حسابه عن الجاهل.

٥- العصيان لم يكن منبثقاً من الغلبة، والطاعة لا تكون بالإكراه، والحد الفيصل للأعمال كشف الحقائق والتوجيه بالكتب السماوية والأخبار النقلية عن الرسل والأنبياء عليهم السلام، والتبليغ بما ورد بالكتب السماوية، وبالخصوص

القرآن الكريم، والرادع والمقوم، الوعد والوعيد.

٦- عدم جعل الخالق عز وجل القضاء لازماً، والقدر حاكماً (حتمياً)، لكون الثواب والعقاب يبطلان، والوعد والوعيد يسقطان، وبهذا عدم اللزوم وعدم الحتمية، جعلا أمر الله لعباده تخييراً، والنهي تحذيراً، وكلف يسيراً، ولم يكلف عسيراً، وأعطى على القليل كثيراً.. وهكذا.

وتوصلاً لفكر أهل البيت عليهم السلام في كون الإنسان مخيراً أم مسيراً، فقد سئل الإمام علي الرضا عليه السلام ما معنى قول جدك الإمام جعفر الصادق عليه السلام: لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين؟! فقال عليه السلام من زعم أن الله يفعل أفعالنا ثم يعذبنا عليها، فقد قال بالجبر. ومن زعم أن الله عز وجل فوض أمر الخلق والرزق إلى خلقه فقد قال بالتفويض. والقائل بالجبر كافر، والقائل بالتفويض مشرك.(تصنيف نهج البلاغة/ لبيب بيضون/ ص١٧٥- ١٧٦).

ومن مستمد هذا القول المتقدم المبارك، يمكن القول بأن الإنسان مسير ومخير، حيث إنه مسير بما أورده الله له في كتابه الحكيم وما وضحته الأحاديث النبوية الشريفة وأقوال الأئمة ومن تبعهم، وفق تحديد وتوضيح القويم والمنحرف والصالح وغير الصالح والنافع والضار.. وما إلى ذلك، وتوضيح سبل الهداية والإيمان والسعادة في الدارين.. أما التخيير، فهو حرٌ في اختياره لما توضح إليه، ويتحمل نتائج أفعاله، الدنيوية والأخروية وكما قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه (إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفور) الإنسان/ ٧٦. فالهداية بكل ما تحتويه من معنى وعمق وغنى، فهي الطريق الواضح لمسيرة الإنسان، والآلية أو الفعل يعتمد على الإنسان واختياره، وهنا كان السير في طريق الهداية ملزماً للوصول إلى أفضل النتائج وأنجحها، لكونه الاختيار الأرفع والأسلم، لكن لا قوة تجبر على السير في هذا السبيل، إلا قوة اختيار العقل للإنسان ذاته، فالله لا يجبر مخلوقه الإنسان على أي عمل، وما توجيهه إلا لحماية الإنسان ذاته، والله هو الغني الحميد، ووفق هذا كان الثواب والعقاب، كبر الوالدين والصلاة والتصديق.. وغيرها.

ثالثاً القضاء والقدر ومكانه الصبر منهما:

الصبر(Patience): هو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله لا إلى الله لأن الله تعالى أثنى على أيوب عليه السلام بقوله (إنا وجدناه صابراً) مع دعائه في دفع الضر عنه بقوله (وأيوب إذ نادى به إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين) التعريفات للجرجاني.

والصبر يمتد لإعانة الإنسان على

القضاء والقدر، المترتب من تقدير الرزق والمرض والموت.. لذا قال عليه السلام يعزي الأشعث بن قيس عن ابن له (يا أشعث، إن تحزن على ابنك فقد استحقت منك ذلك الرحم، وإن تصبر ففي الله من كل مصيبة خلف. يا أشعث، إن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك القدر وأنت مأزور. يا أشعث، ابنك سرك وهو بلاء وفتنة وحزنك وهو ثواب ورحمة). نهج البلاغة.

وهنا ما قدر الله للإنسان، وما يجب مقابلته من صبر، فمن صبر على ما قدر الله له فقد حصل الأجر الكريم من الخالق عز وجل، وإن لم يقرنه بالصبر فقد حمل الوزر أو الإثم، وكأنه بعد الصبر أو بالجزع يحاجج الله في أمره، وسنة الحياة التي وضعها الخالق عز وجل.

ومن خلال ما تقدم يتضح بأنه ما يتعلق بأمور الدنيا، وأداء الأعمال الدنيوية والأخروية، من قويم الأعمال أو منحرفها فهو موكل للإنسان، أما بعض الأمور في سنة الحياة التي وضعها الخالق عز وجل لبني الإنسان فلا اختيار فيها فالذي لا اختيار فيها كالموت والحياة والمرض..■

المراجع

(١) القرآن الكريم.
(٢) الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام/ نهج البلاغة/ ضبط النصوص د.صبحي الصالح/ دار الكتاب اللبناني.
(٣) تصنيف نهج البلاغة/ لبيب بيضون/ مكتب الإعلام الإسلامي.
(٤) الجرجاني/ التعريفات/ دار الشؤون الثقافية/ بغداد.
(٥) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة ج١٨/ج١٩/ دار الجليل/ بيروت.
(٦) د. عبد المنعم الحفني/ موسوعة علم النفس والتحاليل النفسي/ بيروت.
(٧) مجمع اللغة العربية بمصر/ المعجم الفلسفي/ عالم الكتب/ بيروت.
(٨) ابن منظور/ لسان العرب/ دار الفكر ـ دار صادر/ بيروت.
(٩) هاشم حسين ناصر المحنك/ علم الاجتماع في نهج البلاغة.

حُبّ الله

قال العارف القاشاني عند قوله تعالى: (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) كل فعل يقرب صاحبه من الله تعالى فهو برّ ولا يحصل التقرب إليه إلا بالتبري عمن سواه، فمن أحبّ شيئاً فقد حجب عن الله تعالى وأشرك شركاً خفياً لتعلق محبته بغير الله سبحانه، كما قال تعالى: (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله)، وإن آثر به نفسه على الله فقد بعد من الله بثلاثة أوجه، وإن آثر الله به على نفسه وتصدق به وأخرجه من يده فقد زال البعد وحصل القرب وإلا بقي محجوباً، وإن أنفق من غيره أضعافه فما نال براً لعلمه تعالى بما ينفق واحتجابه بغيره.

مرقد السيد أحمد بن هاشم

• بقلم: سلمان هادي الطعمة

ينابيع يكتظ العراق بعشرات المراقد المقدسة التي ينتمي أصحابها لآل البيت عليهم السلام، وهي منتشرة في أماكن مختلفة شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً. ويمكن القول إن من بين هذه المزارات المطهرة هو مرقد السيد أحمد بن محمد الفائزي الموسوي الحائري المعروف عند العوام بمرقد السيد أحمد بن هاشم الذي زاده الله شرفاً وتعظيماً، ووهبه من أنفاس شذية وأنوار قدسية، وشاء الله أن تكون له هذه المكانة الرفيعة لدى قلوب محبيه وقاصديه، وأن يكون قبره موضع احترام عند المسلمين كافة.

الرحلة إلى المرقد المقدس:

سارت بنا السيارة من مدينة كربلاء باتجاه الغرب لأكثر من نصف ساعة، حتى لاحت لنا مدينة عين التمر ومركزها (شفاثة) التي لها ذكر في التاريخ القديم، إذ كانت من قرى عين التمر، تبعد عن كربلاء غرباً ٥٨ كم، وورد ذكرها في (معجم البلدان) لياقوت الحموي ج٣ ص٧٥٩ قوله: (منها يجلب القسب والتمر إلى سائر البلاد وهو بها كثير وهي على طرف البرية وهي قديمة). وتسقي بساتينها العيون الكبريتية. وفي خلال مسيرتنا إلى عين التمر أنشد الشاعر الشعبي الشهير المرحوم عبد الأمير الترجمان هذه الأهزوجة:

وين نتغدّه الظهر بشفاثة لو عين التمر

وعلى بعد ٢٥ كم من عين التمر، اتجهنا شمال غرب المدينة، فوجدنا أنفسنا وسط منطقة صحراوية، ولاح لنا عن بعد، صرح عراقي عتيد تعلوه قبة خضراء سامقة، ينقلك هذا المشهد إلى العوالم القدسية، فتستنشق منه أريج القداسة. وكنا نشاهد بمعيتنا جموع الوافدين تترى على مرقده الطاهر من كربلاء والنجف والديوانية والحلة وبغداد وبعض المدن الجنوبية الأخرى، وتتضاعف جموع الزائرين أيام الجمع والأعياد والمناسبات الدينية لاسيما وقت موسم حصاد التمر الذي يصادف في تشرين الثاني من كل عام.

ولما وصلنا المرقد المذكور، وجدناه متوحداً وسط الصحراء، ولم نجد حوله أي أثر من آثار السكن، والقاصدون إلى زيارته، يفتقدون كل

تظهر في هذه الصورة العمارة القديمة لمرقد السيد أحمد بن هاشم

وسائل الراحة ولا يجدون إي مرفق من مرافق الإقامة، ولكنهم بإمكانهم أن يستريحوا في الأواوين المحيطة بالصحن الشريف، وباستطاعتهم المبيت فيه إذا أحضروا معهم وسائل النوم والمبيت في صحن السيد أحمد.

ولا بد لنا أن نذكر التقاليد المرسومة لزيارته، وهي تقاليد طريفة لها جانبان، جانب يتصل بأهالي المنطقة، والجانب الثاني يتصل بالزائرين الذين يقصدونه من المدن البعيدة. فأهالي المنطقة هم أهالي مدينة (شفاثة) يزورونه على شكل مجاميع سكانية، كل مجموعة تدعى (قصراً) وعددها خمسة عشر، فيمكث القصر الأول ثلاثة أيام في منطقة الكهف بالقرب من المرقد، وهناك ينحرون الذبائح ويطعمون الوافدين، فإذا انتهت الأيام الثلاثة، يأتي أصحاب القصر الثاني ويعملون ما فعل سابقوهم، وهكذا. أما الجانب الذي يتصل بالوافدين لزيارة مرقده، فقد جرت العادة لدى عامة الناس من تهيئة الظروف المتعلقة بزيارة من

المسكن والمأكل، ومما تجدر الإشارة إليه إننا رأينا مجاميع من الناس في الصحن الشريف أقاموا موكباً للعزاء (اللطميات) وكان الرادود لهم المرحوم (حمزة الزغير)، كما شاهدنا حالة أخرى خارج الصحن هي وجود مجموعة تقوم بإنشاد الأهازيج الشعبية التي تعرف بـ(الجوبي: وهي رقصة شعبية معروفة لدى أهل الريف تعبر عن التقاليد العربية).

من هو صاحب المرقد؟

هو السيد أحمد المعروف عند العوام بأحمد بن هاشم بن السيد أبي الفائز محمد بن علي بن الحسن بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي الفائز بن أبي جعفر بن علي بن أحمد بن محمد الحائري بن السيد إبراهيم المجاب بن محمد العابد بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

والسيد أحمد هذا هو جد السادة آل فايز القبيلة العلوية المشهورة في كربلاء التي ذكرها إبن الطقطقي المتوفى سنة ٧٠٩هـ في كتابه (الأصيلي) والمؤرخ البرزالي في كتابه المخطوط (الوفيات) في حوادث سنة ٧١٤هـ والرحالة إبن بطوطة الذي زار كربلاء سنة ٧٢٦هـ والسيد أحمد بن عنبة في كتابه (عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب) وغيرهم ممن دونوا نسبه الشريف في كتب الأنساب القديمة والحديثة وفي مشجرات العلويين المحفوظة في كربلاء وخارجها.

وذكر العالم الشيخ محمد حرز الدين في كتابه (مراقد المعارف) ج١ ص٨٠ ما نصه:

(إن مرقد المترجم ابن هاشم الفائزي في موضع يعرف رأس العين قرب الوادي الأسود عليه قبة صغيرة وفي حرمه رسم قبر تزوره الأعراب وتنذر له النذور، أقول: وإبن الفائز من سادات الحائر الحسيني - كربلاء - المبرزين الملحوظين عند السلطة الحاكمة في العراق على عهد السلطان أولجياتو محمد خدابنده المتوفي سنة ٧١٩هـ، وإليه تنتمي الأسرتان الجليلتان الشهيرتان في الحائر الحسيني في كربلاء المقدسة هما آل نصر وآل طعمة وفروعهم. وقد ذكرنا سلسلة نسبهم أيضاً كاملة إلى الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في الجزء الثالث من كتابنا معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء عند ترجمة السيد نصر الله.

مكانته:

للسيد أحمد بن هاشم شهرة عظيمة ومكانة متميزة لد عامة الناس، لاسيما قبائل البدو المنتشرة في الصحراء، كما يقصده بقية الناس الموالين لأهل البيت عليهم السلام. وبالإضافة لمركزه الروحي فإن له مركزاً سياسياً، فقد كان يدير هذه النقطة، وقد عيّنه الفاتح المشهور تيمورلنك ناظراً لرأس عين التمر وذلك لأهمية هذه القصبة تجارياً فقد كانت عين التمر - آنذاك - سوقاً كبيرة للتجارة تؤمها القبائل المنتشرة في الجزيرة العربية.

وتروي كتب الرجال والأنساب إن السيد أحمد كان وقوراً متواضعاً ديّناً كريماً حليماً ذا مروءة وسؤدد، موصوفاً بالأفضال والجود وله كرامات. ومن الحقائق المقررة علماً إنه كبير القلب والنفس والوجدان، تجسمت فيه فضائل

العرب إلى حد كبير.

وقد رويت عن السيد أحمد بن هاشم كرامات كثيرة عند محبيه ومريديه، فقد كان يشفي بعض الأمراض والعاهات، فيقصده المصابون والمعلولون للاستشفاء...

وصف المرقد الشريف:

يقع هذا المرقد وسط الصحراء كما ذكرنا، وقد تعرض للإهمال فترة طويلة، حيث تهدمت أركانه، حتى وصل الخراب إلى القبة التي تعلو المرقد، فبادر جمع من الخيرين من مدينة كربلاء إلى تهديمه بالكامل وإعادة بنائه بمساحة تعادل أضعاف مساحته القديمة، بالإضافة إلى تقديم خدمات خارجية للزوار.

يتصدر الصحن باب كبيرة ذات طلاقتين عرضها ٤م، وعلى جبهتها كتيبة بالكاشي كتب عليها:

(بسم الله الرحمن الرحيم وقل رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين صدق الله العلي العظيم) هذا مرقد السيد أحمد بن هاشم شيد سنة ١٢٥٩هـ الموافق ١٨٤٢م. وإن الداخل إلى المرقد يمر بطريق مغلف بالكاشي الكربلائي استخدمت فيه الزخرفة الإسلامية، وهذا الممر يؤدي إلى ساحة واسعة تحيط بها طارمة من جوانبها الأربعة وتقوم على أعمدة كونكريتية.

يظهر لنا بوضوح إن المرقد نظيف لكنه بحاجة إلى إصلاح شامل وخدمات مثل ترميم بعض الشقوق والتصدعات في جدران المرقد. لم تذكر المصادر شيئاً عن وجود مئذنة. وعندما ندخل الصحن تطالعنا جبهة الصحن وقد حرر عليها بالكاشي (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي حبلان ممدودان من السماء إلى الأرض لا يفترقان حتى يردا على الحوض) سنة ١٤١٨هـ. وقد قام بتشييد الصحن المرحوم الحاج محمد رشيد الجلبي الصافي - رئيس بلدية كربلاء الأسبق -.

يتقدم الحرم طارمة ذات عمودين من المرمر، تكسو جوانبها بلاطات من الكاشي كتبت عليها أسماء الله الحسنى. والطارمة المحيطة بالصحن مسقفة بنيت من الأعلى بالطابوق والجص الأبيض، ومن الأسفل مغلف بالكاشي الكربلائي، يتوسطها باب خشبي مصنوع من الخشب الساج، وكتبت على جبهة اليمين (بسم الله الرحمن الرحيم تم بعون الله تعالى عمارة مرقد السيد أحمد بن محمد بن على بن محمد بن علي بن أحمد بن مجمد الحائري بن إبراهيم المجاب، وسمي بأحمد بن هاشم من باب الإضافة إلى الجد الأكبر هاشم، وأول قبة بنيت على القبر سنة ١٨٤٣م، وجدد بناؤه سنة ١٤١٣هـ - ١٤١٤هـ).

أما حرم المرقد فهو جامع فخم واسع عليه قبة بديعة الشكل، متقنة الهندسة، مبنية بالحجر القاشاني. يتقدم البناء رواق يفضي إلى الحرم حيث يؤدي فيه الناس الصلاة والزيارة.

يبلغ طول الحرم ٢٠م وعرضه ١٦م، مبلط بالمرمر، ويعلوه سقف ارتفاعه ٥م، أما ارتفاع القبة عن الأرض يبلغ ٢٥م، ونوعية السقف طابوق مزين بالكاشي

حررت عليه آية الكرسي.

أما الضريح فهو عبارة عن شباك يتوسط الحرم مصنوع من البرنج الأصفر، وداخله صندوق مغطى برداء أخضر اللون. وتحيط بالحرم من الداخل كتيبة بالكاشي كتب عليها (بسم الله الرحمن الرحيم يس والقرآن الحكيم إلى قوله: بل أنتم قوم مسرفون صدق الله العلي العظيم) وتوجد كتيبة أخرى كتب عليها (بسم الله الرحمن الرحيم الله نور السموات والأرض إلى قوله: والله بكل شيء عليم صدق الله العلي العظيم).

وتطل من فوق القبة على الحرم ثمانية شبابيك وتحتها كتيبة كتب عليها (بسم الله الرحمن الرحيم الله لا إله إلا هو الحي القيوم إلى قوله: لا إكراه في الدين).

ويحيط بالمرقد سور من الكونكريت المسلح بالطابوق والإسفلت، وقد اتخذ الرواق المحيط بالحرم مصلى للرجال والنساء.

وطرأ على المرقد مؤخراً تجديد حدثني بشأنه الأستاذ عبد الرزاق عبد الكريم باعتباره أحد المشرفين على البناء فقال: وفق المواصفات الحديثة بني الحرم بالمرمر الخالص مع ضريح من خشب الساج المستورد أحيطت به شبابيك الفضة الخالصة. أما الصحن فقد بلط بالشتايكر، مع أواوين واسعة، وزينت جدرانه بالكاشي الكربلائي، ونظمت باب القبلة بما يشابه باب سيدنا الإمام الحسين عليه السلام مع بناء مضيف للزوار، وإعادة إعمار قبر شقيقه السيد محمد الذي يبعد عن أخيه السيد أحمد بعدة أمتار، وكذلك إعادة إعمار مدافن عدد من النساء العلويات كنّ دفنّ بجواره.

كما بلطت الشوارع المحيطة بمرقده، وأقيمت قبة من الكاشي الكربلائي الأزرق كتب عليها: (لا إله إلا الله محمد رسول الله علياً ولي الله).

وقد تم إيصال الطريق الحديث من عين التمر الحالية بمسافة ١٨كم، وإيصال الكهرباء والماء الصافي، وإقامة المرافق الصحية. وهناك على بعد مئتي متر من المرقد، توجد مضايف مشيدة من قبل عشائر مدينة عين التمر يسكنها خلال موسم زيارتهم للمنطقة. وكان نتيجة هذا الإعمار أن سكنت بعض العوائل حول هذا المرقد بعد أن كان بلقعاً خلاء كما ذكرنا.

ونجد الآن أربعة أبواب كبيرة من الخشب خرجت من أضلاع الصحن الأربعة. ويدار المرقد من قبل السدنة متوارثين هذه المهنة عن أجداهم. وقد حدثني البعض ممن يوثق بروايته: إن التجديد الأخير تم من سنة ١٩٩١م، وممن تبرع بتغليف القبة وواجهة الضريح والباب الرئيسة للمرقد هو الحاج غازي عباس المعموري من شركة بابل.

أما السدنة الحاليون فهم: جليل فياض وهاشم محمود عنيزي، وبالإضافة إلى السدنة فإن المرقد يديره عشرة أشخاص هم من أبناء السدنة، وهؤلاء السدنة ينتمي قسم منهم إلى المذهب الشيعي، والقسم الآخر إلى المذهب السني، وهم يعيشون مع بعضهم بألفة تدل على التسامح بين الطوائف العراقية ■

مقام الإمام الصادق(٤) في الحلة

• بقلم: أحمد علي مجيد

ينابيع موقع المقام:

يقع المقام في مدينة الحلة الفيحاء[١] في محلة الجامعين[٢]، وسط بستان من النخيل مطلاً على شط الحلة (الفرات) وقريباً من مرقد عبد الله الفارسي.

في ورود الإمام الصادق(٤) للحلة:

لم أعثر على نص تاريخي يذكر فيه ورود الإمام الصادق عليه السلام لبلدة الحلة، وهناك أمران يمكن من خلالهما تثبيت وروده عليه السلام إليها (أي للجامعين).

الأمر الأول: دخول الإمام الصادق عليه السلام إلى الحلة كان حين لقائه بالخليفة العباسي الثاني وهو أبو جعفر المنصور عند بلدة الهاشمية[٣] التي هي الآن من توابع الحلة وكانت تعرف حينها بمدينة أبي جعفر إذ سكنها الخليفة الثاني بعد موت أخيه أبو العباس السفاح وهو مؤسس بلدة الهاشمية قبل تمصير المنصور لبغداد سنة ١٤٨هـ ولولا خوف الإطالة لأوردت الرواية كاملة لكن أنقل هنا ما يخص بحثنا هذا برواية الشيخ الكليني رحمه الله عنه، فروى مسنداً عن صفوان الجمال قال: حملت أبا عبد الله عليه السلام الحملة الثانية إلى الكوفة، وأبو جعفر المنصور بها، فلما أشرف عليه السلام على الهاشمية مدينة أبي جعفر... الخ)[٤].

الأمر الثاني: دخول الإمام الصادق عليه السلام إلى الحلة كان حين لقائه بالخليفة أبو جعفر المنصور العباسي في بغداد، إذ لابد للذاهب إلى بغداد من الكوفة أن يرد

يظهر المقام الجديد الذي تمّ بناؤه بعد تهديم المقام القديم ويبعد عنه بعدة أمتار

الحلة، فورود أمير المؤمنين عليه السلام الحلة حين سفره إلى بغداد لمحاربة الخوارج بالنهروان مشهور[٥] وذكر السيد ابن طاووس في كتابه (مهج الدعوات) عدة استدعاءات للإمام الصادق عليه السلام من قبل المنصور العباسي بلغت التسع مرات كان من بينها الاستدعاء الخامس إلى بغداد قبل قتل محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن. والاستدعاء السادس إلى بغداد بعد قتل محمد وإبراهيم. والاستدعاء السابع كان أيضاً في بغداد فظهر من تلك الاستدعاءات إن الإمام الصادق عليه السلام دخل بغداد ثلاث مرات وذلك بطلب من خليفة زمانه الذي سمه فيما بعد. ولولا خوف الإطالة لأوردت الروايات الثلاث بطولها[٦].

تاريخ ورود الإمام الصادق[٤] للحلة:

لمعرفة تاريخ وروده هذا لابد من معرفة عدة تواريخ وهي:

١- تاريخ تسلم السفاح الخلافة: هي سنة ١٣٢هـ وهو الذب أسس الهاشمية.

٢- تاريخ تسلم المنصور الخلافة: هي سنة ١٣٦هـ في الثاني عشر من ذي الحجة وهو يوم موت أخيه السفاح.

٣- بناء مدينة بغداد من قبل المنصور سنة ١٤٥هـ.

٤- مقتل محمد وإبراهيم أولاد عبد الله بن الحسن كان يوم ١٤٥هـ.

٥- تاريخ ولادة الإمام عليه السلام: هي سنة ٨٣هـ في يوم الاثنين سابع عشر من شهر ربيع الأول بالمدينة.

٦- تاريخ وفاة الإمام عليه السلام: هي سنة ١٤٨هـ ودفن بالبقيع في المدينة وله خمس وستون سنة.

فمن إيراد هذه التواريخ نعرف تاريخ وروده للحلة فإن كان لبلدة الهاشمية فيكون تاريخ وروده إليها سنتي (١٣٦هـ و١٤٥هـ) وإن كان لبغداد فقد وردها سنة ١٤٥هـ قبل مقتل محمد وإبراهيم مرتان وبعد سنة (١٤٥هـ - ١٤٨هـ) بعد مقتل محمد وإبراهيم[٧] فيكون في سني وروده لبغداد قد ورد الحلة.

تاريخ عمارة المقام:

علمنا سابقاً إن تاريخ ورود الإمام الصادق عليه السلام هذا المقام في الحلة بين سنتي (١٣٦هـ - ١٤٨هـ) وهو بين تسلم المنصور للخلافة وبين سنة وفاة الإمام عليه السلام لكن لم يعثر على بداية تاريخ عمارة المقام وقد قدّمنا أن الجامعين (الواقع فيهما المقام) كانت مدينة زاهرة في موضع عامر بالخصب يعني إنها كانت آهلة بالسكان الذين يدينون بالمذهب الجعفري فليس من المعقول أن يدعو مصلى إمامهم بدون عناية واحترام، بيد إني عثرت على تواريخ فيما بعد هذا التاريخ فأرى من المهم ذكرها هنا لألى تضيع كما ضاع غيرها.

التاريخ الأول: (المقام في دولة آل بويه ٣٢٢هـ - ٤٤٨هـ).

أقول: إنني وجدت صورة رسمت للمقام قديمة كتب تحتها هذه العبارة صورة بديعة للأثر التاريخي الجميل مقام الإمام جعفر الصادق عليه السلام في الحلة ويرجع عهد بنايته إلى عصر آل بويه والحلة غنية بآثارها القديمة في مختلف العصور(أخذت الصورة بريشة فاضل سعيد)[٨].

ولا أعلم من أين أخذت عبارة (يرجع

عهد بنايته إلى عصر آل بويه) هل إن كتابتها قرأ تاريخاً مكتوباً في المقام أو غير ذلك من الاحتمالات ومن المعلوم إن دولة آل بويه الشيعية التي كانت تهتم بمراقد ومقامات الأئمة عليهم السلام وعمارتها حكمت من سنة ٣٢٢هـ وهي سنة أوان ظهورهم إلى سنة ٤٤٨هـ في عهد الخلافة العباسية ويؤيد وجود ذكر لهذه العمارة في عصر آل بويه ما نأتي على ذكره بعد هذا التاريخ، ويظهر من الصورة إن للمقام قبة كبيرة ورواق وهو ذو سعة.

التاريخ الثاني: (المقام في القرن السادس الهجري).

ذكر الشيخ الجليل محمد بن شهراشوب في كتاب (مناقب آل أبي طالب) في ضمن أحوال وتواريخ الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال ما نصه: (وألقابه: الصادق، الفاضل، والطاهر، والقائم، والكافل، والمنجي وإليه ينسب الشيعة الجعفرية، ومسجده في الحلة[٩].

أقول: إن الشيخ الأجل الأعظم محمد بن علي بن شهراشوب صاحب كتاب (المناقب ومعالم العلماء) هو من علماء القرن السادس الهجري، المتوفي عن مائة سنة إلا عشرة أشهر في سنة ٥٨٨هـ. ودفن خارج حلب في أعلى جبل معروف بجبل (جوشن) وكان من شيوخ الشيعة واعترف علماء السُنة بفضله، وهم يجلّونه وذكروه في تراجمهم، وكان مشهوراً بكثرة العلم والعبادة والخشوع والتهجد، وذكر عنه إنه كان دائم الطهارة، وعندما كان يكتب كتابه المناقب كان يجمع حوله ألف كتاب في المناقب وعلى رغم علمه الجم فقد ذكر بداية كتابه المناقب: (مالي وللتصنيف والتأليف مع قلة البضاعة وعظم شأن هذه الصناعة)[١٠].

وعبارة مؤلف كتاب المناقب (ومسجده في الحلة) يستفاد منها في عدة أمور فمنها شهرة المقام في ذلك العصر أي القرن السادس الهجري ومنها إن للمقام ذكر قبل هذا القرن إذا ما قلنا إن كتاب مناقبه أُلف من ألف كتاب في المناقب فمن المؤكد إن ابن شهراشوب اعتمد على مصادر كتابه بكتب هي قبل عصره.

ومنها أن المقام كان مسجداً للإمام الصادق عليه السلام، ربما إنه كان يختلف إليه للصلاة فيه أو ربما إنه أمر ببناءه وصلى فيه عليه السلام لذلك اشتهر في ذلك العصر (أي

آثار المقام القديم الذي يطل على النهر ظاهرة في الصورة

عصر المؤلف) بمسجد الإمام الصادق عليه السلام.

وقد تناول عبارة ابن شهراشوب عدة من الأعلام الإمامية أنار الله برهانهم وأنا ذاكرهم بعد حسب التسلسل التاريخي إذ يستفاد من ذكرهم هذه العبارة شهرة المقام في عصرهم أيضاً:

١ ـ العلامة المجلسي(رض) ت ١١١١هـ في كتاب بحار الأنوار ج٤٧ ص٩.

٢ ـ الشيخ عباس القمي(رض) ت ١٣٥٩هـ في كتاب سفينة البحار ج١ ص٢٩٩ وكذلك ص٧١٦ ط حجرية.

٣ ـ الشيخ علي النمازي في كتاب مستدرك سفينة البحار ج٦ ص٥٦.

التاريخ الثالث: (١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٧م)

في هذه السنة حدث ما لم يكن في الحسبان فقد تكالبت أعداء الدين والإسلام على هدم المقام بحجة توسعة شط الحلة وأرادوا أيضاً هدم مرقد عبد الله الفارسي الواقع بجوار المقام لكن آلات الحفر لم تجدي بالعمل وهذا الأمر متواتر بين أهل الحلة حتى إني سمعته من دائرة الوقف الشيعي فذهب ذلك الصرح العريق ولم يبقى منه إلا أساسه قائم إلى الآن بعد هدمه ولم يوسع الشط لكنها (شنشة أعرفها من أخزم) فذهب ذلك المسجد المسمى باسم محي الشريعة الإسلامية فبدلاً من اهتمامنا به أخذنا بتخريبه وهدمه فإنا لله وإنا إليه راجعون[١١] فأخذ جمع من أهل الحلة المؤمنين ببناء مقام رمزي للإمام الصادق عليه السلام يقع شمال المقام الأصلي بنحو ١٢٠م فجزاهم الله خيراً وحبذا لو سعى كل من دائرة الوقف الشيعي وأخيار الحلة ومن أهل الهمة في إعادة بناء المقام الأصلي وخصوصاً بعدما عرفنا إن مكانه الأصل باقٍ والحمد لله أن التاريخ حفظ لنا صورة لعمارة المقام قبل هدمه حصلت عليها بشق الأنفس. فالمرجو من أهل الخير بالاهتمام بهذا الأمر وخصوصاً بعدما سردنا تاريخ المقام وقدمه.

التاريخ الرابع: (١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م)

في يوم ٢٧ من شهر ربيع الأول من سنة ١٤٢٦هـ زرت المقام الشريف في محلة الجامع في الحلة وهو يقع في أحد بساتين النخيل في تلك المحلة المذكورة ويتكون من غرفة صغيرة الحجم مربعة الشكل تقريباً أبعاد مساحته بنحو ٧×٧ م٢ وارتفاعه بنحو ٤م تنتصب فوقه قبة صغيرة قديمة البناء وللمقام باب حديدي بارتفاع مترين وعرض متر ونصف لونه أخضر ولقد بُني هذا المقام بعد هدم المقام

لوحة بريشة الفنان (فاضل سعيد) لمقام الإمام جعفر الصادق عليه السلام في الحلة، ويرجع تاريخ بنائه إلى عصر آل بويه

الأصلي والمقام مزود بالكهرباء ويتوافد عليه الزائرين وبالخصوص يومي السبت والجمعة وفي يوم وفاة الإمام الصادق عليه السلام وعموم المقام قديم البناء يعاني من قلة الاهتمام والصيانة ■

(١) الحلة: حلة بني مزيد، مدينة كبيرة تقع جنوب بغداد بنحو (١٠٠كم) وجنوب كربلاء بنحو (٤٥كم) وشرق النجف بنحو (٦٠كم) مُصرت في سنة (٤٩٥هـ) على يد الأمير صدقة بن منصور بن بهاء الدولة دبيس المزيدي، ولذا اشتهرت بالمزيدية، راجع تاريخ الحلة ج١، للشيخ يوسف كركوش[٥]. (بتصرف)

(٢) الجامعين: بلدة بالجانب الشرقي، مقابل الحلة، كانت مدينة زاهرة في موضع عامر بالخصب، ثم تلاشى أمرها على أثر بناء سيف الدولة الحلة بإزائها الأيمن للفرات، وهي من توابع الحلة الآن، وتقع في مركزها وذكر في كتب التاريخ ومنها (الكامل في التاريخ، لابن الأثير قبل تأسيس الحلة إذ ذكروا الاستيلاء عليها ونهبها. راجع تاريخ الحلة ج١ ص١ للشيخ يوسف كركوش. (بتصرف)

(٣) الهاشمية: مدينة بناها السفاح بالكوفة وذلك إنه لما ولي الخلافة نزل بقصر ابن هبيرة واستتم بناءه وجعله مدينة وسماها الهاشمية فكان ينسبونها إلى ابن هبيرة على العادة فقال: ما أرى ذكر ابن هبيرة يسقط عنها، فرفضها وبنى حيالها مدينة سماها الهاشمية ونزلها ثم اختار نزول الأنبار فبنى مدينتها المعروفة فلما توفي دفن فيها، واستخلف المنصور فنزلها أيضاً واستتم بناء كان قد بقي فيها وزاد فيها على ما أراد تم تحول عنها فبنى مدينة بغداد وسماها مدينة السلام. راجع معجم البلدان - ياقوت الحموي - ج٥ ص٣٨٩ وهي الآن تبعد عن الحلة نحو ٣٠كم جنوباً.

(٤) راجع الرواية في بحار الأنوار ج٤٧ ص٢٠٣ للعلامة المجلسي(رض) وكذلك مدينة المعاجز ج٦ ص٦٤ للسيد البحراني(رض) والأنوار البهية ص١٦٢ للشيخ عباس القمي(رض) واستدعاه المنصور مرة ثانية للكوفة برواية الفضل بن ربيع راجع (مهج الدعوات) ص٢٣٤ - ٢٣٩ للسيد بن طاووس (رض) وهذا الاستدعاء لا يمنع أن يكون بالهاشمية لأنها حين الاستدعاء كانت تابعة لمدينة الكوفة.

(٥) فمقام مشهد الشمس ومقام الإمام علي عليه السلام في الحلة مشهوران.

(٦) راجع مهج الدعوات من ص٢٢٠ - ٢٦٥ مطبعة الأعلمي - بيروت لبنان، في باب أدعية الإمام الصادق عليه السلام تجد ما سطرناه مفصلاً.

(٧) أخذت هذه التواريخ من كتاب تتمة المنتهى للشيخ عباس القمي. (بتصرف)

(٨) علمت أن الرسام لهذه الصورة توفي في عهد الستينات من القرن العشرين وهو من أهالي الحلة.

(٩) راجع مناقب آل أبي طالب ج٣ ص٤٠٠ لابن شهراشوب مطبعة الحيدرية ت ١٩٥٦م.

(١٠) وقائع الأيام للشيخ عباس القمي ص٣٦٨، مطبعة البلاغ.

(١١) قد ذكر هذا الأمر أيضاً السيد حيدر السيد موسى وتوت الحسيني في كتابه (مزارات ومراقد العلماء في الحلة الفيحاء) ص١٧٠ قال ما نصه: (أخبرني مؤكداً بعض أهل الحلة الأفاضل أن مقام الإمام الصادق عليه السلام الحقيقي يقع على حافة نهر الحلة وليس هذا موقعه الصحيح، وقد قمت بالفعل بتفحص المكان فوجدت أن هناك قطعة من الأرض بارزة لم يؤثر فيها الماء الجاري الذي حفر ما حولها كمسار له، ووجدت إن هناك أثر للطابوق وأرضية المقام مما يؤكد أن المقام الحقيقي هو الذي يقع على جانب النهر وليس الموجود بالقرب منه وهذا المقام من الأماكن المقدسة التي يقصدها الناس للصلاة والدعاء والزيارة وكيف لا وهو مقام الإمام السادس من أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس أهل البيت وطهرهم تطهيراً.

أقول: كما أخبرني بذلك خادم المقام حمزة كاظم الحاج عبود الأسدي ورأيت ذلك بأم عيني.

يعلن باب (في رحاب الفقه)
عن استعداده
للقراء الكرام في استقبال
أسئلتهم الفقهية، والإجابة عنها في ضوء
فتاوى سماحة المرجع الديني الكبير السيد
محمد سعيد الطباطبائي الحكيم (مدّ ظله)

ما يقول سماحة سيدنا الجليل آية الله العظمى السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم (حفظه الله) في المعاملات التي تعارف عليها الصاغة في سوقهم...

س: يسلم التاجر ذهباً غير مصوغ (خشالة) بوزن مائة واثنين غرام إلى معمل الصياغة ليصوغه نفسه حسب المطلوب، فيعيد صاحب المعمل الذهب مصوغاً بوزن مائة غرام بإنقاص غرامين (أو ثلاثة مثلاً) باعتبار أنها تتلف أثناء العمل، والحال أنه يستفيد منها بتجميعها ثم يبيعها - مثلاً - وإضافة إلى الغرامين فإن صاحب المعمل يأخذ أجوراً نقدية مقابل عمله. وإذا كانت النسبة المذكورة من الذهب تتلف ولا فائدة منها، فهل يختلف الحكم؟

ج: إذا وقع الاتفاق بين الطرفين على إسقاط النسبة المذكورة فتصح المعاملة ولم يكن المقدار المذكور مضموناً في كلا الحالتين المذكورتين في السؤال.

س: يسلم التاجر ذهباً (خشالة) وزنه (مائة واثنان غرام) إلى معمل الصياغة، فيعطيه هذا من عنده في مقابل ذلك (مائة غرام) من الذهب المصوغ الجاهز لديه حسب خبرته بالعرض والطلب، ويأخذ من التاجر أُجوراً نقدية على الصياغة.

ج: لا يمكن تصحيح المعاملة على اعتبار بيع الذهب المصاغ الأقل في مقابل الذهب غير المصاغ (الخشالة) الأكثر والنقود المضافة إليه، حيث تكون الزيادة في الذهب والأجور المضافة بمجموعها رباً. نعم إذا أضيف للذهب المصاغ -الأقل- شيء آخر - كالأحجار - صحت المعاملة.

س: يوصي التاجر صاحب المعمل على صياغة معينة لأوزان معينة، فيعطيه صاحب المعمل ما يطلبه من الذهب المصوغ (ذهب صاحب المعمل)، ويأخذ من التاجر مقابل الذهب بعملة ومقابل أتعابه بعملة أخرى، أو يأخذ مقابل الذهب والأتعاب بعملة واحدة.

ج: لا بأس بالمعاملة المذكورة.

س: يسلم التاجر (مائة غرام) من الذهب غير المصوغ للمعمل الذي يعطيه في المقابل (مائة غرام) من ذهبه المصوغ ويأخذ أجوراً على الصياغة.

ج: لا يمكن تصحيح المعاملة على أساس بيع الذهب المصاغ في مقابل الذهب غير المصاغ (الخشالة) باعتبار وجود الزيادة وهي النقود المضافة إلى غير المصاغ.

نعم يمكن تصحيحها بإضافة شيء في الذهب المصاغ كالأحجار الكريمة أو مقدار من العملة الصعبة كما سبق.

س: يباع كيلو من الذهب (١٨ حبة) بنصف كيلو من الذهب (٢٤ حبة)، أو بثلاث أرباع الكيلو من الذهب (٢١ حبة)؟

ج: لا يجوز ذلك والمعاملة ربوية.

س: يتعامل صاحب المعمل مع عدة تجار، فيخلط ذهب زيد مع ذهب عمرو ويذيبهما معاً، ولكنه يسلّم زيداً الوزن المتفق عليه بالصياغة المطلوبة وبعد اقتطاع النسبة المعروفة، وكذلك يفعل مع عمرو.

ج: تصح المعاملة المذكورة إذا رضي الكل بخلط ذهبهم.

س: يقوم بعضهم بتأجير سبيكة ذهبية لتاجر لمدة شهر أو شهرين لقاء أجرة معينة مقطوعة لكل شهر.

ج: إذا كانت العين ترجع بنفسها تصح المعاملة، كما إذا استأجرها ليعرضها في معرض المحل. أما إذا لم ترجع العين بنفسها فلا تصح، كما لو أخذها من أجل أن يبيعها ويتكسّب بها. لأنها في الحقيقة ليست إجارة بل عبارة عن اقتراض الذهب والأجرة زيادة ربوية محرمة.

س: يقوم بعضهم بتأجير بعض المصوغات إلى المواطن لمدة معينة بمبلغ معين.

ج: تصح المعاملة إذا كان المصاغ يرجع بعينه، نظير ما سبق.

س: يعطي التاجر ذهبه غير مصوغة إلى المعمل دفعة واحدة، ولكن المعمل يسلّمه في المقابل الذهب المصوغ على دفعات.

ج: لا ضرر في الدفع التدريجي، نعم لابد في صحة المعاملة من إرجاع عين الذهب، أو إرجاع بدله مع التساوي من دون زيادة لا من الذهب ولا من غيره. وأما مع الزيادة ففيه تفصيل لا يسعنا الإجابة عليه الان.

س: وسيط يشتري (خشالة) بذهب مصوغ أقل وزناً ويأخذ أجور الصياغة، ثم يبيع الخشالة.

ج: المعاملة المذكورة صحيحة.

س: عندي ذهب وزنه (١٠

غـرام) عيار (٢١ حبـة)، وأريد أن أبدله إلى عيار (١٨ حبة) فيصبح وزنـه (١١٤ غرام) مثـلاً. فأصبح الاختلاف في الوزن وأما السـعر فـأن قيمة (١٠٠ غـرام) عيار (٢١ حبة) هي (٣ مليون دينار)، وقيمة (١١٤ غرام) عيار (١٨ حبة) أيضاً (٣ ملايين)، فهل هذا جائز؟

ج: إذا كانـت المعاملـة المذكـورة تتضمن بيع ذهب عيار (١٨ حبة) بذهب عيار (٢٠ حبـة) مـع الزيادة في الـوزن فالمعاملة المذكورة ربوية غير جائزة.

س: إذا لـم يكـن التعامـل المذكـور شـرعياً، فمـا الحلول الشـرعية؟ ومـا حكـم تعاملنا السـابق؟ وفـي الختـام نرجـو مـن سـماحتكم أن تقدمـوا لنا توجيهاتكـم فـي هـذا المجال ودمتم ذخراً ومناراً... مع الشـكر والدعاء.

ج: إذا لـم تكـن المعاملـة شـرعية فالتعامـل السـابق باطـل والثمـن لا يملـك ويجـب مراجعة طـرف المعاملة والتراضي معه إذا كان مسـلماً، أما إذا كان كافراً فيجـوز أخذ الزيادة الربويـة منه ولا يجوز دفعها له.

أمـا نصيحتنا فهـي التثبـت من صحة المعاملة قبـل الإقدام عليها. والله سـبحانه ولي التوفيق.

س: ما هو حكم المعاملات العامة، كالبيع والشـراء ونظائر ذلـك من خلال شـبكة الإنترنت على أنواعهـا، والتي منها إجراء المعاملـة مـن خـلال الوثيقة البنكيـة أو المصرفية كالبطاقة بأنواعهـا، ونظائـر ذلـك ما هو الضابط الشـرعي مـع الحكم؟ أفيدونا بذلك.

ج: لا بـأس بإجـراء المعامـلات عبـر الشـبكة المذكـورة إذا تمـت بقية شـروطها، لكفاية الاتصال المذكور في صدق العقد والمعاملة، فيشمله عموم نفوذ العقـود، ونفـوذ المعاملة التـي تحصل من طريقه.

نعـم يشـكل الاكتفاء به فـي إجراء عقد النكاح، لاشـتراط الإيجاب والقبول اللفظييـن فيـه، بحيـث يكـون القبـول مبنيـاً علـى الإيجـاب ومرتبطـاً بـه، حيث قـد لا يتحقـق عبـر الشـبكة المذكورة. ولـو فرض تحقـق ذلك عبرهـا، صح عقد النـكاح، نظيـر المكالمـة التلفونيـة بين الطرفين.

س: مـا حكـم التـوكل والتوسـط في المعامـلات عبر الشـبكة؟ ومـا حكـم الكسـب المالي من خلال ذلك؟ سيما مع ملاحظة أن اتساع المعلومات في الشـبكة الإنترنتية يستطيع من خلاله المكلّـف أن يقوم بعملية العرض على طـرف ما، ويوصله بالطرف الآخر، فيسـتحق المال حتى لو لـم يعلم الطرفان وإنما طرف واحد فقـط، ونظائر ذلك مـن طرق التوسـط فـي إجراء المعاملات عبر الشبكة؟

ج: لا بـأس بذلـك كلـه، وبكسـب المـال فـي مقابلـه، بعـد الاتفـاق عليه مع

الطرف المعني. وأما الطرف الذي لا يعلم فلا مجال لاستحقاق المال منه إلا أن يسبق منه الالتزام بدفع المال إلى من يوصله عبر الشبكة المذكورة، نظير الجعالة، فلا بأس بأخذ المال منه حينئذٍ بمقتضى التزامه المذكور.

س: ما حكم أخذ الأجرة واكتساب المال لمجرد كون المكلّف قد دخل إلى صفحة معينة في الإنترنت، فيسجل له في حساب، وفي آخر كل شهر يعطى بما هو مجموع المال المحدد له عند دخوله، حتى قد يصل بعض الأحيان إلى ما بين (٤٠٠ ـ ٢٧٠٠) دولار شهرياً، وكذلك الأمر نفسه بمجرد أن يرسلوا للمكلف رسالة في بريده الخاص، فعندما يقوم بفتحها فإن برنامجاً تلقائياً يسجل له مبلغاً معيناً، وهكذا.. و نظائر ذلك كثير في الشبكة الإنترنتية؟

ج: لا بأس بأخذ المال المذكور في فرض جواز الدخول للصفحة المعينة، لعدم لزوم محذور شرعي منه ـ كترويج الباطل ـ سواء كان المال المدفوع في مقابل الدخول في الصفحة المذكورة، كعوض، أم كان من سنخ الجائزة والهدية التشجيعية. أما مع حرمة الدخول فلا يجوز أخذ المال إذا كان من سنخ العوض، لأنه من أكل المال بالباطل. ويجوز إذا كان من سنخ الهدية والجائزة.

نعم قد يجوز أخذ المال مطلقاً من باب الاستنقاذ إذا كان دافعه غير محترم المال. وكذا من باب الإلزام إذا كان دافعه محترم المال، وكان مقتضى مذهبه استحقاق المال عليه وجواز أخذه منه بسببه.

س: هل يجب على المكلف ردّ الشبهات التي تنشر في الشبكة الإنترنتية؟ سيما إذا كان تشنيعاً على الحق وأهله زيفاً وادعاءً؟ والعياذ بالله وما هو الضابط الشرعي في حكم الردّ لتلك الأنواع من الشبهات وغيرها؟

ج: لا خصوصية في وجوب الرد للشبهات التي تنتشر في الشبكة الإنترنتية، بل الأمر يجري في كل شبهة تثار ضدّ الحق وبمختلف وسائل الاعلام. ولا دليل على وجوب التصدي لكل شبهة وردها. بل غاية ما يمكن هو دعوى وجوب ردّ الشبهة إذا كانت من القوة بحيث يصعب حلها، ومن الأهمية بحيث يخشى منها الضرر على الدين ووهنه، حيث يمكن القول بوجوب حلها بملاك وجوب حفظ الدين، الذي هو نحو من الجهاد الواجب شرعاً وجوباً كفائياً.

أما إذا زاد على ذلك فهو من سنخ ترويج الدين وخدمته، ولا إشكال في رجحانه شرعاً إلا أنه لا مجال للبناء على وجوبه. نعم إذا سئل المكلف عن حقيقة دينية يعرفها ولا محذور عليه في بيانها ولا حرج وجب عليه بيانها مطلقاً وإن لم تكن مهمة جداً لحرمة كتمان العلم في الدين. والتفصيل السابق إنما هو في وجوب البيان وحل الشبهة ابتداء ولو من دون سؤال، بل ولو مع الجهل بالحق إذا أمكن تعلمه مقدمة لبيانه ■

عينية مهيار الديلمي

• د. حسن الخاقاني

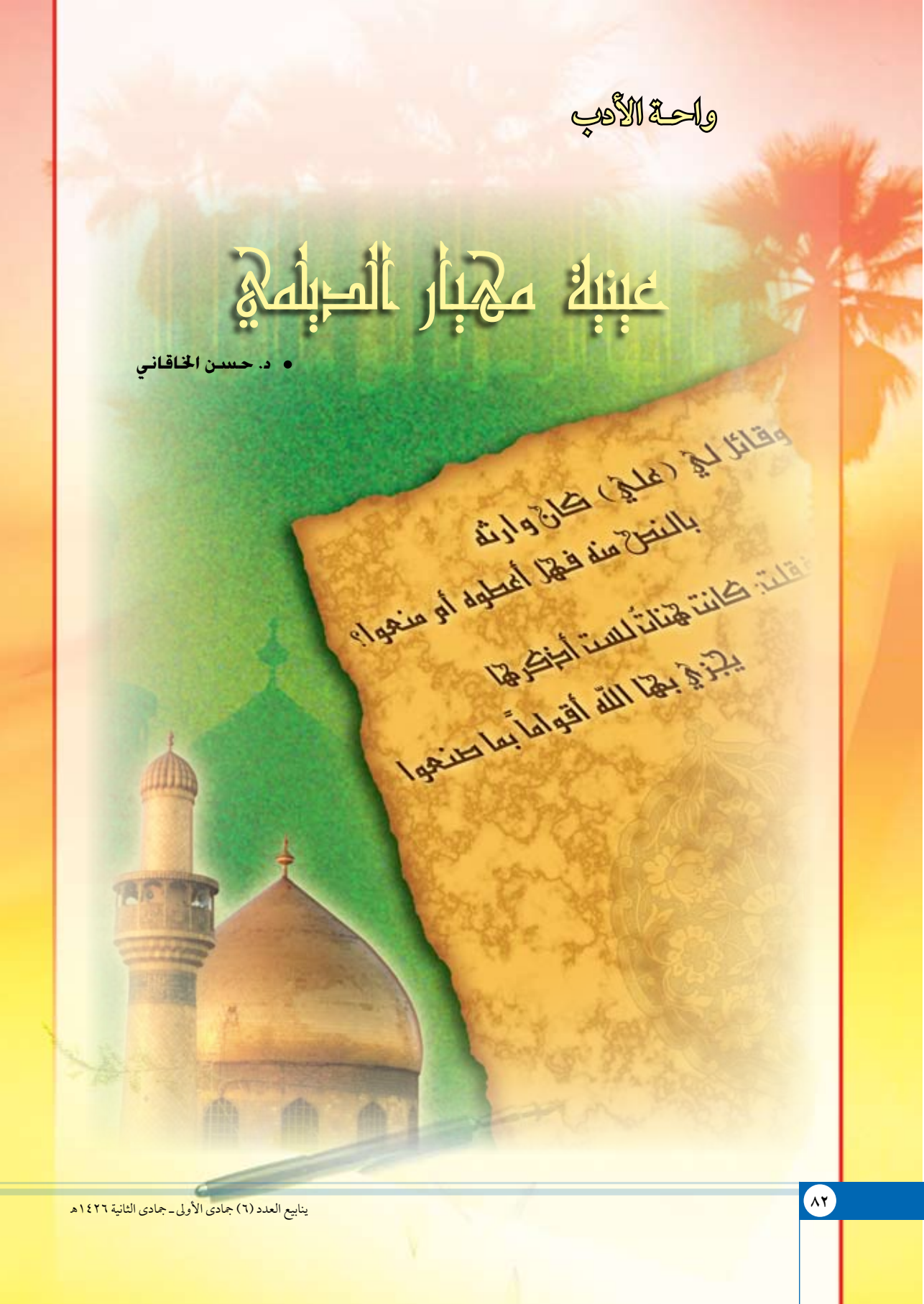

مهيار الديلمي:

ينابيع هو أبو الحسن بن مرزويه الديلمي الفارسي الكاتب الرشاعر المجيد في الصناعتين، كان مجوسياً فأسلم، ويقال إن اسلامه كان على يد الشريف الرضي أبي الحسن محمد الموسوي وهو شيخه وعليه تخرج في نظم الشعر. وقد وازن كثيراً من قصائده.

ويناقش الدكتور عصام عبد علي قضية إسلام مهيار بشيء من التفصيل المنهجي فيصل إلى نتيجة مؤداها: إن إسلام مهيار لم يكن على يد الشريف الرضي، وإنما كان بسبب الوزير البويهي الكافي الأوحد بحسب الإشارات الواردة في شعر مهيار بذلك، وإن علاقته بالشريف الرضي كانت علاقة الأستاذ بتلميذه مع ما للأستاذ من فضل خاص عليه بعلو منزلة الشريف في المجتمع البغدادي.

ولادته:

لم يرد ذكر قاطع بتاريخ ولادته إلا إن الدراسات تمكن من تحديد العقد الرابع تاريخاً لولادته، ومن خلال شعره يستنتج إن ذلك قد وقع في سنة ٣٦٥هـ على الأغلب.

شاعريته:

قال عنه بن خلكان في كتابه المسمى بـ(وفيات الأعيان) ما نصه: هو أبو الحسين مهيار بن مرزويه الكاتب الفارسي الديلمي الشاعر المشهور. كان مجوسياً فأسلم. ويقال: إن اسلامه كان على يد الشريف الرضي أبي الحسن محمد الموسوي، وهو شيخه وعليه تخرج في نظم الشعر، وكان شاعراً أجزل القول مقدماً على أهل وقته، وله ديوان شعر كبير يدخل في أربع مجلدات، وهو رقيق الحساسية طويل النفس في قصائده.

وذكر الحافظ أبو بكر الخطيب في (تاريخ بغداد) وأثنى عليه وقال: وكنت أراه يحضر جامع المنصور في أيام الجمعات ـ يعني ببغداد ـ ويقرأ عليه ديوان شعره ولم يقدر لي أن أسمع منه شيئاً.

وذكره أبو الحسن الباخرزي في كتاب (دمية القصر) فقال في حقه: هو شاعر له مناسك الفضل مشاعر، وكاتب، تحت كل كلمة من كلماته كاعب، وما في قصائده بيت يتحكم عليه بلو وليت، وهي مصبوبة في قوالب القلوب وبمثلها يعتذر الزمان المذنب عن الذنوب، ثم عقب على هذا الكلام بذكر مقاطيع من شعره.

وممن أورد شيئاً عن مهيار، القاضي نور الله التستري من أعلام الإمامية في القرن العاشر في كتابه الفارسي المشهور المسمى (مجالس المؤمنين)، قال: قال الشيخ الجليل عبد الجليل الرازي وابن كثير الشامي واليافعي: (إن أصل مهيار مجوسي من أولاد أنو شيروان كسرى العادل وتخرج على الشريف الرضي نقيب الكوفة وبغداد وأسلم على يده وله شعر جيد متين قاله على مذهب الشيعة).

ينسب مهيار إلى الديلم وهم أمة من فارس ولهم بلاد ما وراء طبرستان، قال عنهم المقدسي في وصف مناطقهم الجبلية: بأنها كورة صغيرة المدن لا ترى لأهلها لياقة ولا علماً ولا ديانة، وبقي الكفر فيهم إلى نهاية القرن الرابع للهجرة، وبذلك أسلم الديلم على يد الاطروش وأصبحوا شيعة زيدية.

وقد جاء مهيار إلى بغداد مجوسياً ومازال على دينه الذي عليه قومه، فسكن درب رياح من محلة الكرخ وهي منطقة عرفت لتجمع الشيعة الإمامية فيها واشتهرت بمجلس النظر الذي يتصدره فقيه الشيعة أبو عبد الله بن محمد النعمان، المعروف بالشيخ المفيد، وليس من المستبعدأن يمده بأصول الحجة والبرهان وهو يتابع إسلوب المناقشة والجدل في قضايا الخلافة والإمامة.

اتصل بكبار شخصيات عصره وفيهم وزراء بني بويه، فمدهم في شعره وتقرب إليهم، وكانت الحاجة فيه شديدة.

وفاته:

توفي مهيار ليلة الأحد لخمس خلون من جمادي الآخرة سنة ثمان وعشرين وأربعمائة.

أهم المصادر:

- ديوان مهيار الديلمي شرحه السيد عبد المطلب الشاعر الحلي، بغداد، مطبعة الشابندر، سنة ١٣٣٢هـ، الجزء الأول.

- نسمة السحر بذكر من تشيع وشعر الشريف الحسني الصفائي ٣/ ٣٤٤ - ٣٤٩.

- مهيار الديلمي حياته وشعره د. عصام عبد علي، الجمهورية العراقية وزارة الإعلام، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

القصيدة:

هل بعد مفترق الأضعان مجتمع
أم هل زمان بهم قد فات يرتجع؟
تحملوا، تسع البيداء ركبهم
ويحمل القلبُ فيهم فوق ما يسع
مغرّبين هم والشمس. قد ألفوا
ألاّ تغيب مغيباً حيثما طلعوا
شاكين للبين أجفاناً وأفئدة
مفجّعين به أمثال ما فجعوا
تخطوا بهم فاترات في أزمّتها
أعناقها تحت إكراه النوى خُضعُ
تشتاق (نعمان) لا ترضى بروضته
دار ولو طاب مصطافٍ ومرتبع
فداء وافين تمشي الوافيات بهم
دمعٌ دمٌ وحشاً في أثرهم قطع
الليل بعدهم كالفجر متصل
ما شاء، والنوم مثل الوصل منقطع
ليت الذين أصاخوا يوم صاح بهم
داعي النوى:ثوروا، صموا كماسمعوا
أوليت ما أخذ التوديع من جسدي
قضى عليّ، فللتعذيب ما يدع
وعاذل لج أعصيه ويأمرني
فيهم، وأهرب منه وهو يتبع
يقول: نفسك فاحفظها فإن لها
حقاً، وإن علاقات الهوى خدع
روِّح حشاك ببرد اليأس تسل به
ما قيل في الحب إلا أنه طمع
والدهر لونان والدنيا مقلّبة
الآن يعلم قلب كيف يرتدع
هذي (قضايا رسول الله) مهملة
غدراً وشمل (رسول الله) منصدع
والناس للعهد ما لاقوا وما قربوا
وللخيانة ما غابوا وما شسعوا
وآله وهم آل الإله وهم
رعاة ذا الدين ضيموا بعده ورعوا
ميثاقه فيهم ملقى وأمته
مع من بغاهم وعاداهم له شيع
تضاع بيعته يوم الغدير لهم
بعد الرضا وتحاط الروم والبيع

مقسمين بإيمان هم جذبوا
بيوعها، وبأسياف هم طبعوا
ما بين ناشر حبل أمسِ أبرمه
تعد مسنونة من بعده البدع
وبين مقتنص بالمكر يخدعه
عن آجل عاجل حلو فينخدع
وقائل لي (علي) كان وارثه
بالنص منه فهل أعطوه أم منعوا؟
فقلت: كانت هنات لست أذكرها
يجزي بها الله أقواماً بما صنعوا
أبلغ رجالاً إذا سميتهم عرفوا
لهم وجوه من الشحناء تمتقع
توافقوا وقناة الدين مائلة
فحين قامت تلاحوا فيه واقترعوا
أطاع أولهم في الغدر ثانيهم
وجاء ثالثهم يقفو ويتبع
قفوا على نظر في الحق نفرضه
والعقل يفصل والمحجوج ينقطع
بأي حكم بنوه يتبعونكم
وفخركم أنكم صحب له تبع
وكيف ضاقت على الأهلين تربته
وللأجانب من جنبيه مضطجع
وفيم صيرتم الاجماع حجتكم
والناس ما اتفقوا طوعاً ولا اجتمعوا
أمر (علي) بعيد من مشورته
مستكره فيه (والعباس) يمتنع
وتدعيه قريش بالقرابة والـ
أنصار لا رفع فيه وضع
فأي خلف كخلف كان بينكم
لولا تلفق أخبار وتصطنع
واسألهم يوم خم بعد ما عقدوا
له الولاية لِمَ خانوا ولِمَ خلعوا
قول صحيح ونيات بها نغل
لا ينفع السيف صقل تحته طبع
انكارهم يا أمير المؤمنين لها
بعد اعترافهم عارٌ به ادرعوا
ونكثهم بك ميلاً عن وصيتهم
شرع لعمرك ثانٍ بعده شرّعوا
تركت أمراً ولو طالبته لدرت
معاطس راغمته كيف تجتدع
صبرت تحفظ أمر الله ما اطرحوا
ذباً عن الدين فاستيقظت إذ هجعوا
ليشرقن بحلو اليوم مرّ غد
إذا حصدت لهم في الحشر ما زرعوا
جاهدت فيك بقولي يوم تختصم الـ
أبطال إذ فات سيفي يوم تمتصع
إن اللسان لو صال إلى طرق
في القلب لا تهتديها الذبّل والشرّع
آبائي في (فارس) والدين دينكم
حقاً لقد طاب لي أس ومرتبع
ما زلت مذ يفعت سني ألوذ بكم
- حتى محا حقكم شكي - وانتجع
وقد مضت فرطات أن كفلت بكم
فرقت عن صحفي البأس الذي جمعوا
(سلمان) فيها شفيعي وهو منك إذا الـ
آباء عندك في أبنائهم شفعوا
فكن بها منقذاً من هول مطلعي
غداً وأنت من (الأعراف) مطلع
سولت نفسي غروراً إن ضمنت لها
أني بذخرٍ سوى حبيك أنتفع

التحليل:

تتجلى في هذه العينية سمات البناء التقليدي من حيث الابتداء بلوحة الظعن، أي مخاطبة أظعان الراحلين. وفي الأبيات ١ - ١٤، فيثبت المطلع حدوث الانفصال (بعد مفترق الأضعان) في شطره الأول، وتمني

عودة الاتصال المفتقد، مما يعني زيادة في تثبيت حقيقة الانفصال.

وتتولى الأبيات اللاحقة بيان مسيرة هذا الافتراق بأداء سردي محمل بالعواطف التي يثيرها هذا الرحيل، ففي البيت الثاني تبدأ صورة الرحيل بالفعل الماضي (تحملوا) الذي يمثل حركة أولى من حركات الرحيل، ومن ثم حصول الافتراق والبيت مبني في شطريه على أساس من علاقة الجناس المتمثلة في تحملوا - يحمل، تسع - يسع:

تحملوا، تسع البيداء ركبهم
ويحمل القلبُ فيهم فوق ما يسع

يتكفل البيت الثالث ببيان جهة الرحيل بقوله: (مغربين).

مغرّبين هم والشمس قد ألفوا
ألاّ تغيب مغيباً حيثما طلعوا

وهو اختيار مجمل دلالة الغياب، ولكنه يقرنهم باستعمال واو المعية، بالشمس، ليكون هؤلاء الظاعنون المغربون. هم الشمس في اشراقها، وهنا يظهر أثر فعل الطباق الخفي بين كل من الغروب والشمس، وهو ما يقطع به الشطر الثاني من البيت، فطلوع هؤلاء هو صنو طلوع الشمس في اشراقها، بل إن طلوعهم هو طلوع للشمس. ولكن هؤلاء الذين كانوا صنو الشمس طلوعاً واشراقاً، بل هم أرفع منها سناءً، مائلون إلى الغروب.

يتكشف حالهم في البيت الرابع عن ألم داخلي عميق تبدو بعض مظاهره في شكواهم أجفاناً وأفئدة مفجعة بهذا البيت الحاصل، ولكن هذه المظاهر الخارجية ما هي إلا دلالة يقل شأنها إزاء ما تحمله نهاية الشطر الثاني الذي يبين أن ما بهم من فواجع إنما هي أضعاف مضاعفة.

ويأتي البيت الخامس ليرسم صورة مركزية لمسيرة الرحيل عبر الإشارة إلى إيقاع سير النوق الحاملة لهذا الظعن، إذ اختار النص من بين الأفعال الكثيرة الدلالة على السير الفعلي (يخطو)

تخطوا بهم فاترات في أزمّتها
أعناقها تحت إكراه النوى خُضعُ

مما يعني إن هذا الرحيل كان بطيء الخطوات، متثاقلاً، فهو سير، ورحيل حاصل بالإكراه، لا بالإرادة، والقلوب متعلقة بأوطانها ما تزال، ويتعزز ذلك بإيراد الوصف (فاترات). ويأتي الشطر الثاني بالجزء المتسم لبناء هذه الصورة، وهو أن أعناق المطايا خاضعة مطأطئة، فهي مكرهة في سيرها، ومن مجموع ذلك يتحصل أن عملية الافتراق قسرية، تركت ألماً تجسد في مظاهر شملت المطايا السائرات بهذا الثقل لتكون أعناقها الخاضعة كناية عن المحمول على ظهورها.

يعمل أسلوب التمني في البيتين ٩، ١٠ باتجاهين: الأول اتجاه الراحلين، يقوم على تمني حصول مانع ما يمنع وقوع الرحيل، والثاني باتجاه الشاعر الذي يلتفت إلى نفسه، مبيناً وقع الرحيل عليها، وهو التفات ينطلق معه صوت الشاعر، عبر ضمير المتكلم، للإنتقال إلى محور جديد في النص، بما يعقده من حوار مع عاذل مفترض في الأبيات ١١ - ١٣ وصولاً إلى البيت ١٤ الذي يؤذن بانقلاب الخطاب إلى المباشرة، انطلاقاً من عبارة (والدنيا مقلبة):

والدهر لونان والدنيا مقلّبة
الآن يعلم قلب كيف يرتدع

إذ تغطي أبيات المحور الثاني مظاهر من هذا الإنقلاب الذي حصل بعد وفاة

الرسول ﷺ.

هذي (قضايا رسول الله) مهملة
غدراً وشمل (رسول الله) منصدع

حيث يتكشف العرض في الأبيات اللاحقة عن موقفين متقابلين:

الأول: موقف الناس بعد وفاة رسول الله ﷺ.

الثاني: موقف آل الرسول وما وقع عليهم من ظلم وحيف.

وقد تجسدت أفعال الناس في الصنف الأول في:

١- الغدر.
٢- الخيانة.
٣- نقض ميثاق النبي ﷺ.
٤- الوقوف مع العدو.
٥- تضييع العهد المبرم في بيعة الغدير.
٦- نقض الإيمان المغلظة.
٧- المكر والخديعة.
٨- اقتناص العاجل من الدنيا.

أما أفعال آل الرسول ﷺ فقد تجسدت بعبارة موجزة هي: ضيموا بعده وما رعوا، وقد تجسد هذان الموقفان في الأبيات ١٥-٢٢.

ينشيء البيت ٢٣ حواراً مفترضاً:

وقائل لي (علي) كان وارثه
بالنص منه فهل أعطوه أم منعوا؟

لينطلق من تأكيد التسليم بالنص على وراثة الإمام علي عليه السلام لرسول الله ﷺ وهي القضية موضع الجدل في القصيدة، لينصب السؤال على الإعطاء أم المنع. ومن الطبيعي أن يكون الجواب متوافقاً مع الوقائع التاريخية المعروفة، أي واقع المنع المتحقق في الأبيات السابقة، لذلك يكون إيراد السؤال هنا سبيلاً لفتح مختلف محاور القضية التي يعرضها البيت ٢٤:

فقلت: كانت هنات لست أذكرها
يجزي بها الله أقواماً بما صنعوا

بأسلوب يكتنفه الإجمال ويتجنب التصريح لأسباب عديدة، مفهومة لدى المتلقي، وتتولى الأبيات ٢٥- ٢٨ الإشارة إلى هؤلاء الذين منعوا آل الرسول ﷺ حقهم في الوراثة، مكتفياً بذكر ضمير الجمع، ومن دون الحاجة إلى التصريح بالأسماء: إذا سميتهم عرفوا، متنقلاً إلى إثبات صفاتهم من حيث أنهم منكروا حق أهل بيت النبوة: لهم وجوه من الشحناء تمتقع، توافقوا وقناة الدين مائلة، فلاحوا فيه واقترعوا. ويظهر هنا أثر بناء البيت على الطباق ليستفيد منه في إظهار سمات الافتراق والخلاف القائمة بين الموقفين المشار إليهما أعلاه، وتعميق إدراك أبعاده، وذلك انسجاماً مع البناء الكلي القائم أساساً على وجود التناقض

بين الموقفين الفاعلين في النص.

يوجز البيت ٢٧ طبيعة المؤامرة، والخطوات التي أدت إلى اغتصاب حق آل البيت، وترسيخ هذا الاغتصاب بالتتابع والتوافق بين الأطراف التي قامت بذلك الفعل:

أطاع أولهم في الغدر ثانيهم
وجاء ثالثهم يقفو ويتبع

ولا شك في أن الأرقام: الأول، والثاني، والثالث واضحة في دلالتها التاريخية.

وتنحو الأبيات ٢٨ ـ ٣٥ منحى حجاجياً، فكرياً، واضحاً يكشف عن طبيعة التفكير المنطقي الذي تخلل الشعر إذ اختلط بالسياسة بفعل تأثيرات عديدة.

ففي البيت ٢٨ مظاهر وعلامات الإسلوب الحجاجي: قفوا على نظر، في الحق نفرضه، العقل، يفصل، المحجوج، ينقطع. وهي تعبيرات تنتمي جميعاً إلى قاموس النظر العقلي والحجاج الفكري نظمت بأسلوب كلامي واضح.

يعرض البيت ٢٩ الحجة بطريق التساؤل: بأي حكم؟ مقتنصاً زاوية حرجة بالنسبة للخصوم، هي قوة صلة آل البيت بالنبي ﷺ قياساً بالصحابة، ويحاول أن يعمق تأثير الفكرة بالاستعانة بعرض واقع تاريخي مُر، قام على أساس مفارقة غريبة، هو التفريق بين النبي وآل بيته حتى بعد موته، إذ منع الصحابة دفن بضعة نبيه إلى جنبه، في حين أباحوا لأنفسهم هذا الحق، وهنا يتحقق مفهوم (الإنقلاب) في قوله: (والدنيا مقلّبه) إذ استحوذ الصحابة على حق الانتساب للنبي ﷺ مغتصبين هذا الحق من بنيه وآل بيته، مع أنهم تبع له بالصحابة لا بالقرابة التي هي حق آل البيت وحدهم لا يشركهم فيه أحد.

ويتكفل البيت ٣١ بتفتيت حجج الصحابة، والمنظّرين لدعواهم، ولاسيما حجة (الإجماع) التي ادعاها هؤلاء، والشطر الثاني يتكفل وحده باسقاط هذه الحجة لعدم الاتفاق، وعدم تكامل نصاب الاجتماع بامتناع (العباس) عم النبي ﷺ مع غياب الحرية لتدحض هذه الحجة مع إبعاد علي عليه السلام وهي الحجة التي ادعتها قريش في حكمها للعرب أي حجة القرابة (القرشية) فإن هي كانت الحجة الراجحة فالأوْلى بها (علي)، لذا يكون هذا الأمر الذي عقدوه بغياب أهل بيته، إنما هو خلف لأمر النبي، قائم على أساس واهٍ من تلفيق الأخبار، واصطناعها. لذا يسقط هذا الأمر جميعاً، وهي النتيجة التي أراد الوصول إليها هذا الحجاج العقلي المعروض شعراً، وهي تتعزز بالتذكير بعهد الولاية المقصود في الغدير، وإنكار الناس له إنكاراً قائماً على الخيانة والغدر.

ينتقل البيت بالخطاب إلى أمير المؤمنين عليه السلام باستعمال (يا) النداء، وهو خطاب يستمر حتى البيت ٤١ مؤكداً ما سبق عرضه من حيث قيام هذا الإنكار على خيانة الرسول ﷺ وعهده لعلي، ومقابلة الإمام عليه السلام تلك الخيانة بالصبر حفظاً لأوامر الله بعد النبي ﷺ وهو ما ستظهر نتائجة في يوم الحشر حين يحصد كل ما زرع.

يبدأ البيت ٤٢ بنقل ضمير الخطاب إلى المتكلم، وهو خطاب فيه سمة الفخر بالنفس حين ينسب إليها صفة الجهاد في الله وآل رسوله ﷺ والدعوة لهم قولاً بعد أن فاته أوان السيف، مصرحاً في البيت ٤٤ بكريم نسبه في (فارس) الذي يتعزز باقترانه بدين آل محمد ﷺ متمثلاً بصحابي جليل هو سلمان الفارسي المحمدي رضي الله عنه ■

قصة قصيرة:

حكاية مؤمن

ما إن ركب مؤمن السيارة حتى أوجس في نفسه خيفة مما سيواجهه من متاعب في الطريق، فهو يعرف تماماً أن أصحاب النفوس المريضة يتصيدون على قارعة الطريق، لكنه عزم على الذهاب إلى أهله إذ لابد من العودة إليهم لأمر يتوجب حضوره.

انطلقت السيارة بعد أن اكتمل عدد الركاب وجعلت تقطع المسافات بين صخب العاصمة وزحمة التنقل فيها، وبين أرتال من الجيش وما أن وصلت إلى (المنطقة) حتى برز جمع من الرجال المقنعين المدججين بالسلاح، أوقفوا السيارة عنوة وأنزلوا ركابها، يسألون هذا ويستفسرون من ذاك، وقد بدت نبرات الحقد واضحة في كلامهم، وما أن وصلوا إلى مؤمن حتى أسقطوه أرضاً ثم أمسكوا بقميصة بشدة ودار بينهم هذا الحوار:

أحدهم: ما اسمك؟

فأجاب: مؤمن حسين.

فنادى كبيرهم: ويلكم فتشوه وتأكدوا من هويته. فأخذوا يفتشونه حتى عثروا على هويته، فنادى أحدهم: نعم سيدي، إن اسمه مؤمن حسين علي وإنه من أهالي المدينة، وإذا بسيده ينادي: إنها الغنيمة.. إنه شيعي. فقال لسفيان: أحضره.

فنادى سفيان بأعلى صوته منبهاً الآخرين: دعوا الركاب وهلّموا إلي، فهذا الصيد قد حضر، وعلينا الأمر قد اختصر.

فجاؤوا إليه بعد أن أطلقوا سراح الباقين وحملوا مؤمناً الذي يئس من الحياة وأسلم أمره للواحد القهّار، ثم ألقوه أمام أميرهم ذلك الشخص المتين ذي اللحية الكثة والوجه الأسود، فلما رآه ضحك وقال: إنك شيعي ألست كذلك؟ فقال مؤمن مفتخراً: نعم، ولكنني لست بشيعي، فأنا موالي والشيعي أعلى مرتبة مني، إنه من الذين وصفهم الإمام الصادق عليه السلام: خمص البطون شعث الوجوه يذكرون الله قياماً وقعوداً تتجافى جنوبهم عن المضاجع لا يهجعون في الليل ولا يفترون في النهار، فركله سفيان برجله قائلاً: اسكت، فإن الأمير إذا سأل لا يجيب المسؤول بأكثر من سؤاله.

فقال الأمير: أتعلم أني قتلت مائة مثلك، أربطهم بالحبل ثم أذبحهم طوراً بسيفي وآخر بمديتي، إنكم كفار والكافر يجب أن يقتل. وهنا أجاب مؤمن: وكيف نكون كفار ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟! فقال الأمير: نعم، إن هذه الشهادة لا تكفي، إنكم تحبون علي بن أبي طالب أكثر من حبكم لله. فأجابه مؤمن: وكيف عرفت ذلك؟ فناداه أحدهم: اصمت يا كافر، إنك مخيّر بين أن تتبرأ من عليّ وتسبه أو تقتل كما قتلنا الذين من قبلك. فأجاب مؤمن: وكيف أتبرأ منه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله فيه: إن علياً مني بمنزلة هارون من موسى، أليس محمد نبيكم، وتدينون بالطاعة إليه، أليس هذا مثبت في كتب الصحاح وقد تواتر عند العامّة والخاصّة؟! فأجابه الأمير: لا شك أنك سترى ذلك قريباً عندما تذهب إلى الجحيم، هيا اقتلوه.. لا أعطوني ذلك السيف كي أمتع ناظري بمشاهدة هذا الأحمق يرفس برجليه ورأسه بيدي يروي الأرض من دمه وفي هذه الأثناء مرّت سيارة تحمل علامة كربلاء فنادى سفيان: أيها الأمير اترك هذا الأحمق، لقد جاءنا بدلاً منه عشرة وكلهم من هؤلاء الكفار. فنادى أميرهم قائلاً: دعوه لشأنه ولنهتم بموضوع العشرة فقتل العشرة يعني عندي إمارة فوق إمارة.

حيدر المالكي

منظومة الأخلاق عند أهل البيت(ع)
وأثرها في التغيير الاجتماعي

• د. نعمة محمد إبراهيم

ينابيع الحمد لله رب العالمين والصلاة على سيد الأنبياء محمد وعلى آله الطاهرين. إن أحد منا لا ينكر بطبيعة الحال أن لدى الإنسان حاجات عضوية يسعى دائماً نحو ملئها، مثله في ذلك كمثل غيره من بني الكائنات في عالم الممكنات، ولكن للإنسان ميزة أساسية هي باستطاعته أن يمزج الواقع بالمثل الأعلى، ويجمع الغريزة والأخلاق. والإنسان هو الكائن الوحيد الذي يمكنه أن يستبدل بالنظام الحيوي للحاجات، نظاماً أخلاقياً للقيم.

ولهذا يصبح الإنسان المخلوق الوحيد الذي لا يقنع دائماً بما هو كائن، بل يحاول تجاوز الواقع، من أجل الاتجاه نحو ما ينبغي أن يكون.

فالحياة الإنسانية الصحيحة إنما هي تتمثل بكل حدَّتها في شعور الموجود البشري بذلك التعارض القوي القائم بين الكائن الواقعي بعدم كماله وضعفه، وكان مثالي بكماله وسموه. ومن المعلوم إن الإنسان بعرف القيم ويعمل من أجل المثل العليا. لأن ذلك أمر ضروري في حياته. وأهم موضوع في فلسفة القيم هو موضوع الأخلاق. وقبل الوقوف على أبحاث وأقوال أهل البيت(عليهم السلام) لابد من تعريف علم الأخلاق، ومن ثم وصايا أهل بيت الرحمة لنا لكي نصلح أنفسنا في الدنيا، وما يترتب من آثار في بناء المجتمع الصالح عند التمسك بتلك الوصايا النبيلة.

تعريف علم ألأخلاق

هو العلم الذي يبحث في قيمة الخير فيحاول أن يساعد على توجيه سلوكنا بتحديده لمعنى الشر، وتمييزه لمعايير الفضيلة والرذيلة وشرحه لمفاهيم الضمير والواجب والسعادة والمسؤولية الأخلاقية والجزاء.

ولهذا فإن أفضل الطرق لمعرفة الخير يوجب علينا الرجوع إلى القرآن الكريم، وما قال وقام به الرسول الكريم ﷺ وأقوال أئمتنا المعصومين عليهم السلام كونهم امتداد لنبوة ويمثلون بحق الثقل الثاني بعد الثقل الأول المتمثل بالقرآن الكريم، حيث لن يفترق الأول عن الثاني أبداً.

وأهل البيت عليهم السلام هم الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة في الاستقامة، وفي الصبر، وحسن الخلق. قال تعالى بحقهم: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)[1] ولهذا تحمل أهل البيت الدور الأكبر لبناء المجتمع الإسلامي، ومن أجل ذلك قدموا أنفسهم الطاهرة قرباناً لله[2].

أهمية علم الأخلاق

أفضل طريق لمعرفة أهمية هذا العلم الرجوع إلى القرآن الكريم. وهناك آيات قرآنية تحث على الأخلاق الحسنة منها قوله تعالى: (ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها)[3] والقرآن الكريم اهتم في هذه الايات المباركة بأخلاق الإنسان، وكانت للإنسان دعوة صريحة للتمسك بالأخلاق الحسنة التي تطهّر النفس، وتحذره من الأخلاق السيئة وتحذره عن الإبتعاد عنها. والله تعالى هيأ للإنسان ما يحتاج إليه في هذا الطريق حيث زوده بالحجة الباطنة وهي العقل الباطن أو الفطرة الموجودة مع الإنسان منذ بداية خلقه، ثم بيّن له من خلال هذا العقل ما هو العمل الحسن وما هو العمل القبيح، كما ألهمه في فطرته ما هي التقوى وما هو الفجور.

كما زوده أيضاً بالحجة الظاهرة وهي الرسل والأنبياء والأئمة والعلماء الصالحون، قال الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام: (يا هشام إن لله حجتين، حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة، وأما الباطنة فالعقول)[4].

قال تعالى: (رسلاً مبشرين ومنذرين

لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً)[٥]. وأهم مسألة في مبحث علم الأخلاق مسألة النفس الإنسانية، وهذا متفق عليه في الدراسات الفلسفية والعقائدية. لكون علم الأخلاق شغله الشاغل تهذيب النفس من كل عمل قبيح غير صالح، وحثها بالتمسك بالعمل الطيب الصالح. والباري جل شأنه في سورة الشمس أشار في الآية الكريمة: (ونفس وما سواها) إلى مسألة القسم بالمخلوق وهو (ونفس) على القسم الخالق (وما سواها) وهذا التقديم يبين أهمية النفس عنده جل شأنه، ولهذا أصبحت عند الأولياء والعرفاء طريق لمعرفة الله جل شأنه.

قال الإمام علي عليه السلام: (أفضل المعرفة معرفة الإنسان نفسه)[٦].

النفس الإنسانية

إن علمنا لأنفسنا قد يكون أوضح المعلومات، ومن أخفاها في الوقت نفسه، بيد أن علمنا بها واجب على كل إنسان ذي وعي وبصيرة، لأن النفس مصدر سائر العلوم، حتى العلم بالواحد المطلق الله تعالى.

وأما الجهل بها وبأحوالها، وبسياستها، فهو نبع كل ضعف، وكل نقص، وكل خيبة في هذه الحياة وفي اليوم الآخر.

وفوق هذا وذاك، فإن العلم بالنفس سر القوة، والسعادة، والإنسجام مع الحياة، ومن هنا قال الإمام علي عليه السلام: (معرفة النفس أنفع المعارف)، وقال: (غاية المعروف أن يعرف المرء نفسه)، وقال عليه السلام: (أفضل العقل معرفة الإنسان بنفسه، فمن عرف نفسه عقل)[٧].

فإذا ضممنا هذا الكلام إلى قوله تعالى:(وما يعقلها إلا العالمون)[٨]، نعرف أن العلم الذي يوصل الإنسان إلى العقل هو علم الإنسان بنفسه، والعقل يوصل الإنسان إلى الدين، والدين يوصله إلى النعيم الدائم. قال أبو عبد الله الإمام الصادق عليه السلام:(من كان عاقلاً كان له دين، ومن كان له دين دخل الجنة)[٩]

ثم بين الإمام علي عليه السلام الآثار المترتبة على المعرفة بالنفس كما يأتي:

قال عليه السلام: (نال الفوز الأكبر من ظفر معرفة النفس)، (من عرف نفسه جاهدها)، (من عرف نفسه عرف ربه)، (من عرف نفسه كان لغيره أعرف)[١٠]

وأما الآثار المترتبة على الجهل بها فهي:

قال عليه السلام: (أعظم الجهل جهل الإنسان أمر نفسه)[١١]، (عجبت لمن يجهل نفسه كيف يعرف ربه)[١٢]، (كفى بالمرء جهلاً أن يجهل نفسه)[١٣]، (من لم يعرف نفسه بَعد عن سبيل النجاة)[١٤].

رغم ذلك ما دامت النفس أساس كل قوة وكل ضعف يبدو أن للإنسان، وهي مبعث كل صلاح أو فساد يطرآن على ذلك الإنسان. أصبحت تتقدم على كل علم، كما إن الجهل يذهب بثمار كل معرفة أو علم. أو ليست النفس مبعث وملتقى الإيحاء بالرفعة أو الضعة، والاقتدار أو العجز، الخير أو الشر، والإيمان أو الكفر، في وقت واحد وفي شخصية واحدة؟ وهل تطيب للإنسان حياة إذا فقدت نفسه إلفها وانسجامها، فاضطربت وتلبلبت؟ وهل يستقر الإنسان إذا مرضت نفسه؟ وهل يصفو له عيش، إلا إذا صحت وتوازنت واطمأنت؟!.

حقاً إن بين النفس والجسد، لتقابل

وتكافؤ في التأثير والتأثر المتبادلين، قوة وضعفاً، صحة ومرضاً، ولكن أشدها سيطرة وأعظمها تأثيراً في الحالين، هي النفس دون الجسد. فإذا انسجما ـ النفس والجسد ـ واتحدا، نظم كل شيء، وأصبح الإنسان في صحة تامة، وحسنت الأخلاق، وإن أصبح فيها اضطراباً وخللاً، اضطرب كل شيء في الحياة. ومن هنا ذكر المحققون من علمائنا أن المعرفة الأنفسية أنفع من كل معرفة، كي تعرف دور الجسد قال تعالى: (وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون)[١٥] وعندما يعرف الإنسان لابد وأن يعرف دوره في هذه الحياة، ويعرف رسالته المكلف بها من قبل صاحب العزة خالقه، الذي أغمر عباده الصالحين بالعبادة له لا لغيره، كونه جل شأنه يستحق العبادة في هذا الوجود.

أخلاق أهل البيت ودورهم في بناء المجتمع السليم

بما أن أهل العترة الطاهرة الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة في الاستقامة، والصبر، وسعة الصدر، وحسن الخلق، والمنهج الصحيح في الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، والجهاد في سبيله بالنفس والمال، والاستعداد للتضحية من أجل العقيدة الإسلامية، وإعلاء كلمة الحق في كل عصر وفي كل زمان، أصبح كل فرد منهم قائداً ومعلّماً لكل مؤمن ثائر من أجل نصرة المظلومين.

إن مسيرة الأئمة الأطهار ووصاياهم وتحذيراتهم تتلخص في الاستقامة وعدم الوقوع بحفر الإنحراف، ولهذا كانوا عليهم السلام مدرسة عظيمة لكل الصالحين.

من تحذيراتهم نأخذ مثلاً الإمام محمد الباقر عليه السلام فقال محذراً: (الظلم ثلاثة: ظلم يغفره الله عز وجل، وظلم لا يغفره، وظلم لا يدعه، فأما الظلم الذي لا يغفره فالشرك بالله عز وجل، وأما الظلم الذي يغفره فظلم الرجل نفسه فيما بينه وبين الله عز وجل، وأما الظلم الذي لا يدعه فالمداينة بين العباد)[١٦].

وهذا التقسيم الذي أورده الإمام جامع مانع، إذ لا يخلو أن يكون الظلم إحدى هذه الثلاث، فقد يغفره ظلم الرجل لنفسه بالتوبة، والشرك لا يغفره الله، وظلم الإنسان لأخيه الإنسان لا يتركه الله. إذن يجب الابتعاد عن الشرك، وكذلك الابتعاد عن الظلم كونهما عملين شيطانيين المقر بهما يحاسب يوم القيامة.

وقد دفع الإمام الباقر عليه السلام بالإنسان نحو القصد والاستقامة والمروءة، فهو يقول لولده: (يا بني إذا أنعم الله عليك بنعمة، فقل: الحمد لله، وإذا حزنك أمر، فقل: لا حول إلا بالله، وإذا أبطأ عليك الرزق، فقل: أستغفر الله)[١٧].

وهذه التوعية للذهن الإنساني الوادع، يسخرها الإمام بهدوء، دون ضجة أو دوي، وإنما هو النغم الحالم، والأزيز الصادح في مضامين قرآنية صدح بها القرآن الكريم، وهو أصل التشريع.

وأهل البيت عليهم السلام أرادوا من المؤمن الذي آمن برسالة الإسلام أن يكون إنموذجاً طيباً في كل صفة أخلاقية حميدة، تدخل في باب الفضيلة أو تنطوي تحت سلم قواعد الشريعة المحمدية. وكان هدفهم عليهم السلام تنزيه كل فرد منا

عن المعايب، ويبتعد عن النقائص، بقول الإمام الباقر عليه السلام لا يؤمن رجل فيه الشح والحسد والجبن، ولا يكون المؤمن جباناً ولا حريصاً ولا شحيحاً)[١٨].

ولهذا فإن المؤمن بآل البيت بأنهم أهل حق وإيمان كامل يجب عليه تطبيق منهجهم عملاً، وسلك سلوكهم لأنهم عليهم السلام يريدون من أتباعهم أن يكونوا دعاة للحق، وأدلاّء على الخير والرشاد، ويرون إن الدعوة بالعمل أبلغ من الدعوة باللسان: (كونوا دعاة للناس بالخير بغير ألسنتكم، ليروا منكم الاجتهاد والصدق والورع)[١٩].

وشيعة آل محمد أهل الصدق والأمانة، وأصحاب التقوى والطاعة التامة لله جل شأنه، وهم الذين يعرفون بالتواضع، والتخشع، وكثرة ذكر الله، والصوم، والصلاة، والبر بالوالدين والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام، وتلاوة القرآن، وكف الألسن عن الناس إلا من خير.

يقول الإمام الباقر عليه السلام لجابر الجعفي(رض): (يا جابر، والله ما نتقرب إلى الله تبارك وتعالى إلا بالطاعة، وما معنا براءة من النار، ولا حجة على الله لأحد من حجة. من كان لله مطيعاً فهو لنا ولي، ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدو، وما تُنال ولايتنا إلا بالعمل والورع)[٢٠].

بناء المجتمع الإسلامي المؤمن (المحب لآل البيت)

الغاية الأساسية لرسالة آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله هي تهذيب المسلمين، وتربيتهم تربية صالحة كما يريدها الله تعالى ورسوله الكريم محمد صلى الله عليه وآله منهم، فكانوا مع كل من يواليهم ويأتمنونه على سرهم يبذلون قصارى جهدهم في تعليمه الأحكام الشرعية، وتلقينه المعارف المحمدية، ويعرفونه ما له وما عليه.

ولا يعتبرون الشيعي شيعياً حقيقياً إلا إذا كان مطيعاً لأمر الباري(جل شأنه) مجانباً لهواه، قد أخذ بتعاليمهم وإرشاداتهم. قال الإمام الباقر عليه السلام: (لا تتهاون بصلاتك، فإن الرسول صلى الله عليه وآله قال عند وفاته: ليس مني من استخف بصلاته)[٢١].

والأئمة الأطهار عليهم السلام أكدوا لنا بأن حبّنا من قبل أهل شيعتنا وحده غير كاف لنجاتهم يوم القيامة، كما قد يمني نفسة بعض من يسكن إلى الدعة والشهوات، ويلتمس عذراً في التمرد على طاعة الله تعالى... إنهم لا يعتبرون حبهم وولاءهم منجاة إلا إذا اقترن بالأعمال الصالحة، وتحلى الموالي لهم بأخلاق الإسلام العظيمة، مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإبتعاد عن الكبرياء واصطناع العظمة، والإلتزام بالمروءة في حياته، وكذلك الابتعاد عن ظلم الناس وحسن المجالسة مع الآخرين.

قال الإمام الباقر عليه السلام: (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من خلق الله(تعالى)، فمن نصرهما أعزه الله، ومن خذلهما خذله الله عزّ وجلّ)[٢٢].

وكذلك حمل الباقر عليه السلام على الكبرياء فقال عليه السلام: (والله، المتكبر ينازع الله رداءه)[٢٣].

وهذه القيم الإنسانية العليا التي أمرت من قبل الأئمة الأطهار لو تمسك بها أي مجتمع من المجتمعات الإسلامية لكان بحق من أهالي المدينة الفاضلة السعيدة

في حياتها.

نعم نحن بحاجة ماسة لتطبيق هذه القيم الأخلاقية في مجتمعنا الإسلامي المعاصر، لأننا أصبحنا في حالة فوضى وإرباك، لتأثير التيارات والاتجاهات النفعية... أصحاب الفكر المادي الذين لا يؤمنون بالكتاب الذي سينشر ويكشف أعمال كل فرد، ذلك هو يوم القيامة. (إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً)[٢٤].

مدرسة آل البيت أكدت على ذلك اليوم، وخصصت منهجاً دقيقاً يعلم الناس لكي ينجو من العذاب في هذا اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون.

وكذلك نجد في مدرسة محمد ﷺ ومدرسة علي وولده المعصومين توكيداً على العلم. قال الرسول الكريم: (طلب العلم فريضة على كل مسلم)[٢٥]. وهناك أهداف تربوية لأهمية العلم.

منها: يجب على المسلم أن يعرف قيمة العلم، لأن القرآن الكريم والسنة النبوية أكدت على أهمية العلم. قال تعالى: (إقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق إقرأ وربك الأكرم)[٢٦]. وقال تعالى: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير)[٢٧]. وقال سبحانه: (وقل ربي زدني علما).

وهناك أهداف سلوكية لنشر العلم من قبل أئمتنا الأطهار منها:

١ـ سوف يعلم الإنسان المسلم أن للعلم أهمية كبيرة في علم الأخلاق، لأن العالم أو طالب العلم يجب أن يكون أسوة وقدوة من الناحية الأخلاقية. وإثبات أن إيقاظ وتربية الضمير الأخلاقي والسير على وفق معايير أساسية في العلاقات مع الآخرين هما من الأهداف الأساسية التربوية للتعليم، وذلك لا يتم إلا عن طريق العلم. وينتظر من المتعلمين والعلماء الذين تعلموا من مدرسة آل البيت أن يكونوا قدوة في المجال الأخلاقي، وأن يفرقوا العلم بالفهم، وأن يكون لهم سيطرة متواصلة على عواطفهم، يقول الإمام علي عليه السلام: (ألا لا خير في علم ليس فيه تفهم، ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبر، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفكر). وجاء في الروايات المشهورة: (إن من علامات الفقه الحلم والصمت)[٢٨]. والحلم والصمت صفات عظيمة تدخل في طلب الأخلاق الإسلامية، ولهذا جعلتا من امتيازات صاحب العلم، إذ كظم الغيظ، والسكوت في مواضع السكوت صفتان لا يدرك بعدهما إلا العلماء، ولا يعرف عنهما إلا الحكماء. وأهم شرائط تحصيل العلوم الأخلاقية هي:

أ ـ الإخلاص.

ب ـ التقوى.

قال تعالى: (واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم)[٢٩]. وهناك فوائد أخرى للعلم عندما ينشر في مجتمعنا المعاصر منها:

أ ـ معرفة آداب المتعلمين.

ب ـ العلم يبين أهمية الصبر كونه أساس التعليم والعلم.

ج ـ العلم يجعل طالب العلم متواضعاً لأبناء مجتمعه ولمعلمه.

د ـ العلم ينمي الشعور بالفخر والاعتزاز والشرف والرفعة.

هـ ـ طالب العلم يؤمن بالاجتهاد في التنسيق لكي يحصل على العلم العالي.

وهناك فوائد كثيرة أخرى أشار إليها أئمتنا الأطهار في وصاياهم لنا[٣٠]. فهناك وصايا كثيرة من أئمتنا عليهم السلام وتتضمن اجتناب الخمر وتحريمه، وتحدّث الإمام الصادق عليه السلام عن تحريم الخمر، وما يترتب عليه من آثار عند الله من خلال قوله تعالى: (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير...)[٣١]. وفي الحديث النبوي قال الرسول محمد صلى الله عليه وآله: (اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث)[٣٢]، وقال صلى الله عليه وآله: (إن الخمر رأس كل إثم)[٣٣]، وقال صلى الله عليه وآله: (لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها)[٣٤].

وبما أن شرب الخمر يضعف الإرادة حتى بعد الصحو ويقتل روح التصميم ويسهل من ارتكاب الفاحشة واقتراف الجرائم والذنوب، فهو تارة يهدم أسرته وهو فاقد الأهلية، لأنه لا يعي ماذا يفعل، ويعتدي على حقوق الناس، وزيادة على ما تقدم فإن شربه قد تولد عند البعض عملية الإنتحار، ولهذا خطر كبير على تفكيك المجتمع.

كما أكد الأئمة الأطهار عليهم السلام على الابتعاد من ممارسة الربا، لأنه محرم عند الله وهادم للمجتمع، والتحريم من خلال قوله تعالى: (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا)[٣٥].

قال الإمام الصادق عليه السلام: (إنما شدد على تحريم الربا لئلا يمتنع الناس من اصطناع المعروف قرضاً أو رفداً)[٣٦]. والقروض بين المؤمنين هو البناء الصحيح للمجتمع لأن المحتاج عندما يجد حاجته عند أخيه المؤمن ويقوم الأخير بقضائها سيكون كل فرد منا مستقر البال ومطمئن نفسياً. وهذا هو المجتمع المتكامل أو الصالح.

وهناك وصية من أهل البيت عليهم السلام للصلاة في المساجد امتثالاً لقول جدهم الرسول الكريم صلى الله عليه وآله: (من مشى إلى مسجد من مساجد الله فله بكل خطوة خطاها حتى يرجع إلى منزله عشرة حسنات ويمحي عنه عشر سيئات ويرفع له عشر درجات)[٣٧].

والتأكيد الإسلامي للصلاة في المسجد له أهداف سلوكية أبرزها: إن المسجد هو مركز للتعليم ورفع للوعي الاجتماعي لبناء أواصر المحبة بين الناس. كذلك المسجد يعتبر مدرسة تربوية متكاملة ■

---

(١) سورة الأحزاب ٢٢: الآية ٣٣.
(٢) الشهيد آية الله السيد محمد باقر الحكيم، دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة ج١، ط٢ ١٤٢٤، ص١٠.
(٣) سورة الشمس الآيات: ٧، ٨، ٩، ١٠.
(٤) أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الرازي البغدادي (الكليني ت٣٢٨هـ)، أصول الكافي، ج١، ص١٦.
(٥) سورة النساء ٤: أهل الآية ١٦٥.
(٦) تحرر الحكم ودرر الكلم، دار القاريء، بيروت، ص١٥٢.
(٧) غرر الحكم ودرر الكلم، ص١٦٤.
(٨) سورة العنكبوت ٢٩: الآية ٤٣.
(٩) أصول الكافي، ج١، ص١١.
(١٠) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٤٣٦.
(١١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص١٥٢.
(١٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٢٩.
(١٣) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٦٤.
(١٤) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٤٥٠.

(١٥) سورة الذاريات ٥١: الآية ٢١.
(١٦) الصدوق، كتاب الخصال، بيروت، ١٣٨٩هـ، ج١ ص١٢٤.
(١٧) الاربلي (ت ٦٩٢هـ)، كشف الغمة في معرفة الأئمة، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٦٣م، ج٢ ص٣٩٣.
(١٨) الصدوق، الخصال، ١/ ٨٣.
(١٩) الكافي، ٢/ ١٤٠.
(٢٠) الكافي، ٢/ ٦٠.
(٢١) الكافي، ٣/ ٢٦٩.
(٢٢) بن شعبة الحسن الحراني الحلبي، تحفة العقول عن آل الرسول، تحقيق محمد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٨٠هـ، ص٢٩٤.
(٢٣) سورة الإسراء، الآية: ١٤.
(٢٤) سنن ابن ماجه ج١ ص٨١، وكذلك رواه الكليني في الكافي في ج١ ص٣٠.
(٢٥) سورة العلق: ٩٦، الآيات ١، ٢، ٣.
(٢٦) سورة المجادة، الآية ١١.
(٢٧) سورة طه، من الآيه ١١٤.
(٢٨) الكليني، ١/ ٣٦.
(٢٩) سورة البقرة: ٢، الآية ٢٨٢.
(٣٠) راجع استاذنا الدكتور محمد حسين علي الصغير: الإمام جعفر الصادق زعيم مدرسة أهل البيت، مؤسسة البلاغ، ط١، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م، ص ٣٠٨-٣١٦ كذلك ص٣٤٣-٣٥٧ فيما يخص الأمثال.
(٣١) سورة البقرة، من الآية ٢١٩.
(٣٢) رواه البيهقي في سننه، ج٨ ص٢٨٧.
(٣٣) الطبطبائي، الميزان، ٢/ ١٩٩.
(٣٤) الصدوق، من لا يحضره الفقيه، دار صادر، بيروت، ب. ت، ج٤ ص٨.
(٣٥) سورة البقرة/ من الآية ٢٧٥.
(٣٦) الطبرسي، مجمع البيان.
(٣٧) المجلسي، بحار الأنوار لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء، ط٢، بيروت، ١٩٨٣، ص٣٦٧.

طلب الحلال

عندما ازدادت عائلة الإمام الصادق عليه السلام وأصبح القيام بمهامها ثقيلاً، صمم عليه السلام أن يشتغل بالتجارة، فأعطى إلى مولاه مصادف ألف دينار وقال له: تجهز حتى تسافر إلى مصر. أخذ مصادف رأس المال واشترى به بضاعة لها سوق رائجة عند أهل مصر واتجه إلى هناك مع جماعة من التجار.

عندما بلغ التجار أبواب مصر صادفوا قافلة خارجة منها فسألوا تجارها عن سوق بضاعتهم فأخبروهم بنفاد البضاعة وبحاجة الناس إليها ففرح التجار القادمون إلى مصر واتفقوا أن لا يبيعوا إلا بربح مضاعف. وهكذا دخلوا مصر فرحين لما وجدوا من حاجة الناس لبضاعتهم فلم يبيعوها إلا بما كانوا قد اتفقوا عليه فأوجدوا من جراء ذلك سوقاً سوداء لبضاعتهم.

رجع مصادف إلى المدينة فرحاً بما عاد به من ربح مضاعف، فلما دخل على الإمام الصادق عليه السلام وأعطاه رأس المال مع الربح، سأله الإمام عن كيفية كسب هذا الربح الكثير، فأخبره بما جرى من لقاء القافلة الخارجة من مصر وكيف أنهم علموا بشحة البضاعة وحاجة الناس إليها وكيف أنهم اتفقوا على البيع بالربح المضاعف.

فقال الإمام عليه السلام: سبحان الله تحلفون على قوم مسلمين ألاّ تبيعوهم إلا بربح الدينار ديناراً، ثم أخذ ألف دينار فقط وقال: هذا رأس المال ولا حاجة لنا في الربح، ثم أضاف قائلاً: يا مصادف، مجادلة السيوف أهون من طلب الحلال.

بحار الأنوار ١١: ١٢١

علم السلوك وكيف يتغيّر الشخص

• د. فاضل الميالي

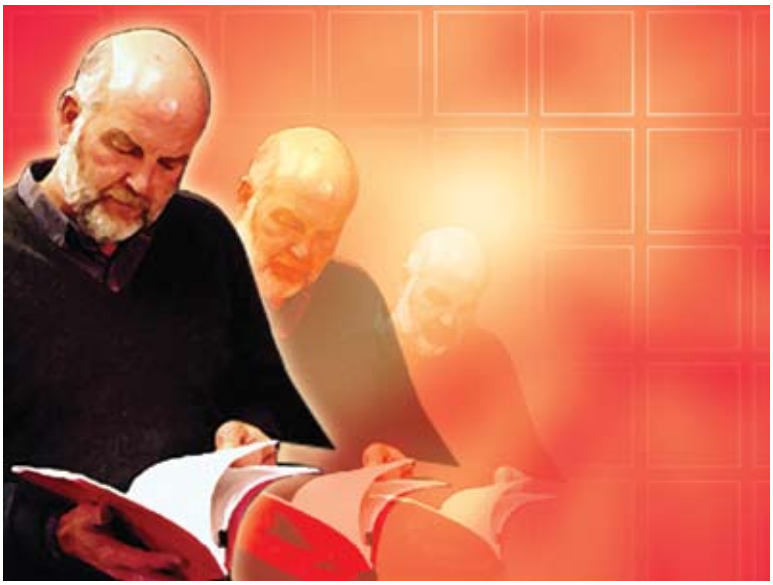

كيفية تغيير السلوك

ينابيع إن الإهتمام بالنفس قديماً، من قبل أرسطو الفيلسوف اليوناني على أنها (كمال أول لجسم طبيعي إلى ذي حياة بالقوة)، اقتبس هذا التعريف واستخدم في فهم النفس من قبل عدد من الفلاسفة المسلمين وذلك لعدم تعارضه مع الدين الإسلامي.

وقد ورد ذكر النفس في ٣٦٧ موضع في القرآن الكريم دون تحديد ماهيتها.

وكذلك في جانب الحديث النبوي الشريف، وقد ورد في عدد من الآيات الكريمة للدلالة على جوهر الإنسان، وفي آيات أخرى تشير إلى الذات الإلهية المقدسة ووردت ألفاظ مثلها للدلالة على الجانب الوجداني.

وفي الفلسفة الإسلامية وسابقاتها عن الفلسفات تفهم النفس كقضية فلسفية، وهكذا فإن علم النفس كان جزءاً من الفلسفة، ولم ينفصل في العصر الحديث، وتحديداً بعد أن استخدمت التجارب في

دراسة بعض الجوانب النفسية، ثم تطور العلم وتشعب إلى عدد من العلوم المختلفة حسب ميدان تطبيق المعرفة النفسية، فكان علم النفس التربوي، وعلم النفس المرضي، والاجتماعي وعلم نفس الشخصية... الخ.

وتنوعت التطبيقات لها حيثما وجد دور للإنسان في مجال معين.

إن الوظيفة الأساسية للمبلغ تتمثل في الإرشاد والنصيحة والموعظة على شكل محاضرات أو خطب... الخ في هذا السياق تحصل عدة عمليات متكاملة في فعلها وهي التعلم، وتغيير الاتجاه، وفي نهاية المطاف السلوك كواقع فعلي يؤلف الهدف الذي يسعى إلى تحقيقه المبلغ أو المرشد الإسلامي.

وكتوطئة للموضوع لابد من الوقوف على المفاهيم السالفة: ماهو التعلم؟ وكيف يحدث تغيير الاتجاه؟ والسؤال الأكثر طلباً كيف يحدث تغيير السلوك؟

إن التعلم يدخل في كل نشاط بشري، وهو عملية أساسية في الحياة يسير معها ويمتد بامتدادها، ولم يتقدم المجتمع الإنساني إلا نتيجة تمكن كل جيل من الإستفادة عن طريق التعلم من خبرات ومستحدثات الأجيال التي سبقته، وبما سيضيفه النحو إلى الحصيلة المستمرة للمعرفة الإنسانية. وبالإمكان تصنيف التعلم إلى مقصود وغير مقصود وهذا الأخير يشكل الجانب أو الحيز الأكبر في مسار الحياة الإنسانية، وكمفهوم فرضي فإنه عملية معقدة تنطوي على عدد من العمليات مثل الإنتباه والإدراك والتفكير بأنواعه المختلفة والتذكير وفهم الأفكار والعلاقات، وهي تتم داخل الفرد (الشخص) ولذلك، فهو تكوين فرضي يستدل على حدوثه من خلال الاثار والنتائج المترتبة، والتي تتمثل في تغيير السلوك، (أو تعديل الاستجابات التي تؤلف السلوك) وظهور استجابة جديدة على النحو الإيجابي، أي حصول تقدم نحو الأحسن أو الأفضل أو الملائم للسلوك، الذي يتصف بالثبات بمعنى أنه تغير مستديم.

ويمكن القول: إن التعلم هو عملية عقلية تحدث داخل الشخص وتظهر في صورة تغيير تقدمي (مرغوب) دائم نسبياً في سلوكه (أو في ضمن إمكانية السلوك).

أما الاتجاه فإنه استجابة وجدانية إيجابية أو سلبية نحو موضوع أو فكرة معينة، يتحدد بنظام ثابت نسبياً من المعتقدات والتقييمات الإيجابية أو السلبية نحو موضوع معين، الذي يدفع الضرر إلى الإستجابة بإسلوب تفصيلي، فهو ينطوي على شحنة انفعالية أما بالقبول والإيجاب، أو بالرفض والسلب مروراً بنقطة وسطى تمثل الحياد، وغالباً ما يكون موضوع الاتجاه جدلياً واجتماعياً، وهو مكتسب وهكذا فإن الاتجاهات تتباين بحسب تباين الخبرات التي يمر بها الفرد، ولذا تجد الناس تتباين على وفق التنوع الواسع المدى في اتجاهاتهم، وبالإمكان تغييرها أو تعديلها وإحلال اتجاهات أخرى بدلها، وهكذا يمكن القول: إن العمل الذي ينطوي على تربية أول ما يستهدفه هو تكوين الإتجاهات المرغوبة، والتغيير السلوكي المقبول لدى الفرد.

فكيف يحدث مثل هذا التغيير؟

إن هذا النوع من التغير لا يحدث بسهولة لأنه يطال تنظيماً ثابتاً راسخاً في ذات الشخص يتحدد بنظرته التقييمية لموضوع معين وبإعتقاد متجذر، فالتغيير حتى يحصل يقتضي استبدال قناع.. أو اقتناع ذلك الشخص بالفكرة التي يتبناها، ومن دون حصول ذلك يصعب إن لم يكن مستحيلاً حصول تغيير الاتجاه وتغيير تلك القناعة إما بشكل مباشر أو غير مباشر، والأول يحصل بالبرامج التعليمة المقصودة تنطوي على مضمون يدور حول فكرة معينة تشكل نقطة إرتكاز قناعة الفرد، يتضح فيه بتحليل واضح قائم على أسس منطقية وموضوعية مدعمة بالحجج والبراهين الجديرة بالثقة والمقبولية والصحة في الاطار الجديد للفكرة، والذي قد يقتضي استبدالها بفكرة أخرى، ومما يسهم بفعالية توافر عدد من الشروط والخصائص سواء في تعدد الخبرة التعليمية (وهو المحاضر أو المرشد أو المبلغ.....الخ) الذي يعد مصدر للرسالة الإقناعية اللازمة لإحداث التغيير، أو عند المتلقي أو المستمعين الذين هم ميدان حدوث التغيير المراد.

وهكذا فإن مصدر الرسالة إذا توفرت عنده ميزات من قبيل طول الخبرة والدرجة العلمية والعدالة والسمعة العلمية تجعله أكثر تأثيراً في الشخص الآخر، فضلاً عن وجود المهارات السلوكية في التعامل مع الآخرين التي تعمل على جذبهم أو لفت انتباههم، فهناك خطوات أساسية لا بد من حصولها لكي يحدث التغير السلوكي المطلوب تشمل فعالية المضمون الفكري من حجته ودلالته ووضوحه، والتحليل المنطقي فيه والتأثير الذي يحصل عند التشخيص الآخر ومن ثم تبدل المدركات العقلية المتصلة بقضية معينة، بعدها يأتي تغيير السلوك، وهكذا فإن التغيير يجب أن ينبع من ذات الفرد (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) ■

أبو حازم الصوفي

خرج أبو حازم الصوفي في بعض أيام المواقف، وإذا بامرأة جميلة حاسرة عن وجهها قد فتنت الناس بحسنها، فقال لها: يا هذه إنك بمشعر حرام، وقد شغلتِ الناسَ عن مناسكهم، فاتقي الله واستتري. فقالت: يا أبا حازم، إني من اللائي قال فيهنّ الشاعر:

أَماطتْ كِساء الخزّ عَن حُرّ وَجهها
وأَرخَتْ عَلى المتنَين بُرداً مُهَلهَلا
مِنَ اللّاءِ لم يَحجُجْنَ يَبغِينَ حِسْبةً
وَلكن لِيقتُلنَ البَريءَ المغَفّلا

قال أبو حازم لأصحابه: تعالوا ندعو الله لهذه الصورة الحسنة لا يعذبها الله بالنار، فجعل يدعو وأصحابه يؤمّنون، فبلغ ذلك الشعبي فقال: ما أرقّكم يا أهل الحجاز! أما لو كان من أهل العراق لقال: اعزبي لعنة الله عليكِ.

منهج التربية في حياة الداعية المسلم

• الشيخ عبد الرزاق فرج الله
إمام جامع الهويدر/ ديالى

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾
النحل:١٢٥

ينابيع من خلال النص القرآني الكريم تلوح أمامنا حقيقتان:

الأولى: إن الدعوة إلى سبيل الله عز وجل هي وظيفة رسالية عامة تتسع لها كافة أبعاد الزمن، لأنها تكليف للرسول ﷺ وأتباعه والمؤمنين به في كل عصر.

الثانية: إن الإنسان المسلم المضطلع بهذه الوظيفة الرسالية، لا بد أن يتحرى الأساليب الناجحة التي يدخل بها إلى قلوب أبناء الأمة، ويمتلك عواطفهم تجاه رسالته التي يدعو إليها.

فهو أمام خطين متفاعلين على ساحة التغيير، ويندرج هذان الخطان تحت كلمتي (الحكمة والموعظة الحسنة) وهما:

الخط الأول: السلوك المستلهم من وحي الرسالة التي يؤمن بها الداعية

المسلم، وهذا السلوك يجدر أن يكون من أهم أركان الدعوة إلى الله تعالى، وهو يعني كون الداعية المسلم إنساناً يعكس القيم والمثل العليا للرسالة من خلال تجسيده لأخلاق الرسالة وقيمها في واقع التعامل مع الأمة، وكما ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام: (كونوا لنا دعاة صامتين) و(كونوا لنا دعاة بغير ألسنتكم).

الخط الثاني: العرض والتبليغ البياني بالفكرة التي يحملها الداعية المسلم، ولابد في هذا الخط من اتباع الأساليب الناجحة مما يقتضيه الواقع المعاش من أجل التأثير فيه وتغييره على ضوء المفاهيم الصحيحة.

ومن أجل بلورة هذا الخط لابد من الإشارة إلى ثلاث نقاط ترتب الوظيفة التبليغية التي يلتزمها الداعية المسلم:

الأولى: قد يقال: إن هناك طريقتين متعارضتين في خط التبليغ ونشر مفاهيم الإسلام على واقع الأمة، وإن كانت الطريقتان تلتقيان عند هدف واحد، إلا إن التعارض هو في الأثر الذي تحققه الطريقة عن الطريقة الأخرى من ناحية القوة والضعف:

فهناك طريقة تبليغية تعتمد عرض التعاليم والمفاهيم الفردية، أي معالجة القضايا التي ترتبط بحياة الفرد، على مستوى الطقوس والأحكام العبادية بماهي.

وهناك طريقة تبليغية تعتمد استلهام المفاهيم العامة، وتطبيق الجوانب الاجتماعية المستوحاة من العقيدة والرسالة بصفتها أطروحة تغييرية نحو بناء حياة اجتماعية لها نظامها وأحكامها الهادفة إلى توثيق الصلة العميقة بين أبناء الأمة.

وهذا هو الصحيح الذي له كبير الأثر في البناء، لأن الإسلام دين المجتمع قبل أن يكون ديناً فردياً كما قال تعالى: (وما أرسلناك إلا كافة للناس) سبأ: ٢٨. حيث يُعطى الإسلام حقه كنظام عادل ودستور خالد للبشرية.

الثانية: قد يوجد هناك خلاف بين الاصطلاحين بشأن دراسة الأفكار والقوانين الأخرى غير الإسلامية، فهل هناك ضرورة لفهمها ومناقشتها من قبل الداعية المسلم؟ أو ليست هناك حاجة إلا إلى فهم الفكرة والأطروحة التي يؤمن بها الداعية المسلم وذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وآله قام بهذه الطريقة بغض النظر عن إيضاح الأطروحة المعاكسة للإسلام؟

وفي هذا الصدد: لابد أن نعرف أن الظرف الذي عمل في نطاقه رسول الله صلى الله عليه وآله يختلف عن ظرفنا الحاضر لأنه صلى الله عليه وآله فتح عينيه على جاهلية محصنة ومجتمع بسيط. كان يتطلع أبناؤه إلى عقيدة ومنهج للحياة، وإن كانت هناك منهجية جاهلية ملتزمة، لكنها لم تتجذر في أعماق الفطرة ولم تحرفها كلياً عن الإيمان بالله عز وجل، سوى أنها انحرفت عن العقيدة التوحيدية إذ لم تقم الحجة ولم تتضح لهم الفكرة إلا بعد البعثة النبوية الشريفة التي غيّرت الواقع الجاهلي وصنعت منه حضارة امتدت مع الزمن.

أما في عصرنا الحاضر فقد ولدت أفكار وبنيت حضارات وسادت قوانين وضعية مبنية على فلسفة عن الكون والحياة، وجرفت في خضمها أبناء الأمة الإسلامية، وهي تدعو إلى تصفية الوجود الإسلامي وتخريف الفكرة الإسلامية في ذهن الإنسان المسلم لذا ينبغي أن تدرس

هذه الأطروحات دراسة تفصيلية وتناقش لبيان خطئها في نظر معتنقيها لتنقية واقع المسلمين منها لأن الواقع الاجتماعي الذي يعتنق حضارة معينة، يصعب جره إلى واقع الحضارة الإسلامية إلا بعد بيان فساد حضارته وأخطاء أفكاره.

الثالثة: إن الداعية المسلم يتبنى أسلوب التربية لأبناء الأمة وعلى هذا الأساس فإن للتربية أسلوبين تختلف آثارهما ونتائجهما على حياة الجيل الذي يراد إعداده، وهذان الأسلوبان هما:

أولاً: الأسلوب العلمي أو التربية العلمية، التي تعني الاهتمام بترسيخ النظرية أو الحقيقة العلمية في الذهن بغض النظر عن الجوانب الأخرى التي لها ارتباط بسلوك المتعلم.

ثانياً: التربية الإسلامية التي تعتمد السلوك موضوعاً للتوجيه والإعداد الجيد للمتعلم، لأن أي شخص يُربى على علم فسوف يكون بمستوى ذلك العلم من الناحية العقلية، بينما لا تكتفي التربية الإسلامية بالجانب العقلي للمتعلم، بل لابد من الدخول إلى عواطف المتعلم لأجل أن يكون في غاية الاستعداد للتفاعل مع القيم والمثل العليا لمعلمه ومربيه. وكيفية الدخول في العواطف تعود إلى عدة أمور كان يعتمدها المعلم الأول للأمة رسول الله ﷺ:

أ ـ أسلوب اعتماد القرآن الكريم منهجاً لتربية الأمة، بما يمتاز به من تناغم مع أعماق العاطفة الإنسانية وشد بعضها بالبعض (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءاً فألف بين قوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا) آل عمران:١٠٣.

ب ـ خلق القدوة الصالحة من ذات المعلم ومن جوهر سلوكيته التجسيد الصادق للمبادئ والقيم التي يؤمن بها والمنعكسة على سلوكه أولاً كما كان رسول الله ﷺ يمثل القدوة الحسنة بنص القرآن الكريم: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) الأحزاب: ٢١.

ج ـ لين الطبع وسعة الصدر فإنها سمة الرئاسة كما جاء في الحكم (سعة الصدر آلة الرئاسة) وبها يمتلك الإنسان السيطرة على ساحة الواقع كما خاطب الله عز وجل رسوله الكريم ﷺ ملفتاً نظر كل داعية مسلم إلى سر النجاح في خط التربية الإسلامية (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) آل عمران:١٥٩.

د ـ الدخول في حل مشاكل المتعلمين والتعايش معهم في الأفراح والأتراح، والتحسس عن بعد لمعاناتهم وهذا ما يؤكده مدلول الحديث النبوي الشريف (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى).

وذلك حين يشعر الداعية المسلم أنه جزء من الأمة يسعده ما يسعدها ويؤلمه ما يؤلمها، وحين تتحسس منه الأمة تجاوباً صحيحاً مع مشاعرها، يكون له الأثر الكبير في التغيير. ومن هذا المنطلق تتفاعل مشاعر الأمة في احتضان مسؤوليتها تجاه رسالتها وتجاه البعض.

(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر...) التوبة: ٧١ ■

تعقيب على مقال:

الشيخ بهاء الدين العاملي .. العالم الموسوعي

• المهندس سعد حاتم مرزة

ينابيع نشر الأستاذ كاظم عبود الفتلاوي على ص ١٢٢ - ١٢٥ من العدد الرابع من (مجلة ينابيع) مقالة (الشيخ بهاء الدين العاملي: العالم الموسوعي) وقد تضمنت بعض المفاهيم الخاطئة وبعض الآراء التي تحتاج إلى توضيح.

أشار الكاتب إلى أن الشيخ الذي ترجم له استطاع أن يحطم الذرة، وأن يسيطر على طاقتها وأن يستخدمها في الحاجات.

أعتقد أن هذا النص قد نقله الكاتب من أحد الذين عاشوا خلال القرن الرابع عشر الهجري، وإلا فما كان أحد يعرف مصطلح الذرة بمعناها المعاصر وإنها تحتوي إلى طاقة ويمكن استخدامها قبل القرن الرابع عشر الهجري.

إن تحطيم الذرة والسيطرة على طاقتها واستخدامها يحتاج إلى أجهزة علمية متطورة وحساسة، لم يكن بالإمكان حتى وفاة الشيخ البهائي في سنة ١٠٣٠هـ أن يتم ذلك ولا يمكن استخدام أجهزة بدائية في إنجاز ذلك.

لعل الشيخ البهائي تنبأ بذلك وأن

للنفيلة نجومها

الشيخ بهاء الدين العاملي ..
العالم الموسوعي

• كاظم عبود الفتلاوي

ينابيع في الدراسات الحديثة التي تجري لمعرفة حياة العظماء في العالم يولي الباحث اهتمامه البالغ في جغرافية وبيئة البلد الذي ولد ونشأ فيه من يبحث عنه لارتباط عناصر الدراسة على ذينك العنصرين من حيث النشأة وأدوارها والتكوين العلمي وأطواره.

وفي ظني ان الله - سبحانه وتعالى - جعل لكل بلد خصوصية يتميز بها عن البلد الآخر.

و(جبل عامل) من البلاد التي خصها الله - سبحانه وتعالى - بالخير الوفير، بالتربة الصالحة، والرياض الغناء الجميلة، والذكاء الخارق عند أبنائها.

لذا اشتهرت بكثرة من نشأ فيها من علماء، وأدباء، وشعراء ونظرة فاحصة إلى كتاب (أمل الأمل) وكتاب (تكملة أمل الأمل) تريك المئات من هؤلاء الأجلاء.

وفي مقالتي هذه: أحاول أن أوجز القول في حياة عالم من علماء تلك البلاد ألا وهو الشيخ بهاء الدين العاملي.

وهو العلم شخصية علمية في عصره، وأحد العلماء الموسوعيين القلائل في التاريخ، فقد شارك مشاركة عجيبة في مختلف الفنون والعلوم كالفقه وأصوله والتفسير والحديث والدراية والرجال والفلسفة والفلك والحساب والهندسة والجفر والرمل والنحو والشعر والبلاغة والتصريف. وكان يقال: إن له في كل قدر مغرفة.

وإليك موجز حياته:

بهاء الدين محمد بن عز الدين الحسين بن عبد الصمد بن محمد بن علي بن الحسن بن محمد بن صالح بن إسماعيل الحارثي الهمداني العاملي. من أعضاد الحارث الهمداني من خواص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام.

ولد في بعلبك يوم الأربعاء ٢٧ ذي الحجة سنة ٩٥٣هـ ونشأ بها.

أخاه، والده بالعلم وغذاه العلم كسائر أولاد الشيخ، وتفتحت ورود هذا الصبي في تلك الرياض اليانعة، وليلاده (جبل عامل) دور في تنشئته إذ كان البلد يومها يعج بمشايخ العلم والأدب، فأفاد من مجالسهم ومذاكراتهم، واقتبس من

١٢٢

ينابيع العدد (٤) محرم - صفر ١٤٢٦هـ

المستقبل سوف يشهد تحطيم الذرة والسيطرة على طاقتها واستخدامها من خلال اطلاعه على بعض نصوص الأحاديث المنقولة عن الأئمة عليهم السلام، فقد نقل الدكتور محمد محمود غالي ضمن بحثه في كتاب (محيط العلوم) الذي كتبه نخبة من العلماء العرب في مصر، عن المؤلف الأمريكي

(جون) في قول الإمام علي عليه السلام: (إذا فتحت الذرة تجد في قلبها شمساً) فلعل الشيخ البهائي استنتج من وجود الشمس بمعناها المجازي في قلب الذرة وجود طاقة هائلة في الذرة يمكن الإستفادة منها واستخدامها مستقبلاً، أو لعل هناك بعض النصوص الأخرى قد استنتج منها ما تنبأ به.

وقال الكاتب: (بأن الشيخ البهائي قد صنع ساعة دائمة الحركة دون أي حاجة إلى من يحركها، وإنه أبدع في صنع شمعة أوقدها في أتون حمام تكفي لتدفئة الحمام بكامله مدة ثلاث قرون وتزيد).

إذا كان الشيخ البهائي قد استطاع بقربه من الله تعالى خرق قوانين الطبيعة المعروفة كصنع الساعة والشمعة أعلاه، فذلك إعجاز لا يمكن تفسيره، ولكن السؤال الذي لا يمكن الإجابة عليه هو: لماذا لم يقم الأنبياء والرسل والأوصياء عليهم السلام باستخدام الإعجاز وخرق قوانين الطبيعة في انجاز وتنفيذ مشاريع خدمية لصالح البشر تستمر فترة ثلاث قرون، واستطاع أحد أتباعهم ذلك؟

علماً أن الإمام الصادق عليه السلام وأبحاث العلم الحديث أكدت على عدم إمكانية إيجاد حركة دائمة أو تصخين المواد دون وجود طاقة كامنة أو مخزونة ضمن مواد توليد الطاقة منها. فقد نقل الطبرسي في (الاحتجاج) احتجاج الإمام الصادق عليه السلام على الزنديق، فقد جاء ضمنه قول الإمام عليه السلام: (إن النار من الأجسام الكامنة، والأجسام كاتمة بأعيانها كالحجر والحديد، فإذا ضرب أحدهما بالاخر، سقطت من بينهما نار، تقتبس منها سراج له ضوء، فالنار ثابت في أجسامها والضوء ذاهب.

فالنار في قوله عليه السلام: (النار في الأجسام كامنة) و (فالنار ثابت) هو الذي يعرف حالياً بمصطلح (الطاقة) وفي قوله عليه السلام: (سقطت من بينهما نار) هو المفهوم المعروف للنار الذي مازال استعماله شائعاً.

وجد العلم الحديث أن الطاقة في أنواع الوقود موجودة بشكل طاقة كامنة تختزنها بشكل مواد كيميائية، وبعمليات محددة يمكن توليد الطاقة منها، أي تحويل الطاقة الكامنة إلى أنواع من الطاقة المستهلكة (كما قال عليه السلام: (الضوء ذاهب) مثل الضوء والنار (الحرارة) والكهرباء، ويمكن استخدام هذه الأنواع لإنتاج الشعل كالحركة والتسخين والإنارة....الخ.

جرت محاولات كثيرة وأنجزت أعمال ومشاريع كثيرة، تم خلالها إخفاء مصادر الطاقة والقوانين العلمية المستخدمة فيها، وعد بعضها من السحر.

فقد قام الفراعنة والبابليون بمثل هذه الأعمال لخداع الشعوب والسيطرة على

قبر الشيخ البهائي قرب مشهد الإمام الرضا عليه السلام

عقولهم، وقد قص القرآن الكريم قصة سحرة فرعون الذي استطاعوا خداع الناس بما يسمى بخداع البصر الذي له استخدامات واسعة وذلك قوله تعالى: (سحروا أعين الناس) (الأعراف: ١١٦) فقد ذكر بعض المفسرين أنهم استخدموا الزئبق في إملاء تجاويف العصا، وباستعمال تقنية خاصة وعند تمدد الزئبق بحرارة الشمس تبدو العصا تتحرك كأنها حيات.

فلا مانع من القول بأن الشيخ البهائي قد استخدم تقنيات خاصة في إخفاء مصادر الطاقة المستخدمة في الساعة والحمام، وربما استخدام طاقة الرياح أو طاقة الشمس أو طاقة حرارة باطن الأرض أو حرارة المياه الساخنة في باطن الأرض أو غيرها من أجل تحريك الساعة وتدفئة الحمام.

أما قول الكاتب بأن المهندسين الإنكليز قد هدموا الشمعة والحمام لاكتشاف أسرار اختراعها، فربما عرفوا أسرار ذلك ولم ينشروه، أو أن الشيخ البهائي قد وضع تقنية خاصة لإخفاء أسرار ما قام به عند التهديم.

أما الصخرة التي تكون الشمس عليها عمودية عندما يحين موعد صلاة الظهر في جميع فصول (أيام) السنة، وقوله بأن عمل ذلك صعب جداً.

ليس من الصعب عند خبراء الفلك والرياضيات إنجاز مثل ذلك العمل، وقد طرحت على السيد مدير مكتبة الحكيم العامة القيام بإنجاز مشروع يتضمن إطلاق إشارة صوتية خاصة(أو الآذان) عندما يحين موعد آذان الظهر بالاعتماد على موقع الشمس في قبة السماء في جميع أيام السنة، ولكنه إعتذر في حينه بأن سلطات العهد البائد لا تسمح بأي مشروع خاص بالشيعة.

وأكرر هذا الاقتراح متمنياً من هيئة الإشراف على تنفيذ مرقد شهيد المحراب السيد محمد باقر الحكيم تنفيذه ضمن مشروع مرقد شهيد المحراب مع اقتراح آخر يتضمن إطلاق صوت خاص عندما تكون الشمس عمودية على الكعبة المقدسة (ويحدث مرتين في السنة) وربطها بمحطة التلفزة، لكي يتمكن المسلمون في نصف بقاع الأرض من تحديد اتجاه القبلة الذي يكون في حينه بعكس اتجاه الظل، ليكون معلماً خاصاً بالنجف يجمع بين العلم الحديث ومفاهيم الفكر الإسلامي ومن الله التوفيق ■

من أمثال العرب

(كُفيتَ الدعوة) أي: كفيت مؤنة الدعاء لي.

وأصله أن بعض مجّان العرب نزل بصومعة راهب، وأحب أن يوافقه في دينه ويقتدي به في عبادته ويزيد عليه، وبقي على ذلك أياماً. ثم إنه سرق صليب الراهب ـ وكان من الذهب ـ ثم استأذنه في الفراق، فأذن له وزوّده من الطعام، وقام لوداعه، فلما ودّعه قال له: صحبك الصليب ـ وهذه العبارة رسمهم في الدعاء للمسافر ـ فقال الماجن: **(كفيت الدعوة)**.. فصارت مثلاً.

عشرون صحابياً
ممن استشهد مع الحسين عليه السلام في كربلاء

• السيد محمد علي الحلو

ينابيع بعد أن وقفت على مقال بعنوان أرقام خالدة في نهضة الإمام الحسين عليه السلام للأخ حيدر كريم الجمالي في العدد الرابع استوقفني الاحصاء الذي أعده للإشارة إلى من قُتل مع الحسين عليه السلام من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله حيث ورد في الإحصاء بتعداد خمسة من الأصحاب وهم: أنس بن حرث الكاهلي، وحبيب بن مظاهر، ومسلم بن عوسجة، وهاني بن عروة، وعبد الله بن يقطر العميري.

والواقع أننا أحصينا من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله الذي استشهدوا مع الإمام الحسين عليه السلام عشرين صحابياً، ولعلنا لم نبالغ إذا قلنا إنها أول إحصائية نوفق فيها لتعداد صحابة رسول صلى الله عليه وآله ممن التحق بالحسين عليه السلام وقد جاء في كتابنا أنصار الحسين عليه السلام الثورة والثوار ما نصه:

وهذه أسماء صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله انخرطوا إلى صفوف من نصر الحسين عليه السلام لتتم على أولئك الذين توقفوا في مشروعية خروج الحسين عليه السلام كونه خروجاً على خليفة المسلمين، على أننا لا نحتاج إلى إثبات مشروعية حركة يقودها إمام معصوم إلا إتمام الحجة ضد من يعتبر حركة

عاشوراء

أرقام خالدة
في نهضة الإمام الحسين

• حيدر كريم الجمالي

ينابيع إن للإحصاء أثراً كبيراً في إبراز معالم وسمات أي موضوع أو حادثة، ولاسيما واقعة الطف إذ لم تترك هذه الواقعة كعبا أرتكته ياقي الواقعات بعد ملة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله على المسلمين بالمستوى الذي تركته نهضة كربلاء عام ٦٠هـ وهذه الحقيقة واضحة من خلال أدنى تأمل في عادات وتقاليد وثقافة المسلمين اليومية بل قد لا تجد واقعة في تاريخ الإسلام أكثر حضوراً في أذهان المسلمين بكل دقائقها وتفاصيلها التاريخية من واقعة كربلاء.

ومن هنا يجدر بالباحثين والمؤرخين أن يحققوا بنظرة أكثر دقة في هذه الواقعة الخالدة بشتى زواياها لما يترتب على ذلك من آثار كبيرة في توضيح الحقائق وبيانها. رغم أننا لا نتحضر وجود مثل هذه المحاولات قديماً وحديثاً إلا أن المؤسف أنها تناثرت في متون الكتب التاريخية فاحصينا منها ما نستطيع إحصاءها وتركنا الكثير لمن يأتي.

فترة نهضة الإمام الحسين عليه السلام:

امتدت مدة قيام الإمام الحسين عليه السلام من يوم رفضت البيعة ليزيد وحتى يوم عاشوراء (٧٥) يوماً: (١٢) يوماً منها في المدينة و(أربعة أشهر وعشرة أيام) في مكة، و(٣٣) يوماً في الطريق من مكة إلى كربلاء و(٨) أيام في كربلاء (٢ـ١٠) محرم.

عدد المنازل بين مكة والكوفة والتي قطعها الركب الحسيني حتى وصل كربلاء هي (١٨) منزلاً. كما ذكرها صاحب معجم البلدان. والمسافة بين كل منزل وآخر ثلاثة فراسخ وأحياناً خمسة فراسخ.

عدد المنازل من الكوفة إلى الشام والتي مر بها ركب السبايا مع الإمام زين العابدين عليه السلام هي (١٤) منزلاً.

بلغت كتب أهل الكوفة في دعوتهم للإمام الحسين عليه السلام هي (١٢٠٠٠) كتاباً. وبلغ عدد من بايع مسلم بن عقيل(رض) في الكوفة (١٨٠٠٠) وقيل (٢٥٠٠٠) وقيل (٤٠٠٠٠) شخصاً.

وعدد الشهداء من أبناء أبي طالب الذين رددت أسماؤهم في زيارة الناحية (١٧) شهداً، وعدد شهداء كربلاء من أبناء أبي طالب ممن لم ترد أسماؤهم في زيارة الناحية هم (١٣) شهداً، كما واستشهد ثلاثة أطفال من بني هاشم فيكون بذلك مجموع الشهداء من أبناء أبي طالب (٣٣) شهيداً.

فأبناء الإمام الحسين عليه السلام: ٣ أشخاص.
وأولاد الإمام علي عليه السلام: ٩ أشخاص.
وأولاد الإمام الحسن عليه السلام: ٤ أشخاص.

٤٤
ينابيع العدد (٤) محرم ـ صفر ١٤٢٦هـ

الإمام الحسين عليه السلام حركة غير شرعية.

١ـ أنس بن الحارث الكاهلي:

أدرك النبي صلى الله عليه وآله وسمع منه يقول: إن ابني هذا ـ يعني الحسين ـ يُقتل بأرض يقال كربلاء فمن شهد ذلك منكم فلينصره.

٢ـ جنادة بن الحرث السلماني:

ذكره أهل السير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ثم من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام

كما أثبته المامقاني في تنقيحه[1].

٣- جنادة بن حجير:

ذكر أهل السير أن له صحبة، وأنه من أهل الكوفة[2].

٤- جون بن حوي (مولى أبي ذر الغفاري):

له صحبة وإدراك، فقد ذكر أهل السير أنه كان عبداً للفضل بن العباس ابن عبد المطلب، اشتراه أمير المؤمنين عليه السلام ووهبه إلى أبي ذر، فخرج معه إلى الربذه ومقتضى حاله لإدراكه النبي صلى الله عليه وآله.

٥- حبيب بن مظاهر:

وابن حجر ضبطه بـ(حبيب بن مظهر) له إدراك وعمّر حتى قتل مع الحسين بن علي، ذكره ابن الكلبي مع ابن عمه ربيعة[3].

٦- زاهر بن عمرو:

من أصحاب الشجرة روى عن النبي صلى الله عليه وآله وشهد الحديبية وخيبر، وكان من أصحاب عمرو بن الحمق كما نص على ذلك أهل السير[4].

٧- سعد بن الحرث الخزاعي - مولى علي عليه السلام -:

له إدراك لصحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وكان على شرطة أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة وولاه أذربيجان[5].

٨- شبيب بن عبد الله (مولى الحرث الجابري):

كان صحابياً أدرك صحبة رسول الله صلى الله عليه وآله[6].

٩- عبد الرحمن بن عبد ربه الخزرجي:

أدرك النبي صلى الله عليه وآله ذكره ابن عقدة في كتاب الموالاة في من روى حديث: من كنت مولاه فعلي مولاه، من طريق الأصبغ بن نباتة، قال: لما ناشد علي الناس في الرحبة (رحبة الكوفة) وقال: من سمع النبي صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم ما قال إلا قام، ولا يقوم إلا من سمع، فقام بضعة عشر رجلاً منهم أبو أيوب، وأبو زينب، وعبد الرحمن بن عبد ربه. فقالوا: إنا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن الله وليي وأنا ولي المؤمنين فمن كنت مولاه علي مولاه.

١٠- عبد الله بن يقطر:

مقتضى اجماعهم أنه ممن أدرك النبي صلى الله عليه وآله لأنه لِدَة الحسين عليه السلام كما عن كل من أرخ له، وعدّه بعضهم أنه رضيع الحسين عليه السلام لأنه رضع معه من أمه التي كانت حاضنة له عليه السلام.

وقد رددنا ذلك، إذ أن الحسين عليه السلام لم ترضعه غير فاطمة عليها السلام. نعم كان الحسين عليه السلام أي مساوياً لعمره الشريف فمقتضى ذلك أن يكون له إدراك وصحبة.

قال ابن حجر: إنه كان صحابياً لأنه لِدَة الحسين[7] عليه السلام.

١١- عقبة بن الصلت الجهني:

له رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله مما يثبت صحبته رضوان الله تعالى عليه[8].

١٢- عمار بن أبي سلامة الدالاني:

قال بن حجر: له إدراك وكان قد شهد مع علي مشاهده، وقتل مع الحسين ابن علي بالطف ذكره إبن الكلبي[9].

١٣- قُرة بن أبي قُرة الغفاري:

ذكره بن حجر ممن سمع النبي صلى الله عليه وآله[10].

١٤- كنانة بن عتيق:

كنانة بن عتيق بن معاوية بن الصامت الكوفي قال في الإصابة: إنه شهد أُحداً هو وأبوه عتيق فارس، فهو أُحدي أدرك رسول الله صلى الله عليه وآله.

١٥- مجمع بن زياد الجهني:

عدّه العلامة المامقاني ممن أدرك

النبي صلى الله عليه وآله فقد كان شهد بدراً وأُحد معه صلى الله عليه وآله[11].

١٦- مسلم بن عوسجة الأسدي:

عدّه السماوي في الأبصار ممن أدرك النبي صلى الله عليه وآله تبعاً لسعد في طبقاته الكبرى[12].

١٧- مسلم بن كثير الأزدي:

له صحبة قال في تنقيح المقال: والظاهر أن مسلم بن كثير ممن أدرك النبي صلى الله عليه وآله وممن صحب أمير المؤمنين عليه السلام.

١٨- هاني بن عروة المرادي:

بعد أن تحدث ابن حجر عن قصة مقتله رضوان الله عليه ومناصرته مسلم بن عقيل عليه السلام قال: واستدعى - عبيد الله بن زياد - هاني بن عروة فأدخل عليه القصر وهو ابن بضع وتسعين سنة فعاتبه، ثم طعنه بالحربة، وحز رأسه، ورمي به من أعلى القصر، والقصة مشهورة في جزء مقتل الحسين، والغرض هنا أقوله: إنه جاوز التسعين، فيكون أدرك من الحياة النبوية فوق الأربعين فهو من أهل هذا القسم[13].

١٩- نعيم بن عجلان النصاري:

له صحبة قال في تنقيح المقال: نعيم بن عجلان النصاري كان هو وأخواه النضر والنعمان أدركوا النبي صلى الله عليه وآله[14].

٢٠- يزيد بن مغفل الجعفي:

أدرك النبي صلى الله عليه وآله وشهد القادسية في عهد عمر بن الخطاب وكان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ذكره ابن حجر في الإصابة وروى أبيات رجزه رضوان الله تعالى عليه[15].

هذا ما تسنى لنا ذكره من شهداء الطف الذين أدركوا النبي صلى الله عليه وآله ولعل للباحث متسع في تحقيق آخر تتضح له هذه الحقائق فضلاً عما سيصل إليه من المزيد ■

---

(١) تنقيح المقال ١: ٢٣٤.
(٢) نفس المصدر : ٢٣٦.
(٣) الإصابة في تمييز الصحابة ١: ٣٧٣.
(٤) تنقيح المقال ١: ٤٣٧.
(٥) تنقيح المقال ٢: ١٢.
(٦) تنقيح المقال ٢: ١٢.
(٧) الإصابة في تمييز الصحابة عن السماوي في أبصار العين: ٦٩.
(٨) تنقيح المقال ٢: ٢٥٤.
(٩) الإصابة ٣: ١١١.
(١٠) نفس المصدر ٣: ٣٣٤.
(١١) تنقيح المقال ٢: ٥٣.
(١٢) أبصار العين: ١٧٠.
(١٣) الإصابة في تمييز الصحابة ٣: ٦١٦.
(١٤) تنقيح المقال ٢: ٧٢.
(١٥) راجع الإصابة في تمييز الصحابة ٣: ٦٧٧.

التكبير في الزفاف

ومما تميزت به سيدة النساء فاطمة (سلام الله عليها) أن النبي صلى الله عليه وآله زفها الى علي بنفسه الشريفة قال المجلسي قدس سره في البحار: فلما كانت ليلة الزفاف أتى النبي صلى الله عليه وآله ببغلته الشهباء وثنى عليها قطيفة وقال لفاطمة: اركبي وأمر سلمان يقودها والنبي يسوقها فبينما هو في بعض الطريق إذ سمع النبي صلى الله عليه وآله وجبة فإذا هو بجبرئيل في سبعين ألفاً وميكائيل في سبعين ألفاً فقال النبي صلى الله عليه وآله ما أهبطكم الى الأرض قالوا: جئنا نزف فاطمة الى علي بن أبي طالب فكبّر جبرئيل وكبّر ميكائيل وكبّرت الملائكة وكبّر محمد صلى الله عليه وآله فوقع التكبير على العرائس من تلك الليلة.

شهيد المنبر الحسيني الخطيب الخالد

الشيخ عبد الزهرة الكعبي (طاب ثراه)

• أحمد الكعبي الطويرجاوي

المنبر الخالد للشهيد وآثاره

ينابيع لئن كان الأديب الكبير الراحل السيد حيدر الحلي ناعية الطف بأدبه وشعره الذي رثا به جده الحسين عليه السلام وذكر مصائبه ومواقفه فلقد كان خطيبنا الشهيد الشيخ عبد الزهرة الكعبي قدس سره ناعية الطف بخطابته ومنبره الشريف، وإخلاصه في تلك الخدمة الشريفة المقدسة.

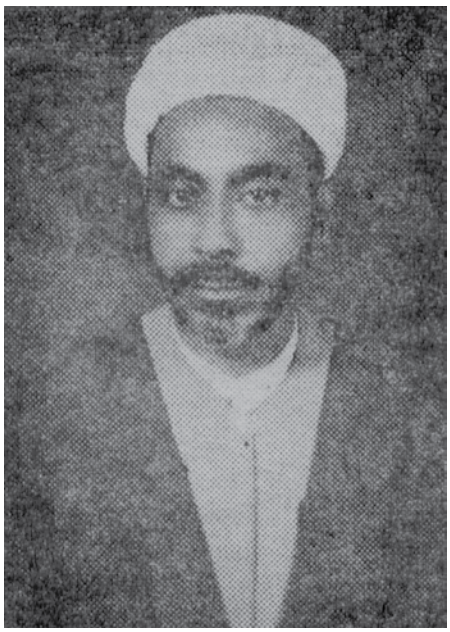

ولقد خلّده بحق منبره في العاشر من المحرم الذي كان يتلو فيه القصة الكاملة لجهاد الحسين عليه السلام ومن ناصره من أهل بيته وأصحابه ومأساة استشهادهم في طف كربلاء، فكان مجلس شيخنا الكعبي قدس سره يعقد في بداية سوق العرب الواقع في كربلاء المقدسة في ذلك اليوم بحضور آلاف المستمعين، والذي عرف بـ(مقتل الحسين) يذاع بنصه الكامل من دار الإذاعة العراقية منذ عام ١٩٥٩م.

وقد أذيع لمرتين في نفس العام صباحاً ومساءاً، لأن أربعة عشر ألف طلب برقي وهاتفي انهالت على وزير الثقافة والإرشاد ودار الإذاعة طالبةً تكرار إذاعته[1].

ثم بادرت إذاعة الأهواز لإذاعته في اليوم العاشر من كل عام، واعتاد القسم العربي لإذاعته في طهران من كل عام كذلك. كما أذيعت أقسام منه عبر إذاعة الكويت لبعض السنين.

بل ولا أبالغ إن قلت إن جيلنا هذا من الكهول والشباب لا يشعر بأثر يوم العاشر من المحرم بذلك الشعور العظيم ما لم يستمع إلى قصته الكاملة بصوت الشهيد الشيخ الكعبي قدس سره الذي يتراءى لكل مستمع إنه يتحدث من ساحة

الجهاد والفداء في كربلاء يوم العاشر من محرم (عام ٦١هـ) ولا تكاد تجد بيتاً من بيوت الشيعة في العراق والخليج وخوزستان ولبنان وغيرها إلا وقد اقتنى من الأشرطة المسجلة للمقتل بصوت الشيخ الكعبي قدس سره.

بل وتعتبر هذه الأشرطة من الباقيات الصالحات والآثار المباركات له قدس سره لما لها من التأثير البالغ في أوساط أبناء المذاهب الإسلامية الأخرى كذلك حيث اعتنق كثير منهم مذهب أهل البيت عليهم السلام بل أصبحوا من الدعاة إليه بتأليفاتهم كالأستاذ إدريس الحسيني مؤلف كتاب (لقد شيعني الحسين)، والأستاذ صائب عبد الحميد مؤلف كتاب (نشأة التشيع والشيعة).

كما وسجلت آلاف النسخ من هذه الأشرطة وانتشرت في بعض دول أفريقيا مؤثرة في مستمعيها هناك.

وقد طبع هذا المجلس المفصل لواقعة كربلاء بكتاب خصص لقراءة المقتل يوم العاشر بعنوان (الحسين قتيل العبرة).

كما وكان شهيدنا معروفاً بقراءته تكملة مأساة الطف مبتدئاً من مسير العائلة المخدرة مع الإمام السجاد عليه السلام يوم الحادي عشر من المحرم وجهادهم ومصائبهم في الكوفة والشام حتى وصولهم يوم الأربعين إلى كربلاء منتهياً بإيابهم إلى المدينة فكان شهيدنا قدس سره يتلوها في الزيارة المليونية - التي يحضرها المسلمون بمختلف أقطارهم وجنسياتهم - يوم الأربعين بجوار حرم سيد الشهداء الحسين عليه السلام حيث تحضرها تلك الجموع الغفيرة بمواكبها من العراق وغيره في الحسينية الطهرانية.

نسبه وولادته ونشأته

هو الخطيب الشهيد الشيخ عبد الزهرة بن فلاح بن عباس بن وادي آل منصور من قبيلة بني كعب الشهيرة.

وقد نزحت أسرته من المشخاب واستوطنت كربلاء.

ولد الشهيد الكعبي في مدينة المشخاب يوم الخامس من شهر جمادى الأولى عام (١٣٣٧هـ - ١٩٠٧م) ذكرى مولد الصديقة الطاهرة الزهراء عليها السلام ولذلك سمي بـ(عبد الزهرة).

نشأ وترعرع في ربوع كربلاء المقدسة بعد أن شد عوده وقوي ساعده دخل معاهد العلم والأدب عند الكتاتيب آنذاك يسمى بـ(الملا) فتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم كله وهو في سن مبكر خلال ستة أشهر على يد المرحوم الشيخ محمد السراج في الصحن الحسيني الشريف، وفي علم العروض على يد الشيخ عبد الحسين الحويزي، ثم أصبح من أساتذه الحوزة العلمية الشريفة في كربلاء حيث كان يلقي دروسه في الفقه الإسلامي واللغة العربية وفن الخطابة على عدد من طلبة الحوزة والعلوم الدينية وتولى التدريس في مدرسة الإمام القائم ومدرسة السيد المجدد الشيرازي ومدرسة (باد كوبة) الدينية وغيرها كما درس الأحاديث النبوية وخطب نهج البلاغة.

حضر مباديء العلوم على الحجة الشيخ علي بن فليح الرماحي، ثم درس الفقه والأصول على العلامة الشيخ محمد داود الخطيب، وأخذ المنطق والبلاغة على العلامة الحجة الشيخ جعفر الرشتي.

أما الخطابة فقد أخذها على الخطيبين الجليلين الشيخ محمد مهدي المازندراني الحائري المعروف بـ(الواعظ) وخطيب كربلاء الأوحد الشيخ محسن بن حسن أبو الحب الخفاجي ثم برع فيها واشتهر، وذاع صيته في الآفاق مخلصاً متفانياً في خدمة الإمام سيد الشهداء عليه السلام.

فكانت له المجالس العامرة بالجماهير من الرجال والنساء والأطفال في مساجد كربلاء وحسينياتها ودورها وأسواقها فضلاً عن مجالسه في مدن العراق الأخرى مثل بغداد والنجف الأشرف والحلة والدجيل والمشخاب والبصرة والديوانية والشطرة والمجر الكبير والأهواز.

وقد سافر لعدد من الدول العربية من أجل التبليغ بإشارة من مراجع الدين العظام أمثال آية الله السيد محسن الحكيم وآية الله السيد الشيرازي وبعض أهل

العلم والفضيلة فذهب إلى دولة البحرين والقطيف والإحساء وجنوب إيران وغيرها من البلدان خارج العراق. ونال إعجاب المستمعين وتأثرهم بمجالسه، لما له من دور متميز في هذا الفن، فضلاً عن سجاياه الحميدة وطباعه الكريمة التي شهد بها له الصديق والعدو والقريب والبعيد.

دروس من خطابته

امتاز الشهيد الكعبي قدس سره بقدرته المنبرية الفائقة المتمثلة في قوة البيان والشجاعة في عرض الأفكار المقدسة للإسلام الحنيف وفي مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما كان مهتم بحفظ القرآن الكريم، والتأكيد على حفظ الأحاديث الشريفة للنبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام عليهم السلام بنصها، فضلاً عن اهتمامه بالجانب الأدبي بانتقائه البليغ من عيون الشعر وعلى هذا يمكننا أن نستفيد بأن المواد الأولية للمنبر الحسيني الشريف ومقوماته هي:

١- القرآن الكريم.
٢- الأحاديث والخطب النبوية.
٣- الشعر العربي الأصيل.

ثم يأتي بعدها اختيار موضوع المنبر من التاريخ والأخلاق والتفسير والسيرة وغيرها. وقد هيأ الشهيد الشيخ الكعبي قدس سره جيلاً من الخطباء البارعين بخطاباتهم وتأثيرهم في المجتمع، فكان يؤكد عليهم في دروسه بالاهتمام بالمنبر الشريف ومقوماته وعوامل التوفيق لخدمته المقدسة، فتخرج من تحت منبره ودرسه عدد من الخطباء الكبار يربو عددهم على (٣٠٠) خطيب حسيني بارع منتشرون

في البلاد الإسلامية أمثال الشيخ ضياء الشيخ حمزة الزبيدي والخطيب الشيخ على الساعدي والخطيب الشيخ عبد الرضا الصافي والخطيب الشيخ عبد الحميد المهاجر والسيد محمود الخطيب والشيخ أحمد عصفور وغيرهم.

جهاده ومعاناته

عُرف رحمه الله بإخلاصه وتفانيه في خدمة أهل البيت عليهم السلام ولما كان زاهداً في الدنيا وحطامها، فلقد كان معروفاً بجهاده أينما حل، ومناهضته ضد الباطل والانحراف والظلم والجور والتعدي مهما كانت نتائجه والمعاناة بسببه حيث المضايقة من قبل الطغاة وأعوانهم لمن سلك هذا السبيل المقدس المناصر للحق على مر العصور كما هو معروف.

ولقد كان له دور متميز بجهاده في تربية الجيل من الشباب بالثقافة الإسلامية والتسلح بالوعي بمخاطر الانحراف والظلم وذلك من خلال منبره ومشاركته في مشاريع التوعية والتربية أينما حل (رضوان الله تعالى عليه).

أي أنه كان يتميز من دون باقي أقرانه بالجرأة المشهودة واهتمامه بالشباب وكان يمانع من إخراج الأطفال من المجلس قائلاً: (إن اهتمامنا عملياً ينبغي أن ينصب على هؤلاء لأنهم الثمرة في المستقبل. وكذلك تميز بالذكاء وقوة حافظته حيث الخزين العلمي الذي كان يتبين من خلال مجالسه المؤثرة في مستمعيه فكان يطرح المعلومات التاريخية والبحوث العقائدية والتي لا يراجع بها كتاباً في موسم التبليغ. وساهم مع وجهاء بعض المناطق التي كان يذهب إليها في موسم التبليغ في حل كثير من المشاكل الاجتماعية والعائلية مهتماً بإصلاح ذات البين.

وكما سعى في تزويج كثير من الشباب المؤمن بالمال والجاه مؤثراً في أوساط المجتمع وعلى العموم فلقد كان عالماً عاملاً مجاهداً، دمث الأخلاق متواضعاً، لا يشعر جليسه بأي حرج في طرح الأسئلة معروف بالنوادر وظرف الحديث والمزاح المتزن.

وقد نقل عن جهاده ومواقفه الشيخ ضياء الزبيدي وهو من تلامذته قائلاً:

(تم اعتقال الشهيد السيد حسن الشيرازي رحمه الله من قبل السلطة البعثية الجائرة في العراق على أثر اختلاق اعتراف من قبل (رشيد مصلح) أحد رموز حكومة عبد الرحمن عارف حيث ظهر (مصلح) أمام الملأ وعبر شاشات التلفزيون موجهاً

الاتهام للسيد الشيرازي قدس سره بأنه كان يشجعه على الإطاحة بحكومة البعث في العراق.

فاعتقل السيد على أثرها فبادر بعض خطباء كربلاء برفع برقية إلى (البكر) طالبين إطلاق سراح السيد، فما كان من السلطة إلا أصدرت أمراً باعتقال الموقعين على البرقية وهم الشيخ عبد الزهرة الكعبي، الشيخ حمزة الزبيدي، السيد كاظم القزويني والسيد مرتضى القزويني والشيخ حميد المهاجر.

فتمكنت السلطة من اعتقال الشيخ الكعبي والشيخ حمزة الزبيدي واختفى الآخرون. فكان اعتقال الكعبي والزبيدي في دائرة أمن كربلاء لمدة ثلاثة أيام نُقلا بعدها إلى مركز أمن (الحرية) ثم مديرية الأمن العامة في بغداد.

بعدها تم نقلهما إلى سجن (بعقوبة) حيث حكم عليهما بالحجز الإحترازي لمدة أربعة أشهر أُطلق سراحهما بعدها وذلك عام ١٩٦٩م.

الكعبي والأدب العربي

يتبادر إلى الذهن عندما يذكر الشيخ الكعبي مقتل الحسين، وخطابة المنبر إلا إن للشيخ الخطيب باع طويل في الأدب العربي بقسميه الفصيح والدارج، فقد ذكر المرجاني في كتابه خطباء المنبر إن له ديوان شعر تحت عنوان: (دموع الأسى) ولا يزال مخطوطاً، ولا يعلم عما اعتراه من التلف أو الضياع ومن نماذج شعره في مدح الإمام الصادق عليه السلام:

لأبي الكاظم الإمام أيادٍ
سابقات تعمُّ كلَّ البرية
أظهرها الله في شرعة طه
بعد إخفائها فعادت بهية
رويت عنه للأنام علوم
هي كانت من قبل ذاك خفية

في ذكرى شهادة الصديقة الزهراء عليها السلام يرتقي الشيخ الكعبي المنبر في مدينة كربلاء عام ١٩٦٩م

فحفظنا تلك العلوم ومن ذا
قد عرفنا بالفرقة الجعفرية

استشهاده

ولا يزال يواصل مسيرته الجهادية المقدسة، سيما جهاده المنبري الذي كان مدوياً، ولم يكترث فيه من مضايقات الطغاة وأساليبهم القمعية الإرهابية، فما كان منهم إلا أن سخّروا بعض جلاوزتهم لدسّ السمّ القاتل إليه في القهوة التي قدمت له في مجلس فاتحة حضره الشيخ الكعبي وبعض تلامذته، فرجع إلى مجلسه في صحن العباس عليه السلام وأثناء قراءته أصابته حالة إغماء سقط على أثرها من على المنبر وفي طريقه إلى المستشفى عرجت روحه الطاهرة إلى ربها راضيةً مرضية في ليلة شهادة فاطمة الزهراء عليها السلام يوم ٦/ ٦/ ١٩٧٤م، أعقب الشهيد الكعبي قدس سره ولدين هما (علي، عبد الحسين).

تشييعه

كان يوماً مشهوداً في مدينة كربلاء بل في العراق، فقد زحفت الجماهير من كل حدب وصوب للاشتراك في تشييع جثمانه المقدس عبر الخط الطويل من داره إلى مرقده في الوادي القديم بعد إتمام الزيارة والصلاة عليه.

وكانت مراسيم تشييعه مشابهةً تماماً لمراسيم تشييع مراجع الدين الكبار، حيث وضع جثمانه في (العماري) وهي نعش خشبي كبير يوضع فيه التابوت احتراماً للمتوفى.

ثم انطلقت المسيرات العزائية الحزينة في مقدمة الجنازة.

وقد ضجت لوفاته كثير من البلاد الإسلامية فكتبت عنه الصحف والمجلات وأقيمت على روحه مجالس الفاتحة في كثير من البلاد داخل العراق وخارجه. وقد أبّنه كثير من أهل العلم والفضيلة وإليك ما كتب في رثائه صاحب الفضيلة العلامة السيد عبد الستار الحسني دامت بركاته يقول:

مَضى مَنْ به كانَتْ تَميْسُ المنابِرُ
وتَزْهُو بمَسْعاهُ الحثيث الشعائرُ
وَمَنْ كانَ في دُنْيا الخطابَة بَدْرَها الـ
ـمُنير الذي تَنْجابُ منْهُ الدياجِرُ
لسانُ الهُدى المنْطيقُ سحْبانُ عَصْرِه
لَهُ تَتَهادى كالجُمانِ العَبائرُ
به أتْلَعَت (قَيْسُ بنُ عَيْلانَ) جيدها
وحازَتْ ذُرى العَلْياءِ (كَعْبٌ) و(عامرُ)
وشيعَةُ أهلِ البَيْت تَهْتفُ باسمه
إذا غابَ منْهُ الجِسْمُ فالذِكْرُ عاطرُ
ومازالَ بَيْنَ الخَلْقِ يُرْفَعُ صَوْتُهُ
بـ(مَقْتَل) سِبْطِ المُصْطَفى وهو هادرُ
أجَلْ (عَبْدُ زَهْراء) النُبُوّة خالداً
سَيَبْقى وَإنْ قدْ غَيَّبَتْهُ المقابرُ
شَهيداً قَضى بالسُّمِّ مِنْ أَجْلِ دينه
فَسالَتْ دَماً ـ مُذْ غابَ عَنْها ـ المحاجِرُ
بأَمثاله ظَلَّ الهُدى شامخَ الذرّى
وَدارَت على أَهْلِ الضَّلالِ الدوائرُ
لَئِنْ خَلَت (الأَعْوادُ) منْهُ وَأَوحشَتْ
فَقَدْ عَمرَتْ ـ مِمّا بناهُ ـ المآثرُ ■

المصادر:

(١) شهداء المنبر الحسيني ج١.
(٢) معجم الخطباء.
(٣) الشيخ الكعبي صوت حزين وعبرة ساكبة.
(٤) خطباء المنبر الحسيني.

الإمام عبد الحسين شرف الدين (قدس سره)

في مرآة العلماء

• حيدر الحجد

ينابيع تمضي الأيام والدهور، ويذهب بمضيها كل شيء، خلا ذكرى العظماء الذين خضعت لهم الدنيا حين أعرضوا عنها ولم يحتفلوا بزخارفها، فكان لزاماً عليها أن تمجدهم وتلقي لهم عاطر الذكر الذي يفوح مسكه يوماً بعد يوم.

لقد احتفظت ذاكرة التاريخ بكل ما يمت بصلة إلى هؤلاء الأفذاذ، فالولادة تعني إشراقة أمل جديد به تحيى الأمة وسيرة الحياة تعني الجهاد والكفاح من

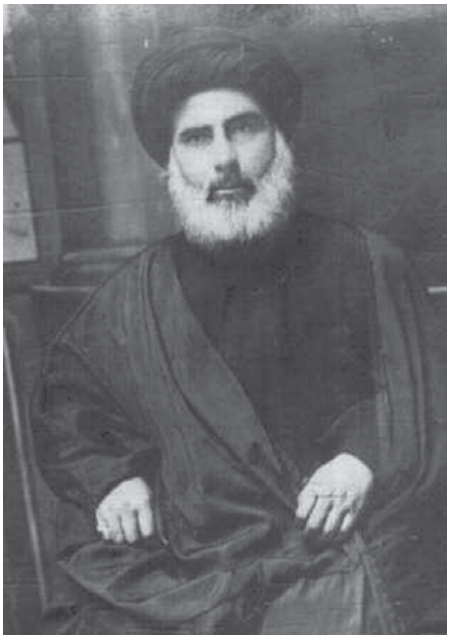

أجل نشر العلم والفضيلة، وأما الممات فيعني الرواح إلى رضوان الله.

وفي هذه الأيام تمر علينا الذكرى الخمسون لرحيل فارس من فرسان حلبة الأدب، ورمز من رموز الإسلام الذي استقام له البيان مهنّداً، والكلام درعاً، واليراع صمصاماً، والقرطاس ساحة وغى.

إنه السيد عبد الحسين نجل العلامة السيد يوسف آل شرف الدين الموسوي العاملي، الذي اختار له الله(جل وعلا) نسباً طاهراً مباركاً يتصل من كلا الوالدين بالإمام أبي إبراهيم موسى الكاظم عليه السلام وجعل (تعالى) بلدة الكاظمية حيث مزار جدّه عليه السلام مسقطاً لرأسه كما اختار تعالى روضة جده مولى الموحدين علي بن أبي طالب عليه السلام رمساً له، يرقد مطمئناً في واد حفّت به الملائكة وغبطت تربته أرضُ الجنان.

وإذا أردتُ الحديث عن هذا السيد الهمام فلابد لي من الصمت كي أدع الكلام لمن هو أعلم مني بحاله وسيرته وعلوّ مقامه، فكانت عبارات العلماء فيه أدلةً واضحة تعكسها مرآة صافية تحكي الواقع بعينه، فلا يشوبها شائب ولا يلامسها زيف كاذب.

فرأيت أن أنقلها[1] لتعبّر بصدق عن

هذه الشخصية التي ملأت الدنيا بحسان المعارف وجواهر العلوم.

فقد قال الإمام السيد محسن الحكيم قدس سره في معرض الكلام عن سيرة شرف الدين:

(إن السيد شرف الدين معدن رحمة وإحسان، فلا يفيض إلا رحمة وإحسان).

وقد أوجز سيدنا الحكيم قوله معبّراً عن طهارة الذات عند السيد عبد الحسين، معتمداً على المشهور من القول (خير الكلام ما قلّ ودل)، مجملاً الكلام بوصفه معدن رحمة وإحسان وهذا ما نقله بعينه الشيخ مرتضى آل ياسين قائلاً: (فهو مفزعٌ يأوي إليه المحتاجون والمكربون، وملجأ يلوذون به في الملمات ويستدفعون به المكاره، حين تضيق بها صدور الناس، وتشتد بهم آلامها، فإذا طفت بينه، رأيت ألوان الغايات، تدفع بألوان من المحتاجين إليه، المعولين عليه في مختلف أحوالهم، وأوضاعهم الخاصة والعامة مما يتصل بدينهم أو دنياهم، وتراه قائماً بين هؤلاء وهؤلاء، يجودهم بنفحاته العلوية، ويغدق عليهم من أريحيته الهاشمية، ويبذل لهم من روحه وراحته ما يملأ به نفوسهم مرحاً وسروراً، ثم لا يسألهم على ذلك جزاءً ولا شكوراً)[٢].

أما السيد أبو القاسم الخوئي قدس سره فيحدث عن انطباعاته حول شخصية الإمام شرف الدين قائلاً:

(التقيت بالفقيد الراحل في لبنان عام تشرّفي بحج بيت الله الحرام، والتقيت به في زيارته النجف الأشرف، وفي كلتا المرتين لمست في خلقه عظمة لا تجارى، وفي آرائه سمواً لا يُدانى، وإن جهاده في سبيل الإسلام لا يكاد يجهله أحد، ولا يسع كل من يراجع كتبه إلا أن يستفيد منها الحقيقة ويخضع لها مهما كان قوياً في آرائه، عنيداً في معتقداته وقد وفّق كل التوفيق في ذبّه عن شريعة الإسلام، وفي انتصاره للمذهب الجعفري بالسبيل الأقوم، والدعوة إلى الإصلاح، جزاه الله عن الإسلام خير جزاء المحسنين، وقد ترك وراءه ثلمة لا يسدها شيء، وخلف في المسلمين رزءاً لا يُنسى وجرحاً لا يندمل. حشره الله مع أجداده الطاهرين، وخلّد ذكره في المجاهدين).

ركّز السيد الخوئي قدس سره هنا بعد استعراضه لعظمة خلقه وسمو آرائه وجهاده في سبيل الإسلام على كتبه، وهي الباقيات الصالحات التي تضفي لذكره ذكراً ثانياً، وهي مشهورة العناوين معروفة المضامين، تنوّعت مواضيعها وتشعّبت مصادرها، فالمراجعات وكما تعرفون هو كتاب البرهنة على حقيقة الشيعة والدفاع عن آرائها ومعتقداتها بعيداً عن روح العصبية والتشنج، قريباً من لغة الحوار الهادئ والهادف المدعّم بالدليل، المثبت بالبراهين وفيه يقول مؤلفه: (وما أحق كتابي هذا بأن أخاطبه بقول ولي الدين يكن):

كتابي سر في الأرض وأسلك فجاجها
وخل عباد الله تتلوك ما تتلو
فما بك من أكذوبة فأخافها
ولا بك من جهل فيزري بك الجهل

أما شيخ البيليوغرافيا كما عُبّر عنه آغا بزرك الطهراني رحمه الله فيقول عنه:

(ماذا يقول الواصف في راحلنا العظيم، فقيد الإسلام والمسلمين، فقيد العلم والدين، فقيد القلم والمنبر أكان

مجتهداً بارعاً، أم كان خطيباً مصقعاً، أم باحثاً ناقداً أم مجاهداً دائب المناضلة عن الدين دائم المكافحة عن المذهب الحق.

نعم هو كل ذلك، تشهد له به المحابر والمزابر والكتب والدفاتر، هل طالعتم المراجعات؟ أم هل تأملتم في الفصول المهمة؟ أم هل سمعتم أن أحداً كتب في الإسلام حقائق مدرجة في أبي هريرة كما كتب الفقيد إلى غير ذلك من الآثار العلمية الكثيرة والمعاجز القلمية الباهرة).

لنقف عند قول آغا بزرك رحمه الله: (... مجاهداً دائب المناضلة عن الدين، دائم المكافحة عن المذهب الحق).

كان جهاد السيد شرف الدين قد اكتسب صفة الشمولية، فجهاده ديني وطني اجتماعي، أما كونه ديني فيبرز في دفاعه عن بيضة الإسلام عموماً، لا يفرق بين مذهب وآخر فالمسلمون عنده كلهم إخوان، لا يفرّق بين الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي والجعفري، الكل ينظر إليهم بعين الرأفة ويسدي إليهم يد المعروف وبهذا يكون السيد شرف الدين رائداً من روّاد التقريب بين المذاهب الإسلامية، الذين كان حلمهم جمع شتات المسلمين تحت خيمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) والتي تحتم على من يدخلها نبذه لكل حقد وضغينة في النفس.

أما جهاده الوطني، فلننظر إلى كتب التاريخ، لنجد فيها أروع صور للوطنية التي جسدها السيد شرف الدين، فقد تنوعت هذه الصور فمرة في العهد العثماني، وذلك العهد الذي حاول طمس الهوية العربية الإسلامية، متخذاً من سياسة التتريك وسيلة للقضاء على لغة القرآن فكانت مواقف السيد مشهورة فاضحة لتلك الأقنعة التي يختفي ورائها السلاطين، الذين ينعمون بالعيش الرغيد في قصور يلدز، بينما يرزح الشعب العربي تحت نير الجهل والتخلّف والفقر، فكانت خطب شرف الدين باعث محفز ومعرّف للناس على الحقيقة.

أما ما لاقاه من الفرنسيون بسبب دعمه المادي والمعنوي للمقاومة فحدّث ولا حرج، ولما ضاق الفرنسيون منه ذرعاً أوعزوا إلى عميلهم ابن الحلاج أن يهجم على داره، فقد روى الإمام شرف الدين فصلاً من هذا المشهد (اقتحموا الباب ثم أحكموا أرتاجها، ودنى الفتى العربي ابن الحلاج شاهراً مسدسه وهو يطلب مني أن أعطيه التفويض الذي كنا أخذناه من وجوه البلاد، وثائق تخول الملك فيصل[٣] أن يتكلم باسمنا في عصبة الأمم، وحين أصبح على خطوة مني ركلته في صدره ركلة ألقته أرضاً فسقط المسدس من يده، وأتبعت الركلة بضربات عنيفة بالحذاء على وجهه ورأسه، وعلت صيحة نسائنا في الدار فملئت الطريق خلف الباب، فإذا الرهبة تتولى هزيمة الجنديين وصاحبهما مخفقين، وقد كادت الأيدي والأرجل أن تقضي عليهم)[٤] كان هذا الموقف في ضحى يوم الثلاثاء ١٢ ربيع الثاني سنة ١٣٣٧هـ الموافق ١٤ كانون الأول سنة ١٩١٩م.

ولما يئس الفرنسيون من إخضاع السيد شرف الدين وإخماد جذوته الملتهبة قرروا مهاجمة داره الواقعة في بلدة شحور في جنوب لبنان، فقاموا بإحراقها، وقد حرقت نفائس كتبه ضمن ما أحترق، فهذا هو يحدّث بقوله: (نكبنا في سبيل

المؤمنين سنة ١٩٢٠م وهي سنة ١٣٣٨هـ يوم رزئنا بجلّ ما ألّفناه قبل تلك النازلة التي عمت أبناء عاملة واختصت بهذا الضعيف حيث أوغل الغاشمون في طغيانهم ولجوا في عدوانهم... ثم يضيف وكنت في طليعة من تبدد وتشرد وليتهم كفّوا عن تلك الكتب القيمة واكتفوا بما سواها، عند الله أحتسب تلك المؤلفات التي أفنيت فيها عمري ورهقني بفقدها ما نقض مرّه صبري فإنا لله وإنا إليه راجعون: أنشد الله امرئاً وقع في يده شيء منها إلا أثلج به كبدي الحرّى، فإن لكل كبد حرى أجراً)[٥]، ثم يأتي على ذكر تلك الكتب المفقودة فيعددها ويشرح مظانها، موجزاً تعريفها وقد تنوعت محتوياتها بين المعقول والمنقول، وكان عددها تسعة عشر كتاباً، ولو قُدّر لها البقاء لكانت بحق إثراءً للمكتبة الإسلامية.

وقد نجّاه الله من أعداءه حيث كان السيد شرف الدين موجوداً في شحور حينما داهمها الجيش الفرنسي ولكنه نهض مسرعاً واتجه إلى مغارة قرب النهر، وبقي إلى أن جن الظلام، وعندها عاد إلى مدينته فبات ليلته هناك ثم توجّه متنكراً إلى دمشق عاصمة الشام[٦].

أما جهاده الاجتماعي فيتمثل بالتوعية والإرشاد لأبناء مجتمعه، وله في هذا الصدد كلمة حكيمة، ربما تعطي مغزى الشعار لتطلعاته الإصلاحية يقول: (لا ينتشر الهدى إلا من حيث ينتشر الضلال)[٧].

(والحقيقة إن الضلال الذي عناه الإمام بهذا القول يتمثل بالمناهج الفكرية المستقاة من مصادر غريبة عن مفاهيمنا، ولعلها موضوعة على أساس أن تكون سبباً واحداً من أسباب كثيرة يروجها الاستعمار الغربي من أجل تسميم أفكار الناشئة وتنحيتهم عن مسؤولياتهم وتجريدهم من مقومات تفكيرهم، ولذلك كان يشجع ويدعو إلى تأسيس المدارس التي تطبق المناهج النابعة من صميم تفكيرنا وعقيدتنا، على اعتبار إنها تصون مداركنا عن الغزوات التبشيرية المبرقعة بستار من الحرير)[٨].

(كان يريد مدارس عصرية بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، ولكن في إطار من البرامج والعلوم التي لا تمس مبادئهم الدينية، مع ضميمة دروس دينية تكفل تركيز هذه الروح، والاحتفاظ بها في نفوس الجيل.

وعلى هذا الأساس سعى وجاهد من أجل هذا النمط من المدارس فكانت معاهده في صور، تطبيق حي لهذا الرأي. حيث المدرسة الجعفرية ونادي الإمام

جعفر الصادق عليه السلام الذي أعده للاحتفالات والمواسم العلمية والدينية ثم أسس بعد كل هذا مدرسة للإناث وهي تتوخى ما توخته مدرسة الذكور من التوفيق في التربية بين المناهج الصالحة الضامنة لحياة أمثل وأفضل)[٩].

واليوم أصبحت تلك المباني مدينة علمية تسمى بـ(مدينة العلم) التي توسعت شيئاً فشيئاً مصداقاً لقوله تعالى: (وما كان لله ينمو).

وأما الشيخ عبد الكريم الجزائري رحمه الله فقد قال عنه: (إني أعرف فقيدنا الراحل منذ قديم الزمن، رجلاً قد بلغ في العلم والأدب الدرجة العليا كما كان محيطاً بالتاريخ الإسلامي إحاطة كاملة، كان ذا قلم سيّال رافق صاحبه طيلة عمره الشريف ذاباً عن حوزة الدين، جارياً في ميدان النضال عن شريعة جدّه سيد المرسلين صلى الله عليه وآله، لا يكل ولا يمل مضافاً إلى ما تحلّى به من الأخلاق الفاضلة الإسلامية والسيرة الحسنة اللتين بهما امتلك القلوب واجتذب الألباب).

لنقف عند عبارة الشيخ الجزائري: (...وقد بلغ في العلم والأدب الدرجة العليا) وهذا المبلغ في العلم والأدب لابد أن يكون مسبوقاً بجد ومثابرة يمازجهما عبقرية وذكاء وهذا ما كان لائحاً على شخصية الإمام شرف الدين يحدث الكاتب عباس علي بقوله: (كانت أيامه تلك أيام مثابرة واجتهاد، ما جفّ فيها لبده، ولا فاتته فيها نهزة وكان دأبه تعقب خطوات أساتذته الأعلام متتبعاً أطوار الأبطال من أركان تلك الحوزة، مستقرئاً طرائق الماضين من أساطين الإمامية، يتعرف بذلك مداخل العلماء في التدقيق والتحقيق ومخارجهم ويتدبر أساليبهم في النقض والإبرام واستنباط الأحكام، ليطبع على أفضلهم غراراً وينهج مناهج أعدلهم أسلوباً، وأمثلهم طريقة، شأن من عناهم سبحانه بقوله: (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب))[١٠].

فهو يتنقل بين أولئك الأفذاذ الأخيار يرتوي من نمير علومهم ويتغذى من لباب معارفهم فتارة في حلقة السيد محمد كاظم اليزدي وأخرى عند الأخوند الخراساني ومرة مع فتح الله الأصفهاني وهكذا عند الشيخ محمد طه نجف والشيخ حسن الكربلائي، ومع هؤلاء فقد شرح الله قلبه لتلقي العلم بل وراح يناقش ويشارك في البحث، ثم لازم الإمام المجدد السيد محمد حسن الشيرازي يوم كانت سامراء محط ورحاله وموئل حضّار درسه.

حينها كان خال السيد شرف الدين، أبو محمد الحسن الصدر، العلامة الموسوي والمحقق المكثر صاحب كتاب تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، في سامراء فكان شرف الدين ينهل العلم من كلا العلَمين، الحسنين، الحسن الصدر والحسن الشيرازي.

وأخيراً لنستمع إلى مقالة آية الله الشيخ الجليل حسين الحلي قدس سره وهو يقول: (كان الفقيد قدس سره من أعاظم العلماء العاملين في سبيل إعلاء كلمة الحق ونشر لواء الإسلام، وإن مؤلفاته الخالدة ومواقفه المعروفة لخير دليل على ذلك، فقد خسر المسلمون بوفاته خسارة عظيمة وترك فراغاً وثغرة في الإسلام لا تسد إلا بعناية من الله سبحانه ونظرة رحيمة من ولي

العصر أرواحنا فداه).

نأخذ من هذه الفقرة عبارة (...من أعاظم العلماء العاملين في سبيل إعلاء كلمة الحق ونشر لواء الإسلام، وإن مؤلفاته الخالدة ومواقفه المعروفة لخير دليل على ذلك).

نعم كانت مؤلفاته عبارة عن ذخائر، يرجع إليها كل مسلم ليجد الحقيقة بعينها، بعيداً عن دسائس الزيف والكذب وها هي نراجعها معاً:

١ـ المراجعات، الذي ذكرناه في معرض كلام السيد الخوئي قدس سره.

٢ـ الفصول المهمة في تأليف الأمة: كتاب من أجل الكتب الإسلامية، يبحث مسائل الخلاف بين السنة والشيعة على ضوء الكلام والعقل والاستنتاج والتحليل.

٣ـ أجوبة مسائل موسى جار الله، وهي أجوبة عشرون لعشرين مسألة سأل بها موسى جار الله علماء الشيعة.

٤ـ الكلمة الغرّاء في تفضل الزهراء.

٥ـ المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة: وهو كتاب من الكتب التي حُرقت أثناء حادثة الهجوم على بيت السيد، ولم يبق منها سوى أجزاء، قام البعض بطبعها.

٦ـ أبو هريرة، بحث في حياة أبي هريرة وعصره وظروفه وعلاقاته وأحاديثه.

٧ـ بغية الراغبين، وهو كتاب يتناول تراجم شخصيات من آل شرف الدين، طبع حديثاً بعد أن كان ينشر على شكل حلقات في مجلات العرفان والألواح والمعهد اللبنانية.

٨ـ فلسفة الميثاق والولاية.

٩ـ كلمة حول الرؤية.

١٠ـ ثبت الإثبات في سلسلة الرواة.

١١ـ مؤلفو الشيعة في صدر الإسلام.

رحل الإمام شرف الدين في ٣٠ كانون الأول سنة ١٩٥٧م الموافق ٨ جمادي الثانية سنة ١٣٧٧هـ بعد أن ناهز السابعة والثمانين، عمر مليء بالعطاء والجهاد والعلم.

وقد أرخ وفاته العلامة الشاعر السيد محمد الحسيني الحلي قائلاً:

طأطأ الفكر وألوى الفضل جيدا
واشتكى منه هموداً وخمودا
شرف الدين قضى فانتكست
راية الدين وقد ماد صعودا
علمٌ من آلِ فهرٍ رفعت
باسمه فهرٌ لها مجداً مشيدا
ولسان الحق لم تمسكه عن
قولة السلطة وعداً ووعيدا
ويراع الأمة القاطع لم
ينب يوماً عن مباديه قعودا
خسرته قائداً كم حطّمت
بمساعيه حصوناً وقيودا
صعقت مذ فقدت تاريخها
(فبكته شرف الدين فقيدا)

١٣٧٧هـ ■

---

(١) ما سيرد من أقوال العلماء هو من مقالة لمحمد الخليلي، انظر مجلة النشاط الفكري، جمعية التحرير الثقافي، العدد الخامس، السنة الأولى.
(٢) انظر مقدمة المراجعات، ص٨.
(٣) حينها كان الملك فيصل ملكاً على سوريا.
(٤)، (٥) الفصول المهمة في تأليف الأمة، ص٢٠٠، ٢٠٣.
(٦) الإمام شرف الدين، حزمة ضوء على طريق الفكر الإمامي، عباس علي، ص١٢٢.
(٧) انظر مقدمة المراجعات، ص٢٠.
(٨) الإمام شرف الدين، حزمة ضوء على طريق الفكر الإمامي، عباس علي، ص١٣١.
(٩)، (١٠) المصدر السابق، ص١٣١، ١٣٢.

العملية التعليمية في مدرسة النجف العلمية (الحوزة العلمية)

• د. علي خضير حجي

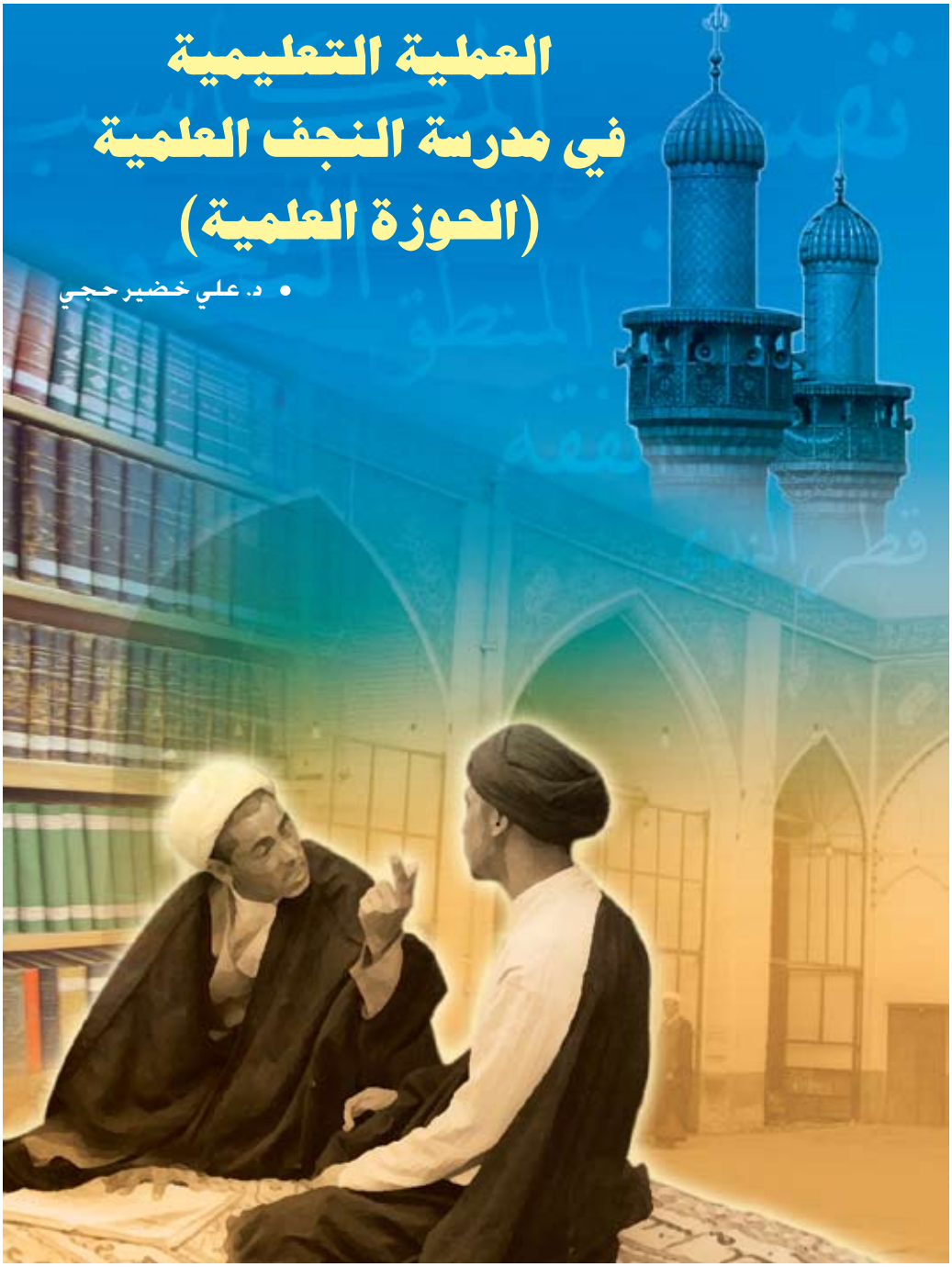

ينابيع تعد المساجد والكتاتيب من أهم مراكز التعليم الإسلامي في العصور الأولى، وقد عرفت فيما بعد.

وكانت المراحل التعليمية التي يمر بها طالب العلم تبدأ من مرحلة الكتّاب وجمعها الكتاتيب، وهي التي يذهب إليها الصبيان ليتلقوا شيئاً من علوم القرآن، والمبادئ العامة للقراءة والكتابة والعلوم الإسلامية، فإذا ما شب طالب العلم عن هذا الطوق ليذهب إلى حلقات العلماء يتابع دراسته ويستكملها بعد التطواف على حلقات الشيوخ يأخذ عنهم، حتى يكتمل علمه ويصبح أهلاً لأن يأخذ عنه غيره، ويجلس منه كما جلس هو من معلميه، والمتعلم حرّ في أن يذهب إلى أية حلقة والى أي شيخ فإذا أتم على شيخ علماً أو مسألة انتقل إلى شيخ آخر، فيكون باب التعليم مفتوحاً لكل من شاء، وتكون مناهج التعليم مختلفة باختلاف الغرض.

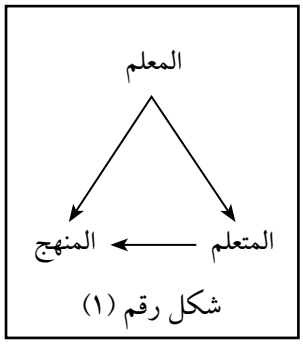

شكل رقم (١)

وتبعاً لذلك ظهرت عدة مدارس علمية منذ القرن الأول الهجري فكانت مدرسة المدينة، ومدرسة البصرة، ومدرسة الشام، ومدرسة الكوفة، ولكل مدرسة منهجاً متخصصاً ومتنوعاً فتلاحظ التخصص والتنوع، في الفقه والحديث والتفسير والنحو وغيرها[1].

حتى إذا جاءت مدرسة بغداد وبلغت ذروتها على يد معلمها الأكبر الشيخ المفيد(ت ٤١٣هـ) فتكامل فيها تدريس العلوم الإسلامية، وتخرج منها الأساطين، كان أبرزهم الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) الذي جاء بمدرسته وهبط النجف عام (٤٤٨هـ) لينذر ببداية العلم والتعليم، والدراسة والتدريس، والبحث والتأليف، والمناظرة والخطابة، فازدهرت النجف بمدرستها العالية منذ ذلك الوقت والى اليوم.

فتشكلت العملية التعليمية المتكاملة والمتمثلة بأركانها الثلاثة:

١- المعلم.
٢- المتعلم.
٣- المنهج.

ويعتقد التربويون أن كل عملية تعليمية لا بد من أن تتضمن الإجابة على الأسئلة التالية:

١- لماذا نعلم؟ و يشير هذا السؤال إلى الأهداف المراد تحقيقها.
٢- من يَتعلّم؟ ويشير إلى المتعلم.
٣- من يُعلّم؟ ويشير هذا السؤال إلى المعلم.
٤- ماذا نتعلّم؟ و يشير هذا السؤال إلى (المحتوى) المادة الدراسية.
٥- كيف نتعلّم؟ ويشير إلى الأساليب التعليمية والأنشطة وطرائق التدريس.

وعطفاً على هذه الأسئلة وبالنظر الى أركان العملية التعليمية انظر شكل رقم (٢، ٣).

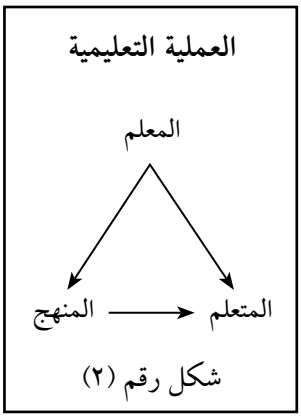

شكل رقم (٢)

ويستمد الباحث إلى شرحها انسجاماً مع حدوث البحث.

أولاً ـ المعلم (الأستاذ):

الأستاذ في الحوزة العلمية شخص عال الجناب يبدأ الدرس واضعاً نصب عينيه حديث رسول اللهﷺ: (لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها).

ومستنيراً بقولهﷺ: (إنما بعثت معلماً)

فتراه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة بنفسها، وهو كالمسك الذي يطيب غيره وهو طيب بنفسه.

يتمتع المعلم في الحوزة العلمية بصفات وكفاءات أبرزها:

١ـ غزارة المادة العلمية.

٢ـ الثقافة العامة.

٣ـ معرفته بطبيعة المتعلمين.

وينقسم المعلم إلى صنفين حسب هذه الكفايات:

أ ـ معلم المقدمات والسطوح:

١ـ يتم اختياره من قبل طلابه بعد أن يتفقون على شيخ معين في مكان وزمان معينين بناءاً على شهرته العلمية التي تتمثل بـ:

أ ـ الأسلوب الواضح.

ب ـ غزارة العلم.

ت ـ الإشكالات المنطقية التي يطرحها أثناء الدرس والتي تفتح ذهن المتعلم وتمرنه على الاستدلال.

٢ـ ينصح المعلم في هذه المرحلة على المتعلمين (حضار درسه) بالتزام بعض الأمور أمثال:

صلاة الليل، قراءة آية الكرسي، قراءة عشر آيات من القرآن، وفي ذلك نوع من الضبط والالتزام.

٣ـ يبدأ المعلم الدرس بعد البسملة والتمهيد للصلاة على النبي بقراءة سورة الفاتحة على مصنف الكتاب الذي يبدأ شرحه.

٤ـ يجلس في مكان مخصص في المسجد أو المدرسة متوسطاً طلابه الذي أحاطوا به على شكل نصف دائرة وتكون مدة درسه (٤٥ دقيقة) في الغالب.

٥ـ يطلق عليه في هذه المرحلة (فاضلاً مشتغلاً)

وهناك صفات وسمات وخصائص ومزايا يتمتع بها المعلم في الحوزة العلمية، ومن أهمها:

١ـ الألتزام بآداب تعليم العلم.

٢ـ تنزيه التعلم عن المطامع الدنيوية.

٣ـ الاتصال بالحياة الاجتماعية.

٤ـ العدل والموضوعية.

٥ـ العناية بالمظهر العام.

طريقة التدريس وهي (المحاضرة وتحليل النص).

ب ـ معلم البحث الخارج (المجتهد):

والمجتهد هو (من كان عالماً بالأحكام الشرعية عن أدلتها التفصيلية بالاستدلال إما بالفعل أو بالقوة القريبة منه) أو هو (العارف باستنباط جميع الأحكام الشرعية من أدلتها الجلية). (الحيدري، ٣١٥).

ومن تحديد هذا المصطلح يتبين أن (المعلم) في البحث الخارج على درجة عالية من الرقي العلمي والإحاطة الكاملة بالمعارف

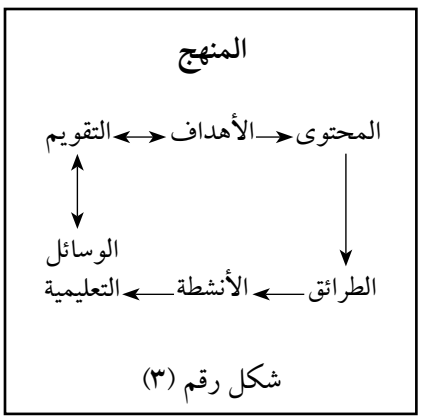

شكل رقم (٣)

العقلية والنقلية التي تمكنه من استنباط الأحكام الشرعية، وهذا يعني مروره بمراحل طويلة من الدراسة ليتسنى له الوصول إلى هذه المكانة السامية.

ويفترق (المعلم) في درس الخارج عن (المعلم) في المراحل السابقة من حيث المقرر إذ يكون في مرحلة الخارج مقتصراً على مادتين فقط هما: الفقه والأصول، فعلى سبيل المثال يكون درس الفقه في الصباح معتمداً على متن (العروة الوثقى) وهو كتاب ألفه السيد محمد كاظم اليزدي (ت١٣٣٧هـ).

وفي المساء يكون الأصول معتمداً على متن (الكفاية) للشيخ محمد كاظم الخرساني (ت ١٣٢٩هـ) الملقب بالاخوند والاخوند كلمة فارسية تعني (رجل الدين).

ثانياً- المتعلم (الطالب):

المتعلم غير مشروط بسن معينة، ولا شهادة مخصوصة، فيدخل الحوزة العلمية من يحمل الشهادات الابتدائية، ومن يحمل الشهادات العليا، فنقطة الشروع واحدة، والهدف واحد، وإنما تتوقف النتائج على ضبط المقدمات كل بحسب جده واشتغاله ومثابرته.

فيكون شروط قبوله، إجادة القراءة والكتابة، وخلوص النية إلى الله عز وجل.

فأول ما يبدأ به المتعلم (الطالب) وأمامه أقوال رسول الله صلى الله عليه وآله:

- (من استوى يوماه فهو مغبون).

- (اطلب العلم من المهد إلى اللحد).

وهذان القولان نظريتان علميتان في التعليم يتبناها الغرب اليوم.

وهاتان النظريتان تجعل المتعلم في الحوزة يعمل دائباً فلا فترة انقطاع ولا راحة، فأيام السنة عنده تنقسم إلى:

أيام اشتغال.. وهي المداومة على الدرس والحضور.

أيام تعطيل... ويراجع فيها ما درس ويقرر ما حفظه.

أوقات الدرس تبدأ عند طلوع الفجر حتى آذان المغرب، وأيام تعطيله تقتصر على شهر رمضان، والشطر الأول من شهر محرم الحرام وأيام وفيات المعصومين عليهم السلام.

أ- في مرحلة المقدمات والسطوح:

ويكون المتعلم ملتزماً بـ (أول العلم الصمت، ثم الاستماع، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم نشره).

فتراه يصغي باهتمام لشرح أستاذه مقدماً إخلاص النية لله عز وجل، موقراً شيخه، محترماً أقرانه، غير مجادل، صبوراً.

ويقوم الطالب في هذه المرحلة بكتابة ما يمليه إستاذه عليه وتسمى بـ(الفوائد) وهو مصطلح له جذر في الحوزة العلمية أو (التقريرات)[٢] وقد تكون الثانية مختصة بمرحلة البحث الخارج.

الوسيلة التعليمية: (هو كتابهُ) فليس هناك وسيلة تعليمية للطالب غير مقرراته المنهجية فهو يستمع إلى شرح أستاذه وينظر إلى متن كتابه فتشترك حاستان في تحصيله العلمي هما السمع والبصر.

والسمع يشكل نسبة ١١٪ والبصر يشكل نسبة ٨٣٪ فيكون المجموع للتحصيل ٩٤٪.

وتكون أنشطته معتمدة على نظام (المباحثة) وهو

نظام له من الإيجابيات الكثيرة على سير العملية التعليمية، وعلى ثبوت المعلومة في ذهن المتعلم إذ يتفق المتعلمون فيما بينهم على إعادة الدرس، فيحضرون في الزمان والمكان اللذين اتفقوا عليهما ثم يتقدم أحدهم فيلقي الدرس كأنه أستاذ للآخرين، وكلهم صاغين لسماعه، ولا يسمحون له باجتياز نقطة من نقاط البحث، ما لم يشبعها بحثاً، فإذا عجز، فإنهم متكفلون بإيضاحها، فإذا عجزوا أجمع، أرجعوها إلى الأستاذ في وقت لا حق.

ب- في مرحلة الخارج:

المتعلم يحضر في هذه المرحلة بعد أن تتكامل أدوات حضوره من ضبط المقدمات والسطوح وتمثل مرحلة الخارج هي مرحلة التحليل والتركيب والتقويم بعد أن اجتاز مرحلة المعرفة والفهم والتطبيق. ويوضح ذلك الشكل رقم (٤).

فالمتعلم يعرف ثم يفهم ثم يطبق ثم يحلل ثم يركب ثم يقوّم.

ثالثاً- المنهج:

المنهج الدراسي هو النظام التعليمي الذي يحدد فيه للمتعلم نوع العلوم التي يدرسها والمقدار اللازم منها بحسب الاختصاص المقصود، وكيفية ترتيبها بغية تيسير الدراسة وتحقيق أفضل النتائج بأيسر السبل وأقل ما يمكن من الجهد والوقت. (الجابري، ١٤١٩، ص٧٥)

وكل نظام تعليمي لا بد أن تتوافر فيه عناصر محددة لترتيب وتيسير وتحقيق أفضل النتائج بواسطة طرائق وأساليب تدرسية موفرة للجهد والوقت.

وقد أجمع علماء المناهج على أن العناصر الأساسية للمنهج التعليمي تتكون من ستة عناصر أساسية متكاملة ترتبط فيما بينها ارتباطاً عضوياً، وهذه العناصر هي:

١- الأهداف.
٢- المحتوى.
٣- طرائق التدريس.
٤- الأنشطة المصاحبة.
٥- الوسائل التعليمية.
٦- التقويم.

وسيتناول الباحث هذه العناصر مع ما يتوافق مع سير العملية التعليمية في الحوزة العلمية بإيجاز:

١- الأهداف: وهي تعني التغيرات المراد إحداثها في سلوك المتعلمين بإضافة معلومات أو إكسابهم مهارات معينة في مجال من

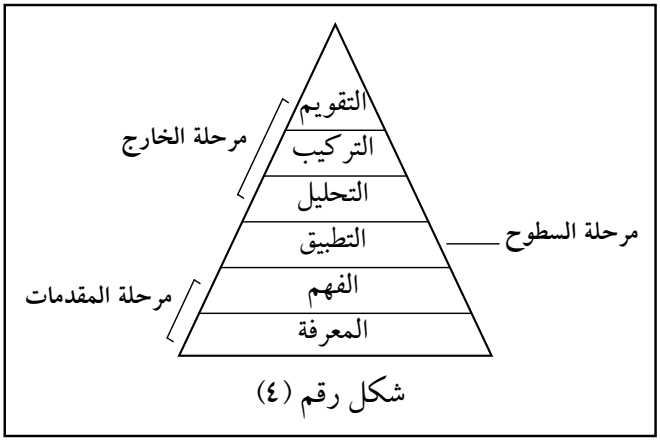

شكل رقم (٤)

المجالات وتنمية مفاهيم معينة لديهم. (عليان وذياب، ١٩٩٠، ص٧٨)

وتعد الأهداف هي مرتكز النجاح لأي منهج دراسي، فهي الدليل للمعنيين بالتنفيذ تيسراً يضمن لهم نجاحهم في مهماتهم، فالأهداف تجعل المعنين على دراية كاملة باللإطار العام الذي يجب أن تسير فيه العملية التعليمية، فهي تدلهم على جوانب الفلسفة للتعليم.

إذن هي تقدم دليلاً يرتكز عليه البرنامج التعليمي، فهي استبصار مسبق للعملية التعليمية.

ومن خلال ما تقدم يمكن إيجاز الأهداف العملية التعليمية في الحوزة العلمية.

الأهداف العامة:

أولاً- إدراك رضا الله (عز وجل) من خلال الاستجابة للنصوص الشريفة التي رويت، من أمثلتها:

-قول الرسول الأكرم: (طلب العلم فريضة على كل مسلم).

-وقول الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: (تعلموا العلم، فإن تعلمه حسنة ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وهو عند الله لأهله قربة، لأنه معالم الحلال والحرام، وسالك بطالبه سبيل الجنة).

ثانياً: الاجتهاد: وهو ملكه يقتدر بها على تحصيل الأحكام الشرعية عن أدلتها التفصيلية.

ويمارس الاجتهاد من تتكامل لديه الأسباب والأدوات اللازمة لبلوغه وهو غاية طلاب العلم.

فهذه الأهداف العامة في عرف الحوزة العلمية وقد تنبثق عن الهدفين أهدافاً خاصة، يمكن اختصارها إلى ما يأتي:

الأهداف الخاصة:

وتتمثل فيما يأتي:

١- إعداد نخبة من رجال الدين المعروفين بالورع والتقى والزهد والعلم والقناعة والعدالة والثقافة الإسلامية، ليقيموا صلاة الجماعة بإمامة المصلين في المساجد، ونقل فتوى المرجعية العليا إليهم، وقضاء احتياجات الناس من العقود الشرعية وحل المشاكل والخصومات ويتجلى هذا الهدف في قوله تعالى: (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة...) (التوبة/ ١٢٢).

٢- إعداد خطباء المنبر الحسيني، وهو جهاز إعلامي في الحوزة العلمية هام، يقومون بمهمة الوعظ والارشاد الديني لمن لا يتسنى له المطالعة والقراءة من عامة الناس، ونقل روايات أهل البيت عليهم السلام. (الراوية لحديثا يشد به قلوب شيعتنا أفضل من ألف عابد).

٣- إعداد الباحثين والمؤلفين والمحققين في الشريعة والعلوم الإسلامية من عقائد، وأخلاق، وفقه، ولغة وبلاغة وهؤلاء يقومون بتسهيل إسلوب الدراسة الحوزوية بشكل مبسط إلى عامة الناس.

٤- طبع ونشر كل ما يؤدي إلى خدمة الدين الإسلامي من مخطوطات، ومؤلفات وإصدار مجلات ونشرات. (ظ، الحكيم، ص٤١-٤٢).

٢- المحتوى: كلمة المحتوى ترادف معنى المنهج بمعناه الضيق، وهو مساوي للمقرر الدراسي.

المحتوى = المنهج (المفهوم الضيق) = المقررات الدراسية.

ويعرف بأنه نوعية المعارف التي يقع عليها الاختيار والتي يتم تنظيمها

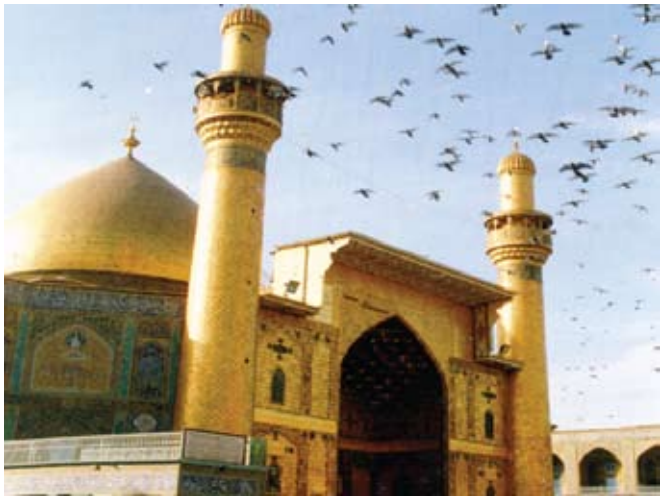

على نحو معين سواء كانت هذه النعارف مفاهيم أو حقائق أو أفكار أساسية، ويعد المحتوى هو متن المضمون الذي يتم في تحقيق الأهداف ويتكون من الحقائق والمفاهيم والمباديء والقوانين والنظريات التي يجب أن يكتسبها الطالب.

والمقررات الدراسية التي لابد أن يدرسها الطالب أو يهتم بدراستها في الحوزة العلمية:

١- النحو.
٢- المنطق.
٣- البلاغة.
٤- الكلام.
٥- علوم القرآن والتفسير.
٦- الفقه
٧- أصول الفقه.
٨- الأدب.
٩- الفلسفة.
١٠- علوم الحديث.

وفي السابق كان يتناول عدد من المناهج (المقررات الدراسية) أمثال:

١- الحساب.
٢- الهيئة.
٣- الهندسة.
٤- الطب.

وتنقسم هذه المناهج الدراسية إلى عدة مراحل دراسية ثلاث[٣]:

١- مرحلة المقدمات.
٢- مرحلة السطوح.
٣- مرحلة الخارج.

وفيما يأتي مخططاً يوضح سير الطالب من مقدماته إلى الاجتهاد عبر مناهج دراسية مقررة في الحوزة العلمية، وهو يمثل الصعود الهرمي للطالب ابتداءً من القاعدة العريضة إلى الخارج. انظر الشكل رقم (٥).

٣- طرق التدريس: تمثل طرائق التدريس عنصراً من عناصر المنهج وهي ترتبط بالأهداف والمحتوى والوسيلة والنشاط والتقويم ارتباطاً وثيقاً.

واتفق القائمون على العملية التعليمية على أن المدرس لا يعلم بمادته فحسب وإنما يعلم بطريقته في التدريس التي تجعل العلم أيسر وأسهل مع توفير الوقت والجهد، وهناك فرق بين الطرائق والأساليب، فقد يستخدم المدرس (المعلم) العرض طريقة فيقدم بها المعلومات لطلبته، لكن عرض المعلومات يمكن أن يتم بأساليب متعددة ويتوقف اختيار الأسلوب على مجموعة من المتغيرات:

١- محتوى المادة.
٢- مستوى الطلبة.
٣- مستوى الأهداف.

وتعرف الطريقة بأنها سلسلة من النشاط الذي ينتج عنه التعلم لدى الطلبة.

ويختلف استخدام طرائق التدريس بحسب المراحل الدراسية، فترى المدرس (المعلم) مراعياً لمستوى

الطلبة، ومستوى أهداف المرحلة ومحتوى المادة الدراسية على النحو الآتي:

أولاً- مرحلة المقدمات والسطوح:

الطرائق المستخدمة:

١- طريقة المحاضرة.

٢- طريقة تحليل النص.

وتعد الطريقة الثانية أكثر الطرائق شيوعاً واستخداماً في مرحلتي المقدمات والسطوح.

ثانياً- مرحلة الخارج:

الطرائق المستخدمة:

١- الطرائق الاستدلالية:

أ- الطريقة الاستقرائية.

ب- الطريقة القياسية.

وهذه الطرق تختلف باختلاف الأستاذ وذوقه في عرض المطالب العلمية والاستدلال عليها.

٣- الطريقة الاستكشافية.

٤- الأنشطة التعليمية: تحتل أنشطة التعليم والتعلم مكان القلب من المنهج لأن لها تأثيراً كبيراً في تشكيل خبرات المتعلم، ومن ثم تغير في سلوكه وتعد أنشطة التعليم والتعلم العنصر الرابع من عناصر المنهج، وتؤثر

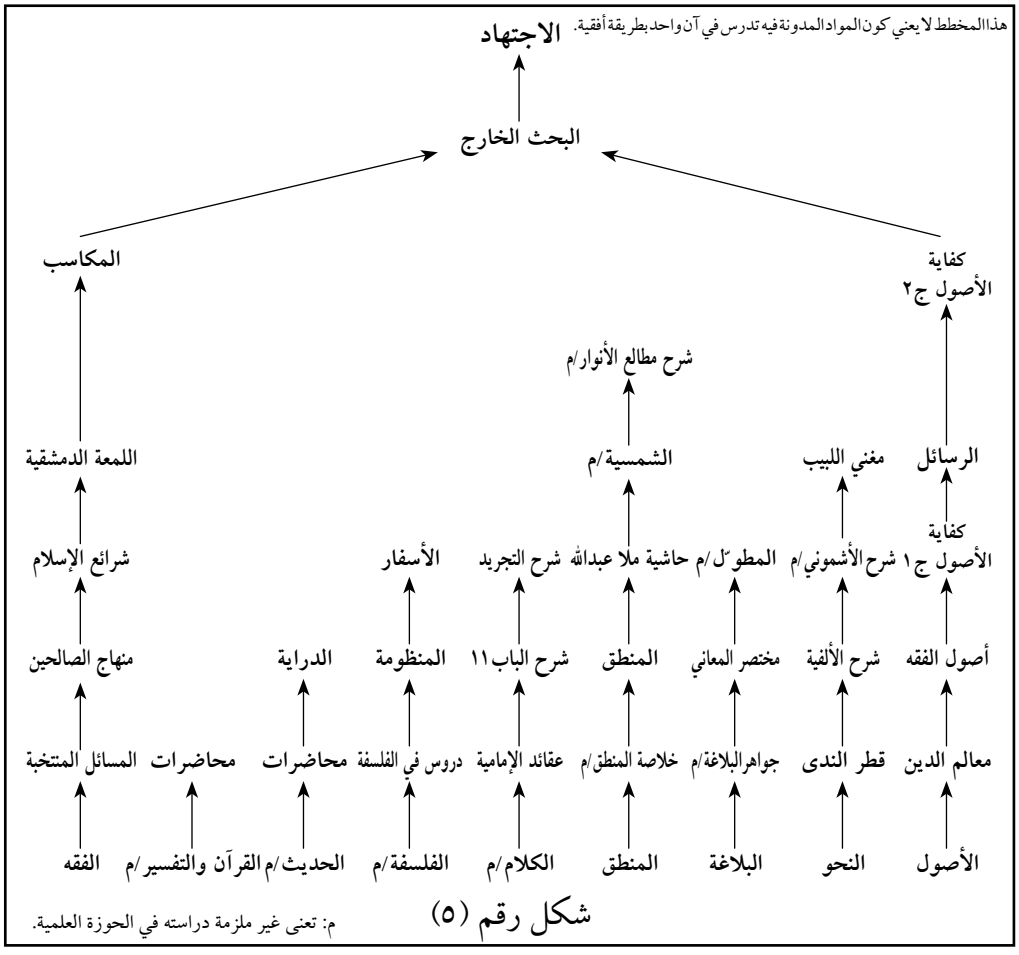

شكل رقم (٥)

م: تعنى غير ملزمة دراسته في الحوزة العلمية.

تأثيراً مباشراً في نتائجه النهائية. وللأنشطة جذورها الإسلامية في التراث الإسلامي حين ترك آية التيمم وعلم رسول الله ﷺ أصحابه التيمم بقوله: (صلوا كما رأيتموني أصلي)، ولعل من أهم أهدافها مساعدة المنهج على تحقيق أهدافها الإسلامية - إشغال وقت فراغ الطلبة بما يفيدهم ويتفق مع ميولهم- .

ويعد (نظام المباحث) أهم الأنشطة التي يمارسها طلاب الحوزة العلمية وهو نظام يعتمد على المذاكرة مع زملائه في الحلقة الدراسية، وتعتمد على أسلوب التكرار مما يزيد في نسبة التذكر لدى الطلبة كما تعتمد على توضيح المبهم والغامض مما يفهمه الطالب أثناء درسه، وقد تسمى اليوم بالحلقة النقاشية (السمنار)في نظام الجامعات العالية.

وكذلك تعد(التقريرات) إحدى الأنشطة التي يمكن ملاحظتها ورصدها.

٥- الوسائل التعليمية:

إن أهمية الوسائل التعليمية تتأتى من خلال تحقيق فائدة للمتعلم، إذ ليس فائدتها في استخدامها، وإنما الفائدة في تحقيق أغراضها في أذهان المتعلمين واحرازالتقدم في استيعاب المادة المعروضة.

وإن هذه الوسائل لها جذورها الإسلامية، فقد روي عن النبي ﷺ أنه خط خطاً وقال: هذا سبيل الله، وخط عن يمينه وعن شماله خطوطاً، وقال: هذه سبل، وعلى كل سبيل شيطان يدعو إليه، ثم تلا قوله تعالى: (وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) (الفضلي، ٢٠٠٣، ص٣١) .

وقدتتنوع الوسائل التعليمية لتشمل الوسائل الكتابية البسيطة المتاحة مثل السبورة والكتاب.. والوسائل المعنوية المتاحة مثل استخدام الأمثلة والقصص.. والوسائل السمعية البصرية مثل الحاسوب وغيرها من الوسائل المتطورة.

وقد كانت الوسائل التعليمية هي الكتاب وهي وسيلة الطالب الوحيدة، فهو يقرأ المتن، ويسمع الشرح لترتكز المعلومات في ذهنه فيكون التحصيل جيداً.

وتشترك فيها الحاستان:

السمع بنسبة ١١٪

البصر بنسبة ٨٣٪

فيكون مستوى التحصيل ٩٤٪

أما اليوم فمع وجود التقنيات الحديثة ودخول الحاسوب إلى الحوزات الأخرى أمثال حوزة قم، وحتى مؤخراً الحوزة العلمية في النجف، وشبكة المعلومات العالمية (الإنترنت)فقد أصبح الطالب يعتمد كثيراً على ذلك، وقطعاً ذلك له آثار الإيجابية في عملية التعلم والتعليم.

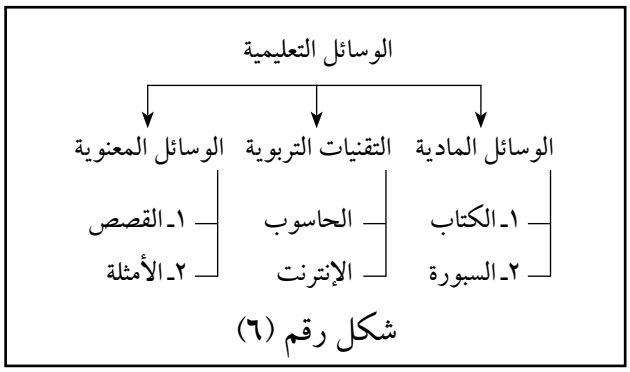

شكل رقم (٦)

انظر الشكل رقم (٦).

٧- التقويم: التقويم بمفهومه العام (عملية يقوم بها الإنسان أو الجماعة لمعرفة مدى نجاحه أو فشله عندما عندما يقوم بعمل ما).

وقد ورد في القرآن الكريم (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بماً تفعلون).

وفي مأثوراتنا الإسلامية: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا). والتقويم في عملية الندريس هو عملية يعرف بها القائمون على أمر التعليم مدى ما حققه الطالب خلال دراسته والمستوى الذي وصل إليه وتقدمه ومدى اكتسابه للمعلومات والمهارات التي تلقاها.

وتتجلى أهمية التقويم في أنه: يقرر نتائج الطلبة وهو النوع المألوف لدى المدربين والإداريين ويتم عن طريق اختبار وقياس وتقدير تحصيل الطلبة مشخصاً التقدم الذي حصل عنده مقارنة مع النتائج ومعدل الدرجات التي حصل عليها باقي الطلبة.

ويتميز التقويم في حوزة النجف من خلال أمرين:

١- الإمتحانات التي يمر بها الأساتذة في مرحلتي المقدمات والسطوح، وهو (إمتحان نزيه ينتهي بمعرفة درجات الطالب بدون إخفاء، فإن الإمتحان فيها لا يتخلله شيء من الغش ولا الرشوة ولا الوساطة، ولا مراعاة في قرابة، ولا محاباة لصديق، ولا تستطيع السلطة أن تنفع الطالب، لأنه عندما يتشفع بها يسقط من جهة أخرى سقوطاً محتماً). (ال الفقيه، ب. ت، ص١٢٠).

٢- تقويم أستاذ البحث الخارج (المرجع الديني) أثناء إلقاء دروسه ومحاضراته الإستدلالية على طلبته، فيعرف مقدار التحصيل للطالب من خلال:

أ- طرح إشكالياته المنطقية.

ب- كتابة تقريراته بدقة، وهو أمر يصعب اجتيازه إلا من كان له القدرة العالية على الحفظ والاستيعاب ■

المراجع:

١- آل الفقيه، محمد تقي، جامعة النجف في عصرها الحاضر، ط١، ب. ت.

٢- الجابري، كاظم بغية المتعلم من آداب التعلم، ط١، بهمن، ١٤١٩هـ.

٣- الحيدري، علي تقي الكاظمي، أصول الاستنباط، ط٢، بغداد، ١٩٥٩.

٤- الحكيم، محمد باقر، الحوزة العلمية، ط١، إيران، ١٤٢٤هـ.

٥- عليان، هشام عامر، وهندي صالح ذياب، دراسات في المناهج والأساليب العلمية، عمان، ١٩٩٠.

٦- الفضلي، عبد الهادي، التربية الدينية، دار التعارف، بيروت، ٢٠٠٣.

٧- الطهراني، آغا بزرك، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، النجف، ١٣٥٥.

الهوامش:

(١) لسنا بصدد بيان تاريخية المدارس.

(٢) التقريرات: عنوان عام لبعض الكتب المؤلفة من أواخر القرن الثاني عشر ونعده حتى اليوم وهو نظير الأمالي في كتب الحديث للقدماء، والفرق إن الأمالي تكتب في مجالس إملاء الشيخ للحديث عن كتابة أو عن ظهر قلبه، وكان السامع يصدر الكتاب باسم الشيخ، ويعد من تصانيف الشيخ، بخلاف التقريرات فإنها مباحث علمية يلقيها الأستاذ على تلاميذه عن ظهر قلب ويعيها التلاميذ في حفظهم ثم ينقلوها إلى الكتابة في مجلس آخر، ويعد من تصانيفهم. (الطهراني ٤/ ٣٦٦).

(٣) ومنهم يعدها مرحلتان فقط.

فن الإلقاء والخطابة

• الأستاذ محمد علي هاشم

ينابيع الفن ككل ألوان المهارة والنتاجات الثقافية التي تتناقلها الناس والتي تستخدم عادة لإثارة الخبرة الجماعية المرضية.

فالفن: هو محاولة الشخص ليعبر للآخرين أو ينقل إليهم خبرته الماضية أو اتجاهاته ومشاعره وأفكاره الحاضرة ويجعلها محسوسة أو مجسمة بطريقة يمكن إدراكها.

أما الإلقاء: فهو المهارة الفنية في استغلال الصوت البشري بما يخدم الإنسان في تعامله واتصاله مع الآخرين بشكل جميل وممتع ومثير.

ويعرفه البعض بأنه: المهارة الفنية والمعرفة العلمية في كيفية تطويع الصوت البشري الخام إلى حروف وكلمات وتراكيب وجمل تتجسد فيها روح الجمال والإبداع والتأثير.

أما الخطابة فيعرفها البعض بأنها: الكشف عن

الطرق المختلفة للأوضاع في أي موضوع كان.

أهمية تربية الصوت وفن الإلقاء بالنسبة للخطيب والمبلغ:

إن تربية الصوت وفن الإلقاء ذا أهمية كبيرة للمبلغ إضافة إلى صفات أخرى أساسية كإنسان واع ومدرك ويشعر بالمسؤولية أن كيف يتكلم ويبلغ ويعبر عن أفكاره بلغة سليمة ذات عبارة دقيقة المعنى جميلة الواقع رشيقة الأسلوب يتوفر فيها الجرس الموسيقي والبلاغة والفصاحة في الاقتصاد والإيجاز.

إن معرفة المبلغ الواعي لفنون لغته وكيفية نطق الحروف والأصوات المكونة لبيان اللغة بما يلائم الموقف ويناسب الحالة وينسجم مع الذوق العام إنما يوفر قفزة نوعية بعمله التبليغي.

إن فن الإلقاء سلاح خطير ذو حدين يمكن أن يستغله الظالم الجائر والمستعمر الكافر لإقناع الجمهور بقبوله وكذلك يستعمله المصلح والمبلغ للوصول إلى هدفه الصالح ولكن كم من هؤلاء المبلغين من تغلي في أعماقه الأفكار الخيرة والمشاعر الإصلاحية النبيلة بيد أنه لا يستطيع إيصالها إلى الآخرين.

وفي المقابل كم من علم قليل ومعلومات بسيطة لكنها تستثمر بصوت جميل وإلقاء فني فيكسب قلوب الجمهور وإعجابهم ويشتري آرائهم أكثر بكثير ممن هو مملوء علماً دون أن يجيد هضمه وطرحه بالشكل المطلوب بل وكم من عالم ومؤلف ومحقق لا يستفيد من عمله إلا الخاصة لأنه لا يستطيع مواجهة الجمهور.

إن فن الإلقاء ضروري لكل شرائح المجتمع وليس للمبلغ والخطيب فقط إنه ضروري للقاضي والمحامي والأب والمدرس بل حتى البائع .فالمدرس مثلاً مهما يكن متمكناً من مادته وعلمه وتجربته فإنه لا يستطيع التوصيل الجيد إلى طلبته إن لم يكن عالماً بطريقة التدريس وأسلوب التوصيل يتمثل بالصوت الهادىء والإثارة واليقظة المستمرة.

إننا نعلم أن النغم الصوتي أو (الكلمة) تمر بأربع مراحل:

الأولى :مرحلة التحريك:

ويمثل الزفير الذي يخرج من رئتي الإنسان ليحرك الوتر في الحنجرة ويظهر الصوت.

الثانية :مرحلة التصويت:

ويمثل الوتران الصوتيان الموجودان في الحنجرة أو الضيق الذي يتولد بينهما أو بين عضوين أو أكثر من الأعضاء الذي تكون الحروف ويخرج الصوت في هذه المرحلة ضعيفاً يحتاج إلى تقوية وتفخيم يتمان في المرحلة التالية.

الثالثة :مرحلة التقوية:

وتعرف أدائها بالمفخم وتكون بالتجاويف الأنفية والفموية والبلعومية.

الرابعة: مرحلة التشكيل:

والأعضاء التي تقوم بهذه المهمة هي: اللسان، الشفتان، الأسنان وأعضاء غيرها لها علاقة بتشكيل الحروف.

وهذه الأعضاء التي هي أساس تكون الكلمات إنما هي متكونة من أنسجة وغضاريف وعضلات.... الخ فهي يمكن أن تنمو وتكبر وتتوسع وتزداد فعاليتها من خلال التمارين ويمكن أن يحدث العكس فتصاب بالضعف والكسل

والضمور عند عدم تمرينها بالقسط المطلوب من الحركة والنشاط فلا بد إذن من تمرينها وتطويرها بعد المعرفة التشريحية لكل عضو وبالطبع إن لكل عضو تمرين خاص يراه المختصون ضرورياً لطبيعة الإلقاء والارتقاء به.

تمارين على تقوية الصوت:

هناك تمارين وضعها المختصون لتقوية الأعضاء المسؤلة عن الصوت منها:

١- تمرين المضغ: وهي محاولة المتمرن أن يتمثل بابتلاع لقمة كبيرة ولابد مضغ تلك اللقمة بشكل عضلي مبالغ فيه.

فتكرار هذا التمرين يومياً سوف ينشط أنسجة عضلات التجويف الداخلي للفم وعضو اللسان في نفس الوقت والدليل على استيفاء التمرين اليومي هو الشعور بتعب عضلات التجويف الداخلي للفم بشرط أن لا تقسر تلك العضلات أكثر من اللازم في التعب والإجهاد الكبيرين.

٢- تمرين اللسان: وهو مد اللسان إلى الأمام بأطول مسافة ممكنة عدة مرات يومياً وذلك لتنشيط هذا العضو فيجعله ذا حيوية وفعالية ومقدرة في إنتاج الحروف التي يقوم بها. وبكسل هذا العضو يسبب مشاكل كثيرة في إنتاج الحروف.

٣- تمرين الواو: إن أحسن تمرين لتوسيع التجويف الداخلي للفم هو تمرين نطق الواو بأوسع فتحة ممكنة عند نطق هذا الحرف حيث يوفر هذا التمرين المتعدد غرفة رنين ومجالاً أوسع لحركة اللسان الفكين.

أسلوب الإلقاء الخطابي:

يعتمد الأسلوب الخطابي على طبيعة الخطابة وموضوعها والجمهور المتلقي. وعلى المكان الذي تلقى فيه.

فلابد أن يعرف الخطيب تلك العناصر قبل الأقدام على إلقائها كما لابد أن يضع أمامه الهدف الذي جاء به وهو إقناع المستمعين بموضوعها أو آثارهم. ولو تتبعنا الأساليب الإلقائية عند العرب وخاصة عند خطبائهم وملوكهم لوجدنا إن لهم أسلوب وقواعد فنية وعلمية سواء كان في أيام الجاهلية أم بعد ظهور الإسلام وهو الأسلوب الذي ملكوا به قلوب الناس وإثارة حميتهم.

يعتمد الأسلوب الخطابي بالدرجة الأولى على إيصال المشاعر أكثر من اعتماده على نقل المعاني وعلى هذا الأساس لا بد للخطيب من أن يدرس العوامل النفسية التي تحرك نفوس المستمعين وطباعهم. وكلما كان الشعور موحداً لدى المستمعين وكانت روح الجماعة مسيطرة عليهم وتوافر الإيمان بالخطيب سهلت إثارة العواطف.

فالخطبة تنقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي:

أولاً - المقدمة: أو ما يعبر عنه بالتمهيد للموضوع ولا بد أن تكون المقدمة تحتوي على عناصر التشويق وإثارة انتباههم. والمقدمة وعنصر التشويق يختلفان باختلاف المناسبة.

فالخطبة الحربية تختلف عنها في المأساوية أو الحزينة وكذلك يختلفان عن الخطبة العقائدية أو الوعظية وكما إن الخطبة تختلف عن القصة وكلاهما يختلفان عن المجلس الحسيني الذي لابد أن يحتوي على جميع ضوابط الإلقاء مثلاً.

وعلى المبلغ الإسلامي قبل أن يتعلم أصول الإلقاء ومنهجيته من (بروتس) أو

(شكسبير) مثلاً الذين يستشهد بهما وبأمثالهما كتابنا ومفكرينا ومؤلفيها فليستفد ذلك من القرآن الكريم الذي احتوى كل أصول الإلقاء والخطابة وكل أنواع القصة وأساليبها ويستفاد من خطب الرسول صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام بل إن التاريخ مملوء بأسماء مشاهير العرب الذين كانوا يتفننون بالإلقاء وأساليبه.

ففي القرآن مثلاً لو اطلعنا على فن القصة لوجدنا إن عصر التشويق مثلاً في قصة يوسف عليه السلام كان هو المرأة وبطلها يوسف عليه السلام بينما لا نجد ذلك في قصة أصحاب الكهف الذي كان لها أسلوب تشويقي لم يتوصل إليه كتاب القصة إلى يومنا هذا حيث إن عنصر التشويق نراه من الظاهر منعدماً لكنها تتصف في التشويق من حيث لا نعلم وبعد المقدمة التي بها يثير الخطيب انتباه المشاهدين لابد من التسلل إلى الموضوع وهو القسم الثاني والذي هو مجمل الأفكار الرئيسية التي يريد طرحها على مسامع المجتمعين.

أما القسم الثالث الخاتمة: فهي الجمل التي تحتوي على النتائج التي يتوخاها الخطيب من خطبته أو القرارات التي يصل إليها.

إن تعيين أماكن الوقف يساعد على السيطرة على تنفسه وتعيين مواقع تغيير الطبقة الصوتية ويساعد الخطيب على عدم إيذاء حنجرته عند اضطراره للصعود بالسلم الصوتي وهذا أولا.

وثانياً: تعيين الجمل والكلمات التي تحتاج إلى التركيز.

ثالثاً: تعيين سرعة الإلقاء حتى لا يضيع الأمور المهمة في مقطع معين دون الأخر حيث يعيّن الخطيب المقاطع التي لا أهمية لها فيسرع في إلقائها.

رابعاً: معرفة نوع الخطبة لتحديد الأسلوب الذي يستخدم عند إلقائها.

وهذا ما نتناوله في الفقرة التالية من كلامنا.

ضوابط إلقاء الخطبة:

يرتبط أسلوب إلقاء كل خطبة بنوعها. فالخطبة السياسية لا تلقى بنفس أسلوب الخطبة الدينية ولا بنفس إلقاء الخطبة القضائية. ويتحدد الأسلوب بثلاث نقاط مهمة:

١ـ ملائمة المعاني:

ففي الخطبة الحربية على سبيل المثال يحتاج إلى قوى صوتية زائدة وطبقات صوتية عالية والى تسارع في الأداء بينما لا تحتاج الخطبة الدينية إلى مثل ذلك. فالصوت فيها دافيء والسرعة بطيئة.

٢ـ ملاءمته للسامعين:

فلابد للخطيب أن يراعي نوعية السامعين وثقافتهم ومقدار تقبلهم للموضوع المطروح.

٣ـ ملاءمته الخطيب:

فلابد للخطيب أن يعرف قدراته الخطابية ومدى قوة صوته. ويتأكد من ضبطه قواعد اللغة ويعرف الطبقة الصوتية التي يبدأ بها الخطبة وأن يوازن بين قوة صوته وحجم المكان الذي هو فيه وأن يعين أماكن الوقف وأماكن أخذ الشهيق وأماكن التركيز. وأن يهتم بالوضع الصحيح أثناء الإلقاء كما يلاحظ إشاراته وأن لا يكثر منها وأن يكون دقيقاً في ملاءمة الإشارة لمعاني الكلمات التي يلقيها ■

كنوز يكشفها العلم الحديث

• علاء الدين صبحي السلامي
باحث في كلية العلوم/ جامعة الكوفة

ينابيع لعل قارئ العنوان يتبادر إلى ذهنه أول وهلة بأن سبائك من الذهب أو الجواهر النادرة اكتشفت في هذا العصر بواسطة العلم الحديث..

ولكن الذي اكتشف بأن هناك كثير من الأسرار والغيبيات أثبتها العلم اليوم وعلى مختلف العلوم سواء كانت على مستوى العلوم الأدبية والفلسفية والبلاغية أو على مستوى العلوم الصرفة من علوم فيزياء وكيمياء وطب وصيدلة وعلوم بايلوجية جاءت في عديد من صفحات القرآن الكريم منها قوله سبحانه وتعالى (ألم تروا إن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) (لقمان: ٢٠).

لذا فقد شرع الإنسان باستخدام جميع المواد والأشياء التي تقع عينه عليها منذ قديم الزمان وحتى الوقت الحاضر إما بفطرته أو عن طريق درايته من التجربة والممارسة وعلى العموم فأغلب البشر يميل إلى أخذ الجاهز أو السهل من الأدوات والمواد...

ونتيجة تطور الحضارة البشرية ومنذ الثورة الصناعية أخذ البشر باستخدام كثير من المواد

الصناعية التي أعطت كثير من النتائج الإيجابية لذلك اعتقد الكثيرون نتيجة لهذا التطور في فروع الكيمياء فإن الأدوية المصنعة ذات الأصل الكيميائي سوف تحل مشاكل كبيرة في علاج الكثير من الأمراض المزمنة وكان من المتوقع أن يتراجع المرض أمام هذه الثورة الكاسحة من المواد الكيميائية المصنعة في علم العقاقير، لكن الذي حدث هو العكس تماماً فقد ظهرت عدد من التأثيرات الجانبية نتيجة للإستعمال الخاطيء وغير العقلاني لهذه المواد لذا بدأت العديد من الدول الأوربية وأمريكا بالتفكير في بدائل تحل محل هذه المواد الكيميائية وبدأت توصيات المؤتمرات العلمية المخصصة بالنباتات الطبية تدخل مرحلة التنفيذ الفعلي إذ كان هدفها الرئيسي هو البحث عن نباتات جديدة تكون مصدراً للدواء وذات تأثير جانبي قليل...

ونتيجة لظروف الحصار الاقتصادي الذي فرض على شعبنا في زمن النظام السابق فقد سارع ثلة من الباحثين العراقيين في بلدنا العزيز ومنذ ذلك الحين بالبحث عن بعض النباتات الطبيعية الممكن تداولها لتحل محل العقاقير الضارة... وفي مقالات لاحقة سوف نتناول بعض هذه النباتات الطبيعية، ومن بين تلك النباتات التي سلطنا الضوء عليها حالياً هو نبات الحلبة إذ يعد هذا النبات من النباتات الطبية كثيرة الاستعمال فهو نبات حولي عشبي يحمل أزهاراً بيضاء وثماراً رفيعة وطويلة تحتوي على بذور صفر مخضرة ودائماً الجزء المستعمل هو البذور الجافة ويبلغ ارتفاع العشب إلى ما يقرب (٥٠ ـ ٧٠) سم وغالباً ما تستخدم أوراق هذا النبات في كثير من الأكلات الشعبية العراقية أما في تسمية وانتشار هذا النبات فله أسماء شائعة في أنحاء متعددة في المعمورة قد تصل إلى أكثر من ثلاثين اسماً حسب البلد أو المكان الذي توجد به فعلى سبيل المثال يعرف بالهند (مجيكا) أو (جندريكا)، وفي بلاد فارس بـ(السمبليل)، أما في الوطن العربي يعرف بالحلبة، أما الإسم العلمي لهذا النبات في كتب الباحثين هو (Trigonella Feanum ـ Graceum) وإن الوطن الأصلي لبذور الحلبة ونباتها هو بلاد الهند وبعض بلاد آسيا وجنوب أوربا كما عرفت أيضاً في مصر وحوض البحر الأبيض المتوسط وفي شمال أفريقيا وبلاد المغرب العربي، وعند دراسة المحتوى الكيمياوي لنبات الحلبة وجد أنه متكون من ٢٨٪ مواد صمغية وسكريات (مثل كلوكوز ونشأ) و٢٢٪ زيوت طيارة (مثل المين وسليلينين) وبعض القلويدات (مثل ترايكونيلين وكولين) أما ٥٠٪ الأخرى فهي تمثل البروتينات والفيتامينات المتواجدة بكثرة في داخ نبات الحلبة (مثل فيتامينات: B_{12}، D، C، B_6) وبعض المعادن الأخرى من كالسيوم ومغنسيوم وصوديوم وزنك وفسفور وسليكون وحديد). أما الأهمية الطبية لنبات الحلبة يمكن إجمالها كالآتي:

١ـ الجلد (Skin):

يستعمل مسحوق الحلبة بوصفه علاجاً جلدياً إذ يستعمل لعلاج الدمامل والخراج النتن وتستعمل أيضاً للتقليل من تهيج الجلد والإلتهابات الجلدية فضلاً

من فائدتها في زيادة قوة بصيلات الشعر والتقليل من فرص سقوطه وبذلك ينصح باستعمالها لعلاج بعض حالات الصلع كما تفيد بذور الحلبة في غسل الجلد المتشقق وزيادة نعومته وطراوته في حين أن زيت الحلبة يساعد على إزالة تجاعيد الوجه.

٢- الجهاز التنفسي (Respiratory System):

أثبتت بأنها تعالج أمراض كثيرة تصيب الجهاز التنفسي فهي تعمل على علاج التهاب اللوزتين والتقليل من التهاب الحبال الصوتية والقصبات ولتسكين حدة السعال وعلاج بعض أمراض الربو والتدرن الرئوي والتهاب الجيوب الأنفية.

٣- الجهاز الهضمي (Digestive System):

فكما ذكر سابقاً فإن بذور الحلبة تحتوي على زيوت ومن أمثلتها نيورين وترايمثيلين ووجد أنها تعمل على تحفيز زيادة تناول الغذاء مؤدياً إلى السمنة ووجد أنها تعمل أيضاً على التقليل من التهاب الأمعاء وزيادة الإفراز المعوي.

٤- تأثيرات أخرى:

أثبتت دراسات كثيرة أن نبات الحلبة فعّال في خفض مستوى السكر والكولسترول في علاج مصل الدم للفئران والجرذان المختبرية، وتناولت هذه الدراسات أيضاً عمل الحلبة في علاج بعض حالات ارتفاع السكر والكولسترول المستحدث بمادة الألوكسان (Aloxane) وأثبتت فاعليتها في خفض مستوى السكر والكولسترول في الدم وكما ذكرنا إن بذور الحلبة غنية بأيونات الحديد وفيتامين A وD التي تسهم إسهاماً كبيراً في زيادة نسبة الهيموكلوبين في الدم للأشخاص الذين يعانون من حالات فقر الدم (Anaemia) وهي حالة مرضية تسبب ضعف البصر وأيضاً ذات تأثير في الأشخاص الذين يعانون من التهاب العظام (Osteomyelitis) ووجد الباحثون أنها تساعد على تقليل تلك الالتهابات.

كما أن هناك بعض المواد الفعالة في نبات الحلبة مثل ترايكونولين وحامض النيكوتين لذا فإن لها فعالية كبيرة في القضاء على الكثير من الجراثيم البكتيرية والفطرية التي تصيب الجسم، كما أكدت دراسات متعددة امتلاك الحلبة صفات مدررة للبن الأم وقد لوحظ ذلك من خلال زيادة كمية الحليب المطروحة لدى النساء اللواتي تناولن بذور الحلبة ووجد أيضاً أن لها تأثيراً بالغاً في زيادة هرمون البرولاكتين. وفي دراسة أخرى تناولت مجموعة من الأسر التي تعاني من زيادة الضغط وبعض أمراض القلب، وجد أن إعطاء بذور الحلبة إلى هؤلاء الأشخاص يساعد على خفض ضغط الدك لديهم. والتقليل من تركيز البروتينات الدهنية واطئة الكثافة (LDL) مما يؤدي إلى التقليل من خطورة الإصابة بتصلب الشرايين. ونشر أحد الباحثين في بحثه بشأن بذور الحلبة في الجهاز البولي أنها تخفف آلام المغص الكلوي وإنزال الحصى مع البول ويزيد في إدرار البول. وبحوث أخرى أثبتت فعالية بذور الحلبة كونها مضاداً لبعض الطفيليات التي تصيب الإنسان ومنها طفيلي الملاريا حيث يثبط فعاليته، وأثبتت أيضاً هذه البذور فاعليتها في التقليل

من حدوث الطفرة الوراثية ومعامل انقسام الخلايا ونتيجة لذلك تقل حالات التسرطن ولاسيما سرطان الثدي.

وكنتيجة إلى أرضية البحوث المنشورة حول تأثيرات نبات الحلبة في معظم الأجهزة للجسم وما ذكرته كتب ومؤلفات الكثير من العشابين والعطارين ولاسيما ما جاء من داود الأنطاكي في تذكرته والشيخ الرئيسي ابن سينا في كتابه القانون في الطب وأيضاً ما ذكره ابن قيم الجوزية في كتابه الطب النبوي وما ذكرته الكتب والمؤلفات من تأكيد الرسول الكريم على الإستشفاء بكثير من النباتات، ففي الجعفريات بإسناده إلى موسى بن جعفر عن أبيه عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله إنه قال: (تداوو بالحلبة، فلو تعلم أمتي ما لها في الحلبة لتداوت بها ولو بوزنها من الذهب).

فقد أجريت دراسة حديثة في أحد مختبرات كلية العلوم لجامعة الكوفة حول استخدام مستخلص لنبات الحلبة ولوحظ تأثير هذا النبات في فعالية الجهاز التناسلي فقد أثبت هذا البحث الذي أجري على حيوانات مختبرية فكانت الذكور لهذه الحيوانات المعاملة بمستخلص بذور الحلبة قد أعطت نتائج إيجابية هائلة منها:

١- زيادة في عدد النطف من نطف الحيوانات غير المعاملة بمستخلص الحلبة وهذا ممكن عكسه على البشر الذين يعانون من قلة النطف فيمكن أن يؤدي إلى زيادة عدد النطف عندهم والتقليل من نسبة العقم.

٢- زيادة في النسبة المئوية للنطف الحية والنسبة المئوية للنطف السوية ونقصان في النسبة المئوية للنطف المشوهة والنسبة المئوية للنطف الميتة وهذا أيضاً يمكن عكسه على البشر الذين يعانون من قلة في النسبة المئوية للنطف الحية والسوية وزيادة في النسبة المئوية للنطف الميتة والمشوهة وبالتالي زيادة في نسبة القدرة على التخصيب.

٣- زيادة في وزن الجسم الكلي ووزن الأعضاء التناسلية (الخصية والبربخ).

أما أناث الحيوانات المختبرية فقد كانت النتائج بها هي:

أ- زيادة في وزن الجسم الكلي وأوزان الأعضاء التناسلية (المبايض والأرحام)، وعكس هذه النتيجة على النساء اللواتي لديهن ضعف في المبايض والأرحام وممكن الاستفادة من استخدام الحلبة.

ب - وعند اختبار الأناث المعاملة بمستخلص الحلبة بعد تزاوجها مع الذكور غير معاملة طبيعية فقد أثبت المستخلص للحلبة جدارته في زيادة النسبة المئوية للحمل وإعداد الأجنة.

وعند إجراء دراسة نسيجية لتقصي الفعل الحقيقي لمستخلص الحلبة في هذه الحيوانات وخصوصاً على مستوى الأعضاء التناسلية كانت زيادة في أعداد الخلايا الجرثومية لانقسام الخلايا النطفية وصولاً إلى النطف الناضجة وكذلك زيادة في قطر البربخ مما يعني زيادة في عدد النطف في ذكور الحيوانات المختبرية أما أناث الحيوانات كانت الدراسة النسيجية مذهلة أو هائلة وهو زيادة في أعداد الجريبات المبيضية الأولية والثانوية ووصولاً إلى جريبات كراف التي تعتبر هي البويضات

الناضجة والمهيئة للتلقيح من قبل الحيامن وقد وصل أعداد هذه البويضات في إحدى التركيزات المستخدمة في الدراسة إلى (١٦) بيضة ناضجة عن مجموعة السيطرة في الحيوانات غير المعاملة حيث كانت (٤) بيضة ناضجة وهذا يعطي مؤشراً بأن الحلبة قادرة على زيادة الجريبات المبيضية وهذا مهم جداً على النساء اللواتي تعاني من قلة في أعداد هذه الجريبات المبيضية وهذا ما أكدته الزيادة في أقطار المبايض لهذه الحيوانات المعاملة وفي سمك طبقتي الرحم لأن زيادة سمك الرحم يعني زيادة في الهرمونات الطبيعية المؤثرة على عدد هذه الجريبات الناضجة وتهيئة الرحم لإستقبال البيضة المخصبة ونموها داخل الرحم وهذا أيضاً عكسه على النساء اللواتي تعاني من اختلال الهرمونات الجنسية والتي عند أخذها أو تناولها للحلبة سوف يعطي نتائج إيجابية.

والمحصلة النهائية لهذا البحث هو الكنز الذي اكتشفه العصر الحديث باستخدام العلوم الحديثة عن الغيبيات التي أخبر عنها نبي الرحمة الرسول الكريم محمد ﷺ وناهيك عن التطبيقات العملية لهذا الاكتشاف والاكتشاف الحقيقي الذي ثبت يوماً بعد يوم وعصر بعد عصر هو رسالة النبي الكريم من خلال كثير من الآيات القرآنية إذ قال سبحانه وتعالى: (إن هو إلا وحي يوحى ❖ علمه شديد القوى) سورة النجم: ٤-٥.

ويثبت أيضاً صحة الإمامية التي نعتقد بها إلى أئمتنا الإثنى عشر من خلال أفعالهم وأقوالهم ورواياتهم التي تتحقق الآن وغداً وفي المستقبل (اللهم اجعلنا من المتمسكين بهم) ■

المصادر:

١- شبع، شاكر، ٢٠٠٢، طب الإمام الكاظم، دار النشر للطباعة والنشر.

٢- السلامي، علاء الدين صبحي، ٢٠٠٤، تأثير مستخلصي خلات الأثيل والكحولي الأثيلي لبذور نبات الحلبة في خصوبة ذكور الفئران البيض وأناثها. رسالة ماجستير كلية العلوم/ جامعة الكوفة.

استخ

ينابيع

إن تسوس الأسنان من المواضيع المهمة والتي تحتل الصدارة في اهتمام الباحثين في مجال طب الأسنان، ويعد هذا المرض مشكلة بالغة الصعوبة تواجه ذوي الإختصاص. يحدث المرض بسبب نشاط الجراثيم الموجودة في الفم (Oral Flora)، ومن أهم تلك الجراثيم المكورات السبحية (Streptococcus Mutans).

تنتشر هذه الجراثيم بشكل واسع في الطبيعة، فهي موجودة في الحليب ومشتقاته، والغبار والماء والخضر والسبيل المعوي للحيوانات وكذلك الإنسان، وهذه الجراثيم موجبة لصبغة كرام، غير متحركة، غير مكونة للأبواغ، وهي من الجراثيم الشرهة التي تحتاج إلى الدم أو مصل الدم لكي تنمو، تترتب هذه الجراثيم بهيئة سلاسل وتنقسم هذه المكورات بمستوى عمودي على المحور الطولي للسلسلة ويختلف عدد هذه

دام مستخلصات المسواك

كوسيلة بديلة لمنع مرض تسوس الأسنان

• الأستاذ عدي الذبحاوي
باحث في كلية العلوم/ جامعة الكوفة

الجراثيم اختلافاً معنوياً بين الأطفال الذين يعانون من تسوس الأسنان والأطفال الأصحاء.

تلتصق هذه الجراثيم على سطح السن بعد تحويل مركبات الدكستران (Dextran) وهي مركبات عديدة السكريات (Polysacharides) تحيط بهذه الجراثيم على هيئة محفظة تساعدها على الإلتصاق بسطح السن، تعمل هذه الجراثيم على تحويل السكروز وباقي السكريات القابلة للتخمر إلى الدكستران بفعل إنزيم (Glycosyltransferase). يعد سكر السكروز من أهم السكريات التي لها علاقة وثيقة بتسوس الأسنان والسبب في ذلك هو إن السكروز يعمل على زيادة نفاذية الصفيحة الجرثومية (Dental Plaque) فضلاً عن كونه سكر قابل للتخمر. ومن جهة أخرى تعمل هذه الجراثيم على تخمير هذا السكر وانتاج حوامض ومن بينها حامض اللاكتيك (Lactic Acid) وتختلف حساسية الأسنان لفعل هذه الحوامض.

إن إنتاج حامض اللاكتيك بكميات كبيرة من بقايا الكاربوهيدرات القابلة للتخمر يحث التغير البيئي في الصفيحة السنية مع ازدياد في إعداد جرثومة (Streptococcus Mutans) يرافق ذلك حصول زيادة في فقدان المعادن الميناء وتكوين تجاويف، تبدأ هذه التجاويف بمساحات صغيرة بيضاء عديمة الألم خالية من المعادن ثم تتسع خلال العاج واللب مكونة تجاويف مع ظهور صبغات مائلة إلى اللون البني وحالما يصل التسوس إلى العاج يظهر الألم بسبب التحفيز الحراري وتناول الحلويات أو الطعام أو الشراب الحامض.

استعمل المسواك (Miswak) منذ زمن البابليين (٧٠٠٠ سنة ق.م) وقد انتشر استعماله لدى الرومان والإغريق وكذلك المصريين القدماء، ويستعمل حالياً في المجتمعات الإسلامية وغيرها ومن هذه المجتمعات الهند والباكستان والدول العربية فضلاً عن بعض الدول الأفريقية، وتشير كلمة مسواك (آراك، سواك) بالعربية (عود تنظيف الأسنان)، أما بالإنكليزية فيشير هذا الإسم إلى (فرشاة الأسنان الطبيعية) يتم تقطيع ساق أو جذر هذا النبات (Salvadora Persica) إلى قطع بطول (١٥ ـ ٢٠) سم وتستعمل هذه القطع للتنظيف، وقد وضعت عدة تفسيرات لآلية عمل المسواك منها:

١ـ التأثير الميكانيكي للألياف.

٢ـ احتواءه على عدد من المركبات الكيمياوية المثبطة لنمو الجراثيم.

٣ـ التأثيران (١ و٢) معاً، فضلاً عن ترك السواك لفترة (٥ ـ ١٠) دقائق في الفم يحفز إفراز اللعاب وبالتالي يتم الحصول على نتائج أفضل لتنظيف الأسنان ■

الحجاب والمجتمع

لطالما كان هذا الموضوع موضع جدال ونقاش بين أوساط المجتمع وقد لقي (الحجاب) الكثير من المعارضة. من قبل ذوي النفسيات الضعيفة الذين زين لهم الشيطان سوء أعمالهم سواء من النساء أو من الرجال الذين ينهون زوجاتهم أو أخواتهم عن لبس الحجاب لاعتقادهم بأنه حالة غير حضارية ولا تواكب التطور الذي يشهده العالم في شتى المجالات بل أرادوا أن يدخلوا الحجاب في موكب التطور. واعتبروا بأن كل من ترتدي الحجاب هي امرأة متأخرة غير مثقفة بل تكون موضع استهزاء من قبل الآخرين.

فيا من تعتقدين بأن ارتداء الحجاب من فعل الجاهلية... فأنت في غفلة من أمرك لأن كل سافرة ومتبرجة إنما هي التي تعيش الجاهلية بعينها... وإن كنت تدعين الإسلام وتقرئين القرآن فاقرئي قوله تعالى في سورة الأحزاب (بسم الله الرحمن الرحيم ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) صدق الله العلي العظيم. ففي هذه الآية الكريمة يأمر الله تعالى النساء أن لا يخرجن من بيوتهن سافرات متبرجات على عادة النساء في الجاهلية... ومعنى التبرج (إظهار المرأة محاسنها أمام الرجال الأجانب) وهذا ما نهى الله عنه وحرمه. ولابد من الإشارة إلى ملاحظة مهمة بأن الحجاب ليس الرقعة ذات الألوان البراقة والشفافة التي تخنقين بها عنقك فأنت يا أختي تخدعين نفسك. فالحجاب لا يدخل ضمن الموضة إلا إن أعداء الإسلام أرادوا بكل صورة أن يجردوا المرأة المسلمة من حجابها فاحذري أن تقعي في شراك الشيطان. فالشيطان إذا لم يستطع أن يوقع عبداً مؤمناً في الخطأ عن طريق الحرام دخل له عن طريق الحلال. وهذا هو حالنا اليوم فهذه الرقعة الشفافة قد أطلقوا عليها حجاب. فالحجاب يا عزيزتي هو أسمى من ذلك فهو الحرز الآمن الذي يحرسك من الفساد والمفسدين ويصونك من الشقاء والأشقياء وهو الحصن المنيع الذي يمنع عنك السوء وأهله أن الحجاب رسالة الله إليك فأطيعي الله ونفذي أمره فإنه لمصلحتك ومن أجل المحافظة عليك وخير من نقتدي بها السيدة فاطمة الزهراء(ع) المرأة المثالية في الإسلام. والقدوة الصالحة لكل امرأة تبحث عن السعادة في الحياة فهي سيدة نساء العالمين وربيبة الوحي والتنزيل وخديجة مدرسة النبوة والرسالة وهي التي بلغت القمة الشاهقة في العظمة والمنزلة حتى قال عنها أبوها رسول الله(ص): (إن الله يرضى فاطمة ويغضب لغضبها).

لقد كانت هذه السيدة الجليلة قمة في الحجاب والعفة لا تخرج من بيتها إلا والعباءة تستر جميع جسدها من الرأس إلى القدم، وكانت تكره السفور والتبرج أشد الكراهية وما ذاك إلا لأن الله يكره ذلك ولأنه (أي السفور) مفتاح كل رذيلة وطريق للفجور ومقدمة للسقوط بل السقوط بعينه.

يسرى حفظي
كلية التربية/ قسم الجغرافية

سفينة نوح

في تمـوز ١٩٥١م حينما كان جماعة من العلماء السـوفيت المختصين بالآثار القديمـة ينقبون في منطقة بوادي (قاف) عثـروا علـى قطـع متناثرة من أخشـاب قديمـة متسوسـة وبالية ممـا دعاهم إلى التنقيب والحفر أكثر.

ومن بين تلك الأخشاب التي توصلوا إليها نتيجة التنقيب، خشـبة على شكل مسـتطيل طولهـا ١٤ عقـدة وعرضها ١٠ عقدة سـببت دهشتهم واستغرابهم حيث لـم تتغيـر ولـم تتسـوس كغيرهـا من الأخشـاب الأخرى، وفي أواخر ١٩٥٢م أُكمـل التحقيـق عنها فظهـر أن اللوحة كانت ضمن سـفينة النبي نـوح(ع) مما يذكر المؤرخون أن سفينة نوح استوت على قمة جبل (قاف). وقد شوهد أن هذه الخشبة نقشت عليها بعض الحروف التي تعود إلى أقدم لغة.

وفـي عام ١٩٥٣م ألّفـت لجنة قوامها سـبعة من علماء اللغات القديمة واتفقوا بعدهـا أن هـذه اللوحـة مصنوعـة مـن نفس خشـب سـفينة نوح(ع) وأنه وضعها في السـفينة للتبـرك والحفظ، وكانت حروف هذه اللوحة باللغة السامانية، وقد ترجمهـا للانكليزيـة العالـم البريطاني إيف ماكس أسـتاذ الألسن القديمة في جامعة مانشستر، وهذا نصها.

يا إلهي ويا معيني
برحمتك وكرمك ساعدني
ولأجل هذه النفوس المقدسة
محمد
إيليا
شبر
شبير
فاطمة
الذين هم جميعهم عظماء
ومكرمون
العالم قائم لأجلهم
ساعدني لأجل أسمائهم
أنـت فقط تسـتطيع أن توجهني نحو
الطريق المستقيم

رقية ناظم حسين
الثالث بايلوجي

الجنين

يمـر الجنيـن في بطـن أمه بعـدة مراحل.. مـن نطفة ثم علقة ثـم مضغة.. مخلقة وغير مخلقة. وقد تم تصوير هذه المراحل في كتاب: Developing Human والذي حاز على جائزة أحسن كتاب في العالم ألفه مؤلف واحد.

وعندما اكتشـف مؤلفه (د. كيث إل. مور) أن هذه المراحل مطابقة لما جاء في القرآن الكريم والسـنة النبويـة، لم يملك إلا أن قال: (إن هذه الأدلة حتماً جاءت لمحمد ـ صلى الله عليه وآله ـ من عند الله، وأن هذا يثبت لي أن محمداً هو رسول الله).

بريد إلكتروني

الحمد لله والصلاة والسلام على أبي القاسم رسول الله وآله الميامين الهداة وسلم تسليماً كثيراً.

سادتي الكرام المشرفون على مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد..فبعد العزاء لمصابنا بسيد الشهداء أبي عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه وعلى الأرواح التي حلّت بفنائه، أود أن ألتمس من جنابكم الكريم أن ترتأوا في حدود الإمكان موافاتي بنسخة من العدد القادم من مجلة ينابيع الجميلة والبديعة والتي تحمل بين صفحاتها إشراقات نحن في أمس الحاجة إليها في الجزائر، ربما تتساءلون كيف حصلتُ على هذه النسخة، فلقد كان ذلك في مكة المكرمة عندما التقيت بأحد السادة العلماء في مكتب المرجعية فأهدوني بعدما أهديت لهم أحد دواويني الشعرية الموسوم (الروضة الفيحاء في سيرة خاتم الأنبياء) صلى الله عليه وآله وسلم.

السيد سليمان شريفي الحسني
الجمهورية الجزائرية

ظواهر سلبية في مجتمعنا

كثرت هذه الأيام ظاهرة الاستجداء، بحيث تجد بين كل بضعة أمتار فقيراً أو سائلاً، حتى وصل الحال بالنساء أن يقفن عند نقاطع المرور، يسألن اصحاب السيارات والمارة، كما سرت الحالة الى الأطفال أيضاً، فاليوم تجد أطفالاً يرتدون ملابساً رثّة ويتفوهون بعبارات الشكوى والحاجة والعوز، وهؤلاء هم ضحايا الأهل، فالأهل يجبرونهم على هذا الفعل، ناسين حرمانهم من طفولتهم البريئة، والتي يأخذ فيها الطفل حقه من اللعب والعيش بين الأسرة. أما التعليم فليس بواجب حسب نظرية الأب، يكفي ان ينزل الطفل للشارع، ومنه يتعلم وهذا يصنع بالمدرسة، المدرسة لا تجلب الخبز.

أيها الآباء، رفقاً بالأبناء، أدوا الأمانة التي جعلها الله في أعناقكم، امنحوهم فرصة الحياة الكبرى، امنحوهم نعمة التعليم.

ايها المتنفذون في الدولة، يا من اتيتم باسم الخلاص والتحرير للوطن انظرو في ظلامات الشعب وخصوصاً الفقراء، اين التكافل الإجتماعي، واين اليد الأمينة التي تحفظ امواله وتصلها الى المستحقين والمتعففين، اين النزيه الأمين، وعلى ذكر النزاهة، يقال ان خريجا لم يجد وظيفة في مثل هذه الأيام، اتصل بجهة عليا من معارفه فقالوا له سوف تتعين في لجنة النزاهة الوطنية، مقابل اربع أوراق ($٤٠٠) تدفعها ثم تستلم الوظيفة، اتدري كم ستحصل على هبات وهدايا إضافة للراتب الخيالي، فقال لهم المسكين لو عندي اربع اوراق لم ابق ساعة في العراق؟!

علي الغزالي

مسابقة العدد

١ من أئمة المسلمين، اشتهر بين المؤرخين باسم: (عمودالشرف) فمن يكون؟

أ. الإمام السجاد

ب. الإمام الصادق

ج. الإمام الهادي

٢ من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام قتل على يد عامل بني العباس على المدينة، قال فيه الإمام: «إنما هلك فلان من جهة إفشائه لسرّنا» فمن هو؟

أ. زرارة بن أعين

ب. معاوية بن عمار

ج. المعلى بن خنيس

٣ ثائر علوي، اسمه اسم الحسين عليه السلام واسم أبيه اسم أمير المؤمنين عليه السلام قتل في زمن خلافة موسى الهادي، شابهت ظروف معركته ظروف واقعة الطف، فما اسم تلك الواقعة؟

أ. واقعة عين وردة

ب. واقعة أحجار الزيت

ج. واقعة فخ

٤ لقد كثرت الشواهد الشعرية في نهج البلاغة، وقد اختار الإمام علي عليه السلام منها ما يلائم الحدث حتى يكون وقعها أكثر، ومن تلك الأشعار:

ودع عنك نهباً صيح في حجراته
وهات حديثاً ما حديث الرواحل

لمن هذا البيت؟

أ. الأعشى الكبير

ب. دريد بن الصمّة

ج. امرؤ القيس

كوبون المسابقة

ينابيع

العدد (٦) جمادى الأولى ـ جمادى الثانية ١٤٢٦هـ

	أ	ب	ج
جواب السؤال الأول			
جواب السؤال الثاني			
جواب السؤال الثالث			
جواب السؤال الرابع			

٥ من علمائنا الأجلاء، لقّب بالمجدد الثاني، توفي سنة ١٣١٢هـ فمن هو؟

أ. الشيخ مرتضى الأنصاري
ب. السيد محمدحسن الشيرازي
ج. الشيخ محمد حسن الجواهري

٦ مسجد من المساجد المشهورة فيه مقامات للأنبياء والأئمة عليهم السلام قال فيه الإمام الصادق عليه السلام: «لو استجار عمي زيد بمسجد ؟؟ لأجاره الله، فأي مسجد هو؟

أ. مسجد السهلة
ب. مسجد الكوفة
ج. مسجد الأقصى

٧ في أي سنة كانت وفاة السيد محمد حسين الطباطبائي صاحب تفسير الميزان المشهور؟

أ. ١٣٩٩ هـ
ب. ١٤٠٠ هـ
ج. ١٤٠١ هـ

٨ المصباح، كتاب الأدعية المشهور الذي جمع بين دفتيه الكثير من أدعية الأيام وغيرها، ألّفه علم من أعلام الشيعة فمن هو؟

أ. السيد علي بن طاووس
ب. الشيخ إبراهيم الكفعمي
ج. الشيخ عباس القمي

٩ خاض الإمام علي عليه السلام عدة معارك في حياة النبي صلى الله عليه وآله وبعد مماته، فكم معركة شهدها معه؟

أ. ٨٤
ب. ٨٥
ج. ٨١

	أ	ب	ج
جواب السؤال الخامس			
جواب السؤال السادس			
جواب السؤال السابع			
جواب السؤال الثامن			
جواب السؤال التاسع			

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى: ٧٥،٠٠٠ دينار.
الجائزة الثانية: ٥٠،٠٠٠ دينار.
الجائزة الثالثة: ٢٥،٠٠٠ دينار.
يتعين الفائز بعد إجراء القرعة.

شروط المسابقة

* الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط.
* يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه (مسابقة مجلة ينابيع) مع الاسم الثلاثي والبريد الالكتروني ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة.
* آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/ شعبان.
* آخر موعد لاستلام أجوبة مسابقة العدد (٥) هو ١/ جمادى الثانية